



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة باتنة 1 الحاج لخضر

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم الفلسفة

رقم التسجيل:

الرقم التسلسلي:

النظرية الحجاجية في الفكر الغربي

أوزفالد ديكر و - نموذجاً -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه LMD تخصص فلسفة غربية حديثة
ومعاصرة

إشراف الأستاذة الدكتورة:

فوزية شراد

إعداد الطالبة:

زينة بن لحرش

تاريخ المناقشة : 2023 / 12 / 21

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
بو السكك عبد الغني	أستاذ تعليم عالي	جامعة باتنة 1	رئيسا
فوزية شراد	أستاذ تعليم عالي	جامعة باتنة 1	مشرفا و مقرا
حشاني محمد رضا	أستاذ محاضر أ	جامعة باتنة 1	عضوا مناقشا
قوتال زهير	أستاذ تعليم عالي	جامعة سطيف 2	عضوا مناقشا
عمور عبد السلام	أستاذ محاضر أ	جامعة سطيف 2	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2022-2023

ما الفضلُ إلا لأهلِ العلمِ إنهمُ
على الهدى لمن استهدى أدلاءُ
وقيمةُ المرءِ ما قد كان يحسنهُ
والجاهلونَ لأهلِ العلمِ أعداءُ
فقمْ بعلمٍ ولا تطلبْ به بدلاً
فالناسُ مَوْتى وأهلُ العلمِ
أحياءُ

الإمام علي - رضي الله عنه -

شكر وتقدير

قال تعالى " وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " (البقرة ، الآية 237) .

لأن الاعتراف بالفضل من شيم الاحترام ، ولأن تقدير المجهود والنصح والأخذ بهما واجب والتزام... ننحني وتنحني معنا كل الكلمات والمعاني... شكرا... تقديرا... اعترافا... للأستاذة المشرفة على هذا العمل... الذي زينته بجميل نصحتها ورعته بدقة حكمتها وأضفت عليه من بديع فلسفتها ورزانة منطقتها... فكان أن أخرجناه على أجمل صورة وفكرة... إلى الأستاذة الفاضلة: فوزية شراد.

زينة بن لحرش

إهداء

إلى والديّ الكريمين، حفظكم الله وأطال في
أعماركما

وإلى زوجي، رفيق الكفاح الذي كان سنداً
لي في تسلق رتب المعالي

إلى ابنتي الغاليتين الحبيبتين لقلبي
قرتا عيني ميار وآلاء

إلى أخي وإخوتي وأبنائهم الأعزاء

زينه بن لحرش

مقدمة

مقدمة:

يعتبر الحجاج من أهم المفاهيم المتداولة في الفلسفة الغربية المعاصرة لأنه أداة ووسيلة لبناء الحوار، إضافة إلى ذلك يعد آلية للتواصل، والهدف منه هو استمالة المتلقي والتأثير فيه وإقناعه بفكرة معينة أو سلوك ما، ولعل هذا ما جعل الحجاج ضرورة فكرية وحاضر في مختلف تواصلاتنا اليومية وفي كل أنواع الخطابات، ولا يمكن تصور خطاب معين دون حجاج، لأن الحجاج جزء من معيش الإنسان المعاصر، إذ يمكن القول لا تواصل دون حجاج.

لهذا ظهرت عدة نظريات ومقاربات سلطت الضوء عليه، ومن بين هذه المقاربات نظرية الحجاج اللغوي، إذ أصبح الحجاج في ضوء هذه النظرية ظاهرة لصيقة باللغة، لأنها لم تعد وسيلة للإخبار والتواصل، بل أصبحت وظيفتها حجاجية بامتياز لأنها تحمل في جوهرها حمولات وشحنات حجاجية الهدف منها التأثير في المتلقي وإقناعه.

إن الخطاب الفلسفي يتأسس على الحجج، وتعتبر اللغة وسيلة للتعبير عن الخطاب لأنها تتضمن قوة إقناعية، وعلى هذا الأساس ارتبط الحجاج باللسانيات حتى يأخذ بعدا تنظيميا وعمليا، ذلك أنه يضيف للخطاب الفلسفي سمة التماسك المنطقي، ويعطيه قوة التأثير في الآخر .

إن النظرية الحجاجية تختص بدراسة الفعالية الحجاجية وهي فعالية لغوية اجتماعية عقلانية غايتها إقناع المعارض العاقل بمقبولية رأي من الآراء، وذلك عبر تقديم جملة من القضايا، وتلعب هذه النظرية دورا في تحقيق الملاءمة من خلال بناء بلاغة الخطاب وكذا تحقيق الموافقة بتبرير الرأي وتعليله بإقامة الحجة عليه كقوة دافعة للعقل، إذ أخذت حيزا كبيرا ومهما في الدراسات المعاصرة من خلال التركيز على عملية التأثير والإقناع في المتلقين .

إن الأعمال التي تناولت البحث في اللغة كثيرة جداً، كما أن المؤلفات الفلسفية التي قامت بتشريح عميق ودقيق لمختلف جوانبها و مستوياتها عديدة، حتى يكاد يخيل للباحث المتخصص أن الكلام فيها قد نفذ، وألا جديد في الأفق بشأن هذا الموضوع، فمنذ الخمسينيات من هذا القرن بدأت الدراسات الحجاجية تتخذ سمة الاستقلالية في أبحاث الدارسين، حيث حظيت "نظرية الحجاج" بجهود مستفيضة من طرف المناطق والفلاسفة واللسانيين، ذلك أن اللغة تحمل في طياتها بعدا حجاجيا موجها نحو المتلقي، فإذا كان الحجاج دراسة قديمة قدم التراث اليوناني فهو اليوم موضوع مصنفات كثيرة من وضع عدد من أئمة الفكر المعاصر في فلسفة اللغة والمنطق .

إن البحث اللساني المعاصر لقي عناية بالغة من الباحثين باختلاف مشاربهم، ودخل في كثير من جوانب الحياة العلمية والثقافية والاجتماعية والنفسية، وكان من الطبيعي أن تنشأ فروع من اللسانيات، ونظريات حديثة تكون مفاتيحا للولوج إلى عمق النظرية اللغوية برمته، وهنا أصبحت الحاجة ملحة إلى بناء الدراسات اللغوية على منهج له فلسفته وتجاريه، تشتق منه الفروض وتستخلص منه النتائج بطريقة علمية تتناسب مع نظرية المعرفة، لأن اللغة انفتحت على هذه النظرية لتخرج بنتائج جديدة لفهم طبيعتها ووظائفها.

إن أهمية دراسة الحجاج اللغوي تتمثل في تحديد الوظيفة المعرفية والإبستمولوجية للحجاج وتقويمها في مختلف مجالات الفكر وحقول المعرفة، ومدى قدرتها على الإقناع وتحديد مدى تجانس الحجاج مع بعضها البعض، أي البحث في العلاقات القائمة بين المقدمات والنتائج الواردة في المحتوى الكلامي ولذلك فالحجاج اللغوي ينتمي إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة أي القواعد الداخلية للخطاب.

وهذا ما دفع بالفيلسوف وعالم اللسانيات الفرنسي أوزفالد ديكر (Oswald Ducrot) للاهتمام بهذا الموضوع، فيعود إلى ما توفره الأقوال من إمكانات حجاجية، إذ لا يكفي الإلمام بالحجج وحدها، بل يجب وضعها ضمن إطار منظم في خطة مناسبة، تضمن الاستمالة والتأثير، ويكون التركيز في الحجاج على الأمور الداخلة في بنية اللغة الموصلة إلى الإقناع، كما لا يجب إهمال معطيات الاستعمال اللغوي.

ويهدف بحثنا إلى تسليط الضوء على نظرية الحجاج اللغوي التي وضع أسسها ودعائمها الفيلسوف أوزفالد ديكر محاولاً إثبات أن الحجاج متجذر في اللغة لصيقاً بها، ولقد تطورت الدراسات اللسانية أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، إذ قدمت أبحاثاً رائدة في فلسفة اللغة في مستوياتها الصوتية والتركيبية، لكن الملاحظ أن هذا التطور لم يواكبه الاهتمام المعمق بإشكالية الاستعمال اللغوي، إذ شهد علم اللسانيات انقلاباً على أدواته ومبادئه، وبعد التوجه اللساني إلى الحجاج من أهم التوجهات المعاصرة، إذ أصبحت دراسة الحجاج في إطار هذا التوجه تنصرف إلى البنية اللسانية للملفوظات الحجاجية ومختلف الآليات التي تتيح إمكان قيام حجاج داخل اللغة، إذ يظهر في البنية التركيبية للغة ذاتها، أي أن الحجاج مؤشر له في بنية القول قبل أن يكون مظهرًا من مظاهر التداول الخطابية.

تأسست نظرية الحجاج في اللغة على يد ديكر وعرفت باسم التداولية المدمجة إذ ساهمت بتسليط الضوء على الحجاج اللساني الذي يسلم بأن كل خطاب يستعمل اللغة الطبيعية هو خطاب حجاجي، فالروابط والعوامل اللغوية التي يتضمنها الكلام تؤسس لاستدلال حجاجي معين، وتوجه الملفوظ نحو نتيجة معينة، فكل ملفوظ ليس سوى فعل كلامي هدفه إقناع المتلقي بفكرة ما.

إن اللغة تحمل في ذاتها وظيفة حجاجية، فالإنسان يتكلم بصفة عامة لإثبات صحة مواقفه عن طريق الحجاج الذي يعد سمة بارزة ووظيفة أساسية في كل خطاب مهما كان نمطه ونوعه، إذ أن أنماط الخطابات تختلف باختلاف بنيتها وتراكيبها وأدواتها وأهدافها، غير أنها تشترك في غاية واحدة هي التأثير في المخاطب وإقناعه بمحتوى الخطاب، ويتحقق الحجاج عن طريق آليات وتقنيات مختلفة، يمكن لعامة الناس باختلاف مستوياتهم ممارستها لكن بطريقة متفاوتة من شخص لآخر، فلا مجال للحديث عن الحجاج دون أن يكون هناك حديث عن الآليات والوسائل اللغوية التي تبني عليها الحجج، وما تحمله من طاقات قابلة وقدرة على توجيه المستمع والتأثير فيه.

وقد كان من دواعي بحثنا واختيارنا لهذا الموضوع أسباب ذاتية وأسباب موضوعية، فأما الأسباب الذاتية تتمثل في:

- شغفي الدائم والمستمر للبحث في الدراسات الحجاجية والمنطقية واللغوية، والاهتمام بالمواضيع الفلسفية المعاصرة.
- إضافة إلى أن شخصية البحث تحتاج إلى مزيد من التعريف بأهم إسهاماتها للقارئ العربي حتى يتم الإلمام بأهم أفكارها.
- أما عن الأسباب الموضوعية نذكر:
- جودة الموضوع وأهمية نظرية الحجاج في اللغة لأوزفالد ديكرول لأنها قدمت الجديد في مجال الحجاج واللسانيات، إضافة إلى حداثة الموضوع، فلا توجد كتب كثيرة ودراسات مسهبة في هذا المجال باستثناء ما كتبه أبو بكر العزاوي حول اللغة والحجاج وكتاب رشيد الراضي المظاهر اللغوية للحجاج.

وعليه كانت إشكالية بحثنا تتمحور فيما يلي: هل استطاع ديكرو أن يجمع في نظريته للحجاج اللغوي بين المنطقيات واللسانيات والتداوليات؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة المشكلات الجزئية هي:

- ما هو مفهوم الحجاج؟ و كيف تغير مفهومه من حقبة إلى أخرى؟
 - ماهي أهم النظريات التي ساهمت في تأسيس نظرية الحجاج في اللغة؟
 - ماهي دواعي ديكرو لتأسيس منطق جديد يحكم الخطاب الطبيعي؟ وهل ينبغي البحث عن الحجاج من خلال أثر القول أم أنه يتجسد في القول؟ و ماهي الآليات والتقنيات الحجاجية التي قدمها ديكرو للتحليل الحجاجي؟ و كيف تطورت نظرية الحجاج في اللغة؟
 - كيف ساهم مشروع ديكرو في تأسيس نظريات جديدة في الحجاج؟
- هي أسئلة كثيرة حاولنا الإجابة عنها من خلال الاعتماد على المنهج التحليلي، كما اعتمدنا على بعض آليات المقارنة:
- منهج تحليلي من خلال تحليل أفكاره الحجاجية والوقوف على أهم مفاهيمها في مختلف مراحل تطورها، إضافة إلى التحليل الفلسفي لمختلف الأفكار التي وظفت في البحث.
 - كذلك اعتمدنا على المقارنة ويظهر من خلال استنتاج أوجه التشابه والاختلاف مع مختلف الفلسفات السابقة لنظرية الحجاج اللغوي.
- و لتحقيق أهداف هذا البحث اعتمدنا على خطة تعتمد في مجملها على مقدمة، ومدخل مفاهيمي، إضافة إلى أربعة فصول تتخللها مباحث فرعية، ثم خاتمة، جاءت على النحو التالي:

- المقدمة: عرفنا فيها بموضوع البحث وأهميته ودواعي اختياره، كما حددنا فيها الإشكالية المحورية والمشكلات الفرعية، إضافة إلى المنهج المعتمد وكذلك الصعوبات التي واجهت البحث.

- مدخل مفاهيمي: ونظرا لأن الضبط المفاهيمي اللغوي و الإصطلاحي يعد الخطوة الأولى لامتلاك مفاتيح البحث، ضبطنا مفهوم الحجاج، ولأنه من المفاهيم الملتبسة حاولنا تبيين الاختلاف بينه وبين المصطلحات القريبة منه وعلاقة هذا المفهوم بمجالاته الاستعمالية.

الفصل الأول: حمل عنوان تاريخ الحجاج في الفكر الغربي، إذ حاولنا التعرف على أهم الفلسفات التي تناولت الحجاج بإسهاب عبر مختلف المراحل التاريخية، وذلك من أجل التعريف بها ومن جهة ثانية حتى نعرف فيما بعد الجديد الذي قدمه ديكرو في هذا المجال، في المبحث الأول من هذا الفصل تعرضنا فيه لأهم النماذج الحجاجية في الفلسفة اليونانية بداية مع الفلسفة السفسطائية التي كانت سببا رئيسا للاهتمام أكثر بالحجاج لأنها تؤمن بتعدد الآراء، ثم تناولنا الفكر الحجاجي عند أفلاطون، إضافة إلى الفكر الحجاجي عند أرسطو الذي يعد من أهم المنظرين للحجاج في هذه الحقبة، وفي مبحث ثان من نفس الفصل تطرقنا إلى الحجاج في الفترة الوسيطة والحديثة، إذ بيّنا أن الحجاج ظهر كمارسة فلسفية مع توما الإكويني الذي استعمل الحجاج العقلي للدفاع عن العقيدة واللاهوت المسيحي، أما في الفلسفة الحديثة فقد ظهر المنهج الديالكتيكي مع هيغل الذي يعد أسلوبا ومنهجيا للحجاج، أما المبحث الثالث ويتبين فيه أن الاهتمام بالحجاج برز وازدهر أكثر خصوصا مع بيرلمان الذي أعاد إحياء الخطابة الأرسطية من جديد، كما اهتم فيلسوف العلم والمنطقي تولمين كذلك بالحجاج وأعطاه صبغة منطقية.

الفصل الثاني: وتظهر فيه الأصول الفكرية التي استقى منها ديكر ونظريته الحجاجية، إضافة إلى موقفه من مختلف الأفكار المنطقية، في المبحث الأول من هذا الفصل بينا النظريات التي استلهم منها ديكر أفكاره الحجاجية وهي نظرية أفعال الكلام مع أوستين وسيرل وغرايس، ونظرية التلطف لإيميل بنفست، ونظرية تعدد الأصوات لميخائيل باختين، أما المبحث الثاني فتناولنا فيه مفهوم الحجاج اللساني والفرق بينه وبين الاستدلال المنطقي كما بينا الفرق بين اللغة الطبيعية والاصطناعية وموقف ديكر من المقاربات السابقة عليه التي عالجت علاقة اللغة بالمنطق وبين المقاربة التي اختزلت اللغة في النموذج الصوري والمقاربة التي اعتبرت أن اللغة لها منطقتها الخاص.

الفصل الثالث: وبيننا فيه الجديد الذي قدمه ديكر في مجال الحجاج واللسانيات وهو نظرية الحجاج في اللغة، في المبحث الأول من هذا الفصل تناولنا المرحلة الأولى لتأسيس نظريته والتي اهتم فيها بالتداولية المدمجة وهي المنطق الذي وضعه ديكر لتحليل الخطاب الطبيعي مبينا أسسها ومهامها منهجها و قوانينها، كما عرجنا إلى أهم آية وتقنية وضعها ديكر لتحليل الملفوظات تحليلا حجاجيا تتمثل في نظرية السلام الحجاجية حددنا مفهومها وقوانينها والوسائل التي تعتمد عليها من روابط وعوامل حجاجية.

أما المبحث الثاني من نفس الفصل يعد المرحلة الثانية من تطور نظرية الحجاج في اللغة، إذ تراجع ديكر فيها عن دور الروابط اللغوية والعوامل وأدخل مفهوم الموضوع وقدم تصورا جديدا لتحليل الحجاجي، كما أدخل مفهوم التعدد الصوتي.

بينما الفصل الرابع فكان امتدادا وتجاوزا لنظرية الحجاج في اللغة إلى الفكر الفلسفي المعاصر، تناولنا في المبحث الأول أثر ديكر على الدراسات الغربية المعاصرة، و أخذنا كنموذج اللسانية الفرنسية وعالمة الرياضيات ماريون كاريل من خلال نظرية الكتل الدلالية هذه النظرية انطلقت من نظرية الحجاج في اللغة، ثم

تجاوزتها إلى تحليلات حجاجية جديدة، أما المبحث الثاني تناولنا فيه امتداد نظرية الحجاج في اللغة إلى في الفكر العربي وكان نموذجنا المفكر المغربي أبو بكر العزاوي الذي انطلق من الأسس العامة لنظرية الحجاج في اللغة موسعا لها من خلال تطبيقها على مختلف الخطابات.

وقد ختمنا بحثنا بمجموعة من نتائج واستنتاجات وحاولنا إعطاء حلول لإشكاليته المطروحة مع اقتراح آفاق جديدة للبحث.

أما عن الدراسات الأكاديمية السابقة في اللغة العربية فلم أجد أي دراسة فلسفية عالجت هذا الموضوع نظرا لجذته وراهنيته.

ولإنجاز هذا البحث اعتمدنا على مجموعة من المصادر تتمثل في : كتاب

القول و اللاقول Dire et ne pas dire، السلام الحجاجية Les échelles

argumentatives، القول والمقول Le dire et le dit، كلمات الخطاب Les mots

du discours، الحجاج في اللغة l'argumentation dans la langue ، إضافة إلى

بعض المقالات، كما اعتمدنا على العديد من المراجع منها: الحجاج واللغة لأبي بكر العزاوي، وكتاب المظاهر اللغوية للحجاج لرشيد الراضي.

وإنه لمن الطبيعي أن تعترضنا بعض العوائق و العقبات في مواجهة

هذا البحث وتتمثل هذه الصعوبات في تشعب نظرية الحجاج في اللغة، وتداخلها

مع الكثير من النظريات والمجالات، وهذا ما فرض علينا الرجوع إلى هذه النظريات

وتحليلها حتى نصل إلى موقف ديكرو، وكذلك جدة نظرية الحجاج اللغوي

وحداتها، كما أن عطاءها ما يزال مستمرا، وكذلك صعوبة ترجمة بعض النصوص

المتعلقة بها من مصادرها الأصلية.

ومع ذلك حاولنا تذليل الصعوبات وتجاوزها قدر الإمكان حتى يكون البحث

في أحسن صورة، وما توفيقني إلا بالله.

مدخل مفاهيمي:

أولاً: ضبط مفهوم الحجاج وعلاقته بالمصطلحات القريبة منه

ثانياً: الحجاج والمصطلحات المحيطة له

ثالثاً: علاقة الحجاج بمجاله الاستعمالي

أولاً: ضبط مفهوم الحجاج وعلاقته بالمفاهيم القريبة منه

يقول فليب بروتون وجيل غوتيه في كتابهما الحجاج في التواصل: "سنعمل على تعريف الحجاج طوال صفحات هذا الكتاب ، وأعني أن الأمر يخص في الوقت نفسه ،وصف آليات هذا العنصر الأساس في النشاط الإنساني ، وإبراز كل المواد التي يزخر بها بوصفه تقنية في التواصل ، وهي تقنية جوهريّة في الجدل والممارسة الديمقراطية"¹، فتعريف الحجاج ليس من المصطلحات السهلة لأنه مصطلح فيه نوع من الالتباس والتشعب .

1- في مفهوم الحجاج :

ورد مصطلح الحجاج في المعاجم والقواميس بعدة معاني مختلفة و يمكن حصرها فيما يلي:

1.1. في اللغة العربية: جاء في لسان العرب لابن منظور ما يلي: " الحج : القصد ،حج إلينا فلان ،أي قديم وجهه بحجة حجا قصده، ورجل محجوج أي مقصود، وقد حج فلانا إذا أطالوا الاختلاف إليه...، الحجة البرهان ، وقيل الحجة ما دافع به الخصم ، والحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة ... والحجة والدليل والبرهان، وهو رجل محجاج أي جدل "². إن معنى الحجاج هو القصد والتوجيه كما يعني البرهان و الدليل .

والى نفس الرأي ذهب الجرجاني في مؤلفه التعريفات حيث ساوى بين الحجة والدليل قائلاً: " الحجة هي ما

¹ - فليب بروتون وجيل غوتيه : الحجاج في التواصل ،ترجمة: محمد مشبال وعبد الواحد التهامي، المركز القومي للترجمة، القاهرة ،ط1، 2013، ص 27.

² - ابن منظور، لسان العرب ،دار صادر، بيروت،1990، مادة (ح ج ج)، ص 228.

دلّ به على صحة الدعوى، وقيل: الحجة والدليل واحد¹.

أما في القاموس المحيط للفيروز آبادي فقد ورد ما يلي " المحجة : الطريق وقيل: جادة الطريق، وقيل محجة الطريق سنته"²، ويعني الحجاج في هذا السياق الطريق الواضح.

كما ورد لفظ الحجاج في المعاجم بمعنى التخاصم والمبالغة بالحجة، لأن طلب الحجة لا يكون إلا في إطار التنازع والتدافع بين الأفكار والمواقف، واختلاف الأفكار وتباين وجهات النظر، وهذا المعنى نجده في معجم مفاهيم علم الكلام المنهجية لحمو النقاري: "يقال حاجج فلان فلانا، و"حاجّه" "حاججا" و "محاججة" بمعنى غلبه بالحجج التي أوردها وأدلى بها، أي الحجج التي احتج بها، و"الحجة" هي الشيء الصلب، "احتج" الشيء بمعنى "صلب" الذي يدفع به الخصم أو الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة"³.

إن الحجاج في اللغة العربية يحمل عدة دلالات منها: القصد والتوجيه، الجدل، البرهان والدليل، الطريق الواضح، كما يؤدي معنى التخاصم والاختلاف في الأفكار .

2.1. في اللغة الفرنسية: في اللغة الفرنسية يقابل لفظ الحجاج مصطلح Argumentation الذي يدل على عدة معاني مقارنة لما هو في اللغة العربية، حيث جاء في الموسوعة الفلسفية لأندريه لالاند بأنه "طريقة عرض الحجج وترتيبها"، أما كلمة حجة Argument، فقد وردت في الموسوعة ذاتها بأنها :

¹ - الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، دار الإيمان، السكندرية، مصر، ط1، 2004، ص 73.

² - الفيروزبادي: القاموس المحيط، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مكتبة التراث، باب الجيم، ص 66.

³ - حمو النقاري: معجم مفاهيم علم الكلام المنهجية، المؤسسة العربية للفكر والابداع، بيروت، ط1، 2016، ص 257.

"استدلال يرمي إلى برهان قضية مبنية أو دحضها"¹. إن لالاند ربط بين معنى الحجج والاستدلال البرهاني المتعلق بقضية معينة لبيان صدقها أو كذبها .

أما في القاموس الفرنسي Le Grand Robert : "فالحجاج هو القيام باستعمال الحجج أو مجموعة حجج التي تهدف إلى تحقيق نتيجة واحدة أو هو فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة"²، إن الحجج هو أساس النقاش فيه نستطيع تأييد فكرة ما أو معارضتها.

3.1. في اللغة الانجليزية: أما في اللغة الانجليزية حدد مفهوم الحجج في قاموس كمبردج: "الحجة التي تعلل أو تبرر مساندة أو معارضة لفكرة ما".³ فالحجاج هو الدفاع أو الاعتراض على فكرة معينة.

كما أن لفظة Argue أي تحتاج تشير إلى وجود اختلاف بين طرفين ومحاولة كل منهما إقناع الآخر بوجهة نظره بتقييم الأسباب التي تكون الحجة مع أو ضد رأي أو سلوك ما⁴، فالحجاج اختلاف في وجهات النظر هدفه الإقناع.

إن التحديدات اللغوية لمصطلح الحجج، سواء في اللغة العربية أو الفرنسية أو الانجليزية ، متقاربة فيما بينها ، فالحجاج هو نقاش قائم بين متكلم ومتلقي يعتمد على استعمال الحجج والأدلة التي يعتمد عليها كل طرف من أجل تبرير وتدعيم وموقفه.

¹ - أندريه لالاند : الموسوعة الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل ، المجلد 1 (A-G) منشورات عويدات بيروت - باريس، ط2، 2001، ص ص 93-94.

² - Le Grand Robert , Dictionnaire de la langue française , Paris , 1989, p53.

³ -Cambridge Advanced Learners: Dictionary , Cambridge University Press, 2nd Pub , 2004, p56.

⁴ -Longman , Dictionary of contemporary, English, Longman, 1989, p34

2-إصطلاحا:

يعرفه جان ميشال آدم Jean-Michel Adam¹ (1947 -) : "هو سعي لإعطاء آراء وتصورات للمخاطب، تتعلق بالموضوع المعطى، وبعبارة أخرى إننا نتكلم لكي نحاجج، وهذه القصدية توضحت عن طريق وحدات أخرى إضافة إلى القيمة الوصفية الإخبارية للغة"²، ثم يقول: "إن الخطاب الحجاجي موجه للتأثير في سلوكيات وآراء المخاطب أو المستمع، وذلك بجعل أي قول مدعم صالحا أو مقبولا بمختلف الوسائل"³، فالحجاج هو عملية حوارية تتوجه إلى الغير من أجل إقناعه، لأن وظيفة اللغة لم تصبح إخبارية وصفية فقط، بل أصبحت وسيلة حجاجية إقناعية.

أما ميشال مايبير⁴ Michel Meyer (1950-2022) فيعرف الحجاج بأنه جهد إقناعي ويعتبر البعد الحجاجي بعدا جوهريا في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه⁵، فالحجاج عند مايبير يعتمد ركيزتين أساسيتين هما الإقناع كجهد عقلي فكري، أما الركيزة الثانية فهي البعد الجوهري للغة، أي أن الحجاج يعتمد على اللغة، وعليه فهو نشاط فكري لغوي هدفه الإقناع.

أما اللسانيان الفرنسيان باتريك شاردو⁶ Patrick Charaudeau (1939-) ودومينيك منغو Dominique Maingueneau (1950-) فيعرفان الحجاج بأنه: "نشاط لغوي واجتماعي غايته دعم أو إضعاف مقبولية وجهة نظر متنازع فيها لدى

¹ - جان ميشال آدم: لساني فرنسي ، وأستاذ كرسي اللسانيات بجامعة لوزان مند سبتمبر 1984، مدير مشروع IRIS للعلوم الانسانية، ومدير لسلسلة علوم الخطاب ، من أهم مؤلفاته: الحجاج الإشعاري، اللسانيات النصية، السرد.

² - Jean Michel Adam , Les textes : types et prototypes (récit , description , argumentation explication et dialogue) , Nathan , Paris , 1992,p103.

³ - Ibid, p104.

⁴ - ميشال مايبير : فيلسوف بلجيكي ، وأستاذ بجامعة بروكسل، من أهم مؤلفاته: علم الاشكلة، الخطابة ، المنطق للغة والحجاج.

⁵ - Michel Meyer, logique, langage, et argumentation, Hachette ,1982,p136.

مستمع أو قارئ ، وذلك بعرض كوكبة من القضايا قصد تبرير أو دحض هذه الوجهة أمام قاض عقلائي"¹، فهو فعالية لغوية واجتماعية ، غرضه تأييد أطروحة أو معارضتها بواسطة مجموعة من القضايا، يخضع الحكم فيها لسلطة العقل.

أما طه عبد الرحمن في كتابه: "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي فيعرف الحجاج انطلاقا من مبدئين هما: قصد الادعاء وقصد الاعتراض إذ يقول: " وحدّ الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق الاعتراض عليها"²، فالحجاج هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل فيها اللغة، ويتجسد من خلالها الإقناع ومن ثم يكون الفهم.

والحجاج حسبه نوعان:

الصنف الأول: حجاج توجيهي: يكون بإقامة الدليل على الدّعى بالبناء على فعل التوجيه أي بإيصال الحجة للمتقي، أما الصنف الثاني فيكون بإثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعترض، فهناك لا يكتفي الشخص بفعل الإلقاء بل يتعداه إلى فعل التلقي³. إن الصنف الأول من الحجاج يهدف إلى إثبات الشخص رأيه أمام الخصم ،أما الصنف الثاني يتمثل في تجرد المستدل من ذاتيته ،ويقتنع بالأفكار التي يصل إليها ،حتى وإن وجد فيها ما يخالف لتصوراته وتوجهاته.

وفي كتابه "في أصول الحوار وتجديد الكلام" يؤكد قائلا : "وحدّ الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية ، فهو تداولي ، لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي ، إذ يأخذ

¹ - بانتريك شارودو ودمينيك منغونو، معجم تحليل الخطاب ،ترجمة :عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا، ط1، 2008، ص 70.

² - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي، المغرب، ط1 ، 1998، ص 226 .

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية، وتوجيهات ظرفية ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة علمية، إنشاءً موجهاً بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي لأنه هدفه إقناعي¹. في هذا القول أكد طه عبد الرحمن على البعد التداولي والسياقي للحجاج، كما أكد على أن هدفه الإقناع ذلك أن أساسه الجدل.

ثانيا: الحجاج والمصطلحات المحايثة له:

إن حقل الحجاج يزدحم ويصطدم بالعديد من المصطلحات المتداخلة فيما بينها، وبعض المصطلحات القريبة منه ونجد من بينها:

1- الحجاج والاستدلال

يعتبر مصطلح الاستدلال من المفاهيم العابرة لمختلف الاختصاصات والعلوم وفروعها في مختلف المنظومات العلمية والثقافية، إذ أنه يتصل بجدول لغوي ثري تستعمله كل الاختصاصات من قبيل الدليل واللزم والاستنتاج والاستتباط والبرهان والقياس والحجة²، إن هذا المصطلح يستعمل بكثرة وفي مجالات معرفية مختلفة.

والاستدلال في اللغة مأخوذ من: "دلَّ عليه، وإليه دلالة أي أرشد إلى الشيء، ويقال: دلَّه على الطريق ونحوه: شدد إليه، فهو دال[...]. واستدل عليه: طلب أن يدلَّ عليه، وبالشيء على الشيء، اتخذه دليلا عليه[...]. وما يستدل به، جمع أدلة"³، ومن ثمة فالاستدلال في اللغة هو ما اتخذ دليلا من أجل إقرار قضية معينة

¹ طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص65.

² - شكري المبخوث: الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010، ص 17.

³ - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004، ص 53.

وتثبيتها، وهذا ما يؤكد الشرف الجرجاني إذ يعتبره "تقرير الدليل لإثبات المدلول، سواء كان ذلك من الأثر إلى المؤثر"¹، إن الاستدلال هو إثبات دعوى معينة بحجة أو دليل معين ويكون بين باث ومثلق.

أما في المنطق، فهو تفكير عقلي بواسطته يتم إنتاج العلم وهو لا ينطلق من فراغ، بل من معارف سابقة أهمها: المبادئ أو التعريفات، أو حتى المسلمات الشائعة، وهكذا اهتم أرسطو أكثر بصور الاستدلال، وهي الصور القياسية، ومن ثم يصبح الحديث عن الاستدلال القياسي، إذ يعرفه أرسطو بأنه "قول مؤلف من قول إذا سلم بها يلزم عنها بالضرورة قول آخر"²، أي هو استخلاص حكم من حكم آخر، أو عدة أحكام استخلاص تلزمنا به الضرورة المنطقية وهو نوعان:

- استدلال مباشر: حيث يتم فيه استخلاص صدق قضية أو كذبها من القبول بصدق قضية أخرى أو كذبها دون الاستعانة بأي حد يتوسط بين القضيتين والنتيجة.
- استدلال غير مباشر، وقوامه التآليف بين حكمين أو عدة أحكام، تنشأ عنها الضرورة نتيجة، إذ ينتقل الذهن من قضية إلى قضية ثابتة، تلزمنا الضرورة المنطقية بقبولها، بيد أن هذا الانتقال يتم عبر وسائل كالقياس.

هذا التعريف يجمع بين الاستدلال ومفهوم أحد أصنافه "البرهان باعتباره عملية ذهنية أو استدلالاً استنتاجياً الهدف منه هو تأكيد صدق قضية انطلاقاً من منطلقات ينظر إليها على أنها صادقة"³، ورغم الاختلاف الموجود بين الاستدلال

¹ - الشرف الجرجاني: التعريفات، ص 24.

² - أرسطو: المنطق، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، ط1، 1980، ص142.

³ - رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، العدد2، المجلد40، الكويت، ديسمبر 2011، ص79.

والحجاج، إلا أن هناك علاقة بينهما حددها باتريك شارودو مؤكداً أن وظيفة الحجاج تمكن من بناء التفاسير على أقوال يقع إنشاؤها حول العالم، وهي أقوال تعالج تجربة أو معرفة في أفق مزدوج للعقل الاستدلالي والعقل الإقناعي، إذ يصرح بأن العقل الاستدلالي: "ينهض على آلية تتصل أساساً بإقامة روابط سببية مختلفة بين قولين أو عدة أقوال وهذه الروابط تقوم من خلال أساليب هي شاهدة على ما نسميه انتظام المنطق الحجاجي والتي تتعلق مكوناته في الوقت نفسه بالمعنى الذي تتضمنه هذه الأقوال، ونماذج الروابط التي توحيها، ونماذج الإثبات التي تميز تلك الأقوال"¹، إن الروابط السببية لها دور كبير في ربط الحجج فيما بينها من جهة، والحجج بالنتائج من جهة أخرى .

أما طه عبد الرحمن فيرى أن " الحجاج هو إجمالاً، عبارة عن مختلف الوسائل الاستدلالية الطبيعية التي تستهدف أساساً إقناع المخاطب بقول ما، بالبناء على ما يعلم أو يفترض أنّ المخاطب يسلم به من أقوال غيره، الاستدلال التداولي هو جملة الإثباتات الاستدلالية التي تعتمد الامكانات الاستدلالية الخاصة باللسان"²، فالحجاج هو نوع من أنواع الاستدلال .

2. الحجج والبرهان:

أما مصطلح البرهان فقد ورد في لسان العرب كمايلي: "يقال برهن يبرهن برهنة، إذا جاء بحجة قاطعة للخصم، فهو مبرهن، وقد برهن عليه: أقام الحجة"³. فالحجاج والبرهان من الناحية اللغوية مترادفان، لأنهما يؤديان وظيفة واحدة ، وهي الدفاع والتغلب على الخصم.

¹ - باتريك شارودو: الحجج بين النظرية والأسلوب، ترجمة: أحمد الوديني، دار الكتاب المتحدة، ط1، 2009، ص17.

² - طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 39.

³ - ابن منظور ، لسان العرب، ج 1 ، مادة (ب ره ن.)، ص394.

أما أرسطو فيعرفه كالتالي: "أسمي برهانا القياس العلمي، وأقصد بالعلمي ما بامتلاكه نحن نعرف" و"يحدث البرهان حين يتألف القياس من أمور صادقة وأولية، أو تكون بحيث تتخذ المعرفة المتعلقة بها أشياء أولية بسيطة"¹، إن البرهان عند أرسطو يتمثل في القياس المنطقي وينطلق من مقدمات أولية صادقة.

إن القياس المنطقي لا يضمن صدق المقدمات، بل يضمن فقط صحة الانتقال من المقدمات إلى النتائج، ولهذا فإن صدق النتائج في القياس يعتمد على صدق مقدماته، "فالبرهان باعتباره عملية ذهنية واستدلالية استنتاجية، الهدف منه هو تأكيد صدق قضية انطلاقاً من منطلقات ينظر إليها على أنها صادقة، ومعلوم أن هذا الصنف من الاستدلال يتميز بخصائص صورية، من تجريد وتدقيق وترتيب، ومن بسط للقواعد، وتمايز للمستويات واستيفاء للشروط واستقصاء للعناصر"²، إن البرهان يتميز باستقلاله التام عن الذات الإنسانية، فالبناءات البرهانية هي مجموعة من العلاقات البرهانية القائمة بذاتها تستمد قوتها من ذاتها وتفرض سلطتها على غيرها، لكن الحجج فعالية خطابية يستلزم مشاركة فاعلة من طرف المتخاطبين، وأحياناً يقتضي قدراً من التواطؤ³، إن البرهان يستند بالأساس على الصورية ويخضع لقوانين منطقية عكس الحجج الذي يعتمد على قوة الحجج لأن هدفه الأساسي هو الإقناع.

البرهان معناه اليقين والصدق والدليل ويتسم بالموضوعية، بينما الحجج العقلي يعتمد على الوصف والإظهار وإضفاء المعنى، وهذا ما أكدته فتغنشتاين

¹ - أرسطو: نقلاً عن: ابن رشد، شرح البرهان الأرسطي وتلخيص البرهان، تحقيق: عبدالرحمن بدوي، السلسلة التراثية، ط1، 1984، ص15.

² - رضوان الرقيبي، الاستدلال الحجاجي والتداولي وآليات اشتغاله، ص 79.

³ - رشيد الراضي، الحجج والبرهان، مقال ضمن كتاب مفهوم الحجج، إشراف: حافظ اسماعيل علوي، عالم الكتاب الحديث، عمان، ط1، 2010، ص189.

حينما اعتبر أن الفيلسوف يبين ويظهر بالمفاهيم أكثر من برهانه بواسطة القضايا والحساب¹.

إن الحجاج الفلسفي لا يمكن اختزاله في قواعد بنائية أو علاقات رمزية وحيدة الدلالة، كما أنه لا يستلزم تسلسلا صارما للقضايا، لأن الحجاج يشتغل على الأطروحات والمفاهيم والإشكالات لا على الأوليات والأكسيومات كما هو في المنطق والرياضيات²، إن البرهان لا يقصد شخصا معينا على عكس الحجاج الذي يتطلب على الأقل طرفين، وتقتضي الضرورة فيه مراعاة السياق واستحضار مقاصد التخاطب.

فالاستدلال نوعان استدلال بالبرهان واستدلال بالحجة، الأول يستمد صحته من ذاته، فصدقه مرتبط بصدق مقدماته وقضاياه، بينما الفعل الثاني أي الحجاج لا يملك تلك الصرامة والموضوعية الموجودة في البرهان فهو يستمد صحته بمدى قوته وضعفه ونجاحه وفشله في إقناع المخاطب لأن الهدف الأساسي للحجاج هو الإقناع والتأثير.

من خلال عرض مفهوم الحجاج والاستدلال والبرهان نستنتج أن الاستدلال لفظ عام يشمل كلاً من الحجاج و البرهان، فكل حجاج استدلال وكل برهان استدلال.

3. الحجاج والجدل

ورد في لسان العرب ما يلي: "رجل محاجج أي جدل"³، فمصطلح الحجاج مرادف لمصطلح الجدل.

¹-الحبيب أعرب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، العدد1، مج 3، سبتمبر، 2001، ص 118.

²-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ح،ج،ج)، ص520.

أما ابن حزم الأندلسي فقسم الجدل إلى صنفين¹: الأول محمود ومشروع ويكون بالتي هي أحسن، واستدل بقوله عز وجل: "أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِيَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ"².

والصنف الثاني مذموم وله وجهان: وجه يجادل في المجادل بغير علم لقوله تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ"³، والوجه الثاني أن يجادل المجادل نصرته للباطل، إذ يقول الله تعالى: " وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا"⁴، ويفهم من هذا أن الجدل نوعان منه ما هو حق وما هو باطل.

كما أننا أثناء تعريفنا للحجاج لا حظنا أن طه عبد الرحمن اعتبره مرتبطاً بالجدل حين قال، وحد الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية، والجدل يدل على مراجعة الكلام وذكر الحجج، وشدة تقريرها، وهو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو دليل.

ويؤكد عبد الله الصولة أن الحجاج هو القاسم المشترك بين الجدل والخطابة، وهذا التداخل يرجع إلى وجود صنفين من الحجاج هما: الحجاج الجدلي والحجاج الخطابي، أما الجدل فقد ورد في كتاب أرسطو الطوبيقا Topique أي المواضع، ومحوره مناقشة نظرية خالصة غايتها التأثير العقلي المجرد، بينما الحجاج الخطابي

¹ - ابن حزم الأندلسي، الأحكام في أصول الأحكام، حققه: أحمد محمد شاكر، ج1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، دط، ص23.

² - سورة النحل، الآية 125.

³ - سورة الحج، الآية 8.

⁴ - سورة الكهف، الآية 56.

وهو الذي عرضه أرسطو في كتابه الخطابة Rhétorique، فليست غايته التأثير النظري العقلي، بل يتجاوزه إلى التأثير العاطفي وإلى إثارة المشاعر والانفعالات، وهدفه إرضاء الجمهور واستمالاته¹. إن الحجاج يستلهم من الجدل سمته المنطقية الحوارية، بينما يأخذ من الخطابة الطرق التي يتم بها تقديم الحجج وتؤدي إلى التأثير في المتلقي، فالجدل يقوم على الإقناع بالعقل بينما الخطابة تقوم على الإقناع بالعاطفة، وعليه يمكن القول أن كل جدل حجاج، وليس كل حجاج جدلاً.

4. الحجاج والتواصل:

يؤكد فليب برتون وجيل غوتبييه في كتابهما تاريخ نظريات الحجاج أن "الحجة كانت ولا تزال تعتبر محتوى أو شكلاً من المحتوى التواصلية سواء تم التصريح بذلك أم لا"²، من هذا القول نستشف أن هناك علاقة مباشرة بين الحجاج والتواصل.

وهذا الطرح أكده أيضاً طه عبدالرحمن في المسلمة التالية: "لا تواصل باللسان من غير حجاج، ولا حجاج بغير تواصل باللسان"³، أي أن الحجاج والتواصل متلازمان، فالحجاج يتحقق أثناء التواصل، والتواصل بدوره يستلزم الحجاج، فهو فعل تواصلية إقناعية لأن العديد من مقامات التواصل تتطلب حمل الفرد على تبني سلوك أو مشاطرة رأي.

إن لفظ التواصل يدل على معانٍ مختلفة ذكرها طه عبدالرحمن في كتابه الحجاج والتواصل كما يلي:

¹ - عبد الله الصولة: الحجاج في القرآن الكريم، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2007، ص 18.

² - فليب برتون وجيل غوتبييه: تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد ناخي الغامدي، مركز النشر العلمي، المملكة العربية السعودية، ط1، 2011، ص 13.

³ - طه عبدالرحمن، الحجاج والتواصل، معهد المعارف الحكمية، المغرب، ط1، 2007، ص 5.

- المعنى الأول: نقل الخبر ويمكن تسميته ب"الوصل".
- المعنى الثاني نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم ، ويطلق هذا النوع من النقل ب "الإيصال".
- أما المعنى الثالث: فهو نقل الخبر من المتكلم وتحقيق قصده عند المستمع ، وهذا النوع من النقل يسمى "الاتصال"¹. فمعاني التواصل تتمثل في نقل الخبر وإيصاله إلى المستمع بغرض التأثير فيه.

أما لفظ الحجة فيدل على المعاني التالية:

- الأول هي بناء استدلاي يستقل بنفسه وهذا ما يسمى بالحجة المجردة.
 - الثاني وتكون الحجة فيه كفعل استدلاي يأتي به المتكلم وتسمى "الحجة الموجهة"
 - الثالث الحجة كفعل استدلاي يأتي به المتكلم من أجل إفادة المستمع وهذا المعنى يسمى "الحجة المقومة"²، إن معاني الحجة تتمثل في أنها فعل استدلاي يتوجه به المتكلم إلى الغير من أجل إفادته.
- ولتبين العلاقة التلازمية بين الحجاج والتواصل فهناك ثلاثة نماذج تواصلية للحجة تتمثل فيما يلي:

- النموذج الوصلي للحجة تكون الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة وصل، أي يتم فيه نقل الحجة .
- النموذج الإيصالي للحجة: وظيفته إيصال الحجة كفعل استدلاي وتوجيهه إلى المستمع.

¹ - طه عبدالرحمن ،الحجاج والتواصل، ص5.

² -المرجع نفسه، ص6.

- النموذج الاتصالي للحجة: وينظر فيه للحجة بوصفها فعلا مشتركا بين المتكلم والمستمع¹. إن علاقة التواصل بالحجاج على ثلاث صور، الصورة الأولى هي نقل الحجة، أما الثانية فهي إيصال الحجة إلى المستمع والتأثير فيه، بينما الصورة الثالثة فدور الحجة فيها يتمثل في علاقة التأثير والتأثر بين المتكلم والمستمع من خلال الحجج وهنا تتجسد العلاقة الحقيقية للتواصل مع الفعل الحجاجي.

إن الحجاج يفيد التواصل، فكل موقف تواصلي يتضمن رسالة ومشاركين، أي دينامية حقيقية²، ولعله ولإيصال محتوى الرسالة أن نستعمل الوسائل الحجاجية لإقناع غيرنا وتوجيههم أو حتى تغيير وجهات نظرنا إن استلزم الأمر ذلك، فالكثير من المواقف التواصلية تستدعي الحجاج.

إن الحجاج بمعنى التحاج هو عملية تطبيق لنشاط اجتماعي يقوم الفرد فيه بتحقيق هذا التواصل، فالحجاج مهارة نقدية تقوم بمعالجة مختلف التطبيقات الاجتماعية³، فالحجاج ضرورة فكرية لعملية التواصل، كما أن الحجاج يكون في أغلب الأحيان ضمن موقف تواصلي، فكل منهما يستدعي الآخر.

¹ - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

² - فليب بروتون وجيل غوتيه، الحجاج في التواصل، ص 33.

³ - ايمرين وغروندست: التواصل والحجاج، ترجمة: عليوي أبا سيدي، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، ص280.

5. الحجاج والحوار

وردت كلمة حوار في لسان العرب كمايلي: "استحار الرجل أي استتطقه ويقال كلمته، فما رد إلى حوار، أي جواب، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام والمحاورة مراجعة المنطق في المخاطبة"¹، فالحوار هو المراجعة في الكلام وهو عملية تفاعلية بين متخاطبين.

أما طه عبد الرحمن اعتبر أن الحوار مسلمة من المسلمات الأساسية التي يقوم عليها الحجاج وفي ذلك يقول: "لا كلام مفيد إلا بين اثنين، لكل منهما مقامان هما: مقام المتكلم ومقام المستمع، ولكل مقام وظيفتان هما : وظيفة المعتقد ووظيفة المنتقد، بحيث إذا كان المتكلم معتقداً كان المستمع منتقداً، وإذا كان المستمع معتقداً كان المتكلم منتقداً"²، فالحوارية من مسلمات الخطاب الحجاجي لأن الحوار يكون بين شخصين أو أكثر، يهدف كل طرف إلى الحجاج والاستدلال على مواقفه وأفكاره ومعتقداته ومحاولة إقناع الآخر بها.

أما الباحثة فرانسوا أرمنيكو تقول عن الحوارية أنها "مكونا لكل كلام، وتعرف كتوزيع لكل خطاب إلى لحظتين توجدان في علاقة حالية، ويقدم المبدأ الحوارية من خلال الحدود التالية: كل تلفظ يوضع في مجمع معين لا بد أن ينتج بطريقة ثنائية، تتوزع بين المتلفظين الذين يتمرسون على ثنائية الإصااتة وثنائية العرض"³، ومعنى هذا أن الحوارية ظاهرة صميمية في كل خطاب بما فيها الخطاب الحجاجي.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (ح و ر)، ج4، ص218.

² - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 99.

³ - فرانسوا أرمنيكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعد علوش، مركز الانماء القومي، دط، ص 85.

ثالثا: علاقة الحجاج بمجاله الاستعمالي

بما أن الحجاج يعتبر ظاهرة متجسدة في مختلف أنواع الخطابات، فهو يتصل بحقول معرفية عديدة كالفلسفة، التداولية واللسانيات، ولا بد أن نبين طبيعة العلاقة التي تجمعها بهذه المجالات.

1. علاقة الحجاج بالفلسفة:

إذا كان الحجاج فعالية خطابية، فالقول الفلسفي يشكل حقا وإنجازا خاصا لهذه الفعالية، والأمر لا يتعلق بمقاربة فلسفية خارجية للحجاج بل ببعده الجوهرية في الفلسفة، وعليه فمن المحال تصور مذهب فلسفي أو تحليل فلسفي معدم الحجج بصرف النظر عن أساليب هذا الحجاج وقيمه¹. فالحجاج خاصية ملازمة للفلسفة وبعد جوهرية لها.

إن الممارسة الحجاجية والاستدلالية ليست مقصودة لذاتها فهي ليست غاية، بل هي وسيلة مبررة بغايات أخرى بعضها تعليمية وعقلية هدفها الإقناع والحوار، وبعضها الآخر منطقية فكرية هدفها الجدل والتحليل والنقد، وهذا ما تتطلبه روح التفلسف من وضع الإشكالات فلسفيا وتشبيد الأطروحات والمواقف وتدعيمها بالحجج والاستدلالات اللفظية². إن الحديث عن الحجاج في الفلسفة يتطلب الحديث عن اللغة والحقيقة والعقل، فالحجاج وسيلة من وسائل الفلسفة كما أنه غايتها.

لقد حاول فتغنشتاين في كتابه "رسالة منطقية" أن يبين أن وظيفة الفلسفة ميتا لسانية لأنها تقوم بالتوضيح المنطقي للقضايا المتعلقة ببنية العلم، فالعلم محدود بحدود اللغة، وأن ما لا نستطيع على التفكير فيه، لا يمكن أن نفكر فيه

¹ - حبيب أعرب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص 115.

² - المرجع نفسه، ص 116.

وبالتالي لا يمكن القول فيما لا نفكر فيه¹. إن تعيين حدود اللغة يعني حصر كل القضايا الواقعية التي يمكنها أن تُستوعب وهي القضايا المرتبطة بالعلم والقضايا الواقعية في الحياة اليومية، ويقع خارجها كل ما لا يكون بإمكاننا التعبير عنه في قضايا .

لكن رغم إقرار فتغنشتاين للوظيفة الميتالسانية للفلسفة، من منطلق أن الملفوظات الميتافيزيقية هي أشباه قضايا، فإنه سيعترف مع ذلك بوجود حقائق من طبيعة وجدانية يمكنها الظهور، وهذه كانت البداية لإعلانه عن تحرره من الطرح الوضعي المنطقي، وتبنيه لتصور جديد، إذ أصبحت اللغة وسيلة للتفاهم مع الآخرين والتأثير فيهم، فقد كانت وظيفتها فردية وأصبحت وظيفتها اجتماعية إذ يصرح ذلك بقوله: "إنني لا أقول بدون اللغة ما كنا نستطيع أن نتصل بعضنا ببعض فقط، بل إنني أقول أيضا دون اللغة لا يمكننا أن نؤثر في غيرنا من الناس على هذا النحو"²، وعليه لا يمكن اختزال الفلسفة في الجانب المنطقي الذي يعتمد على البرهان وهذا ما أكده غاستون غرانجي بقوله: "مادام المسلك الحجاجي للفلسفة غير مختزل في البرهنة، فسيكون باستطاعتنا التأكيد على أن الخطاب الفلسفي لا ينطلق من مبادئ صريحة أو بالأحرى بديهية، ولا يقود إلى أية حقيقة يقينية"³، فالحجاج يقوم على الحرية الفكرية من أجل الوصول إلى الحقيقة فهو لا يؤمن بالأحكام المسبقة، واليقينيات، بل يؤمن بالاحتمال كمنطلق له.

إن الحجاج الفلسفي هو انصهار أفق الذات مع أفق اللغة في النص الفلسفي، وقوة هذا الانصهار لا يعني استبعاد أفق القارئ أو المخاطب، ويكون

¹ – Ludwig Wittgenstein, Tractatus logico- philosophicus, Paris, Gallimard, 1971, p. 142.

² – Ludwig Wittgenstein philosophical investigations, Translated by G. E. M. AnescombeE, 3rd éd, Printed in Great Britain, Basil Blakwell, 1958, p137.

³ – Gaston Granger, Pour la connaissance philosophique, Paris, Odile Jacob, 1988, p241.

الحجاج قويا إذا استطاع استحضار القارئ إلى سياقه واستدراجه، وإشراكه ضمنا في صناعة قرار الفعل المترتب عن إنجاز اللغة لأغراضها، ثم دفعه إلى الانخراط في الصيرورة التاريخية للخطاب الفلسفي¹. فالتفلسف هو التحاجج لأن كلاهما يتطلب استحضار المتلقي ليتخذ موقفا معينا من أطروحة ما استنادا إلى قوة العقل.

إن الحجاج هو ممارسة متجذرة في ثانيا اللغة الطبيعية، وكثيرا ما يصدر من مقدمات احتمالية أو مشهورة، ويستمد قيمته من المفاهيم ومن حججها المختلفة وتتداخل فيه عناصر مختلفة منها ما يتعلق بالحقل الخطابي ومنها ما يتعلق بالحقل التحليلي، فالحجاج الفلسفي يحاول التوفيق بين جانب خطابي وجانب منطقي صارم.

إن التفلسف يعتمد على المساءلة والمناظرة والجدل والأشكلة ليحافظ على ديمومته، ويتخذ من اللغة مبدأ المساءلة، هذه اللغة هي التي تعطي للحجاج قوته، وقوة الحجاج تحول اللفظ إلى مصطلح والمصطلح إلى المفهوم والمفهوم إلى مقولة والمقولة إلى نظرية والنظرية إلى منهج والمنهج إلى مذهب². وعليه فالحجاج لا يرتبط بالحسابات الصورية بل يرتبط بالجدل والمناقشة والمواجهة بين الأفكار والمواقف عن طريق جمع الحجج من أجل التأييد أو الدحض.

¹ - عمارة الناصر: الحجاج والبلاغة مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص166.

² - عمارة الناصر، الحجاج والبلاغة، ص ص 128-129.

2. علاقة الحجاج بالتداولية¹:

ورد في القاموس الموسوعي للتداولية مفهومها كالتالي: "هي دراسة علم استعمال اللغة مقابلا دراسته النظام الذي تعنى به تحديدا اللسانيات"². أي أن التداولية تولي أهمية لدراسة الجانب الاستعمالي للغة خلافا للسانيات التي تهتم ببنية اللغة ونظامها.

أما السيميائي الأمريكي تشارلز موريس (1903-1979) فاعتبرها جزءاً من السيميائية وأحد مكوناتها: "تهتم بدراسة العلاقة بين العلامات وبين مستعملها أو مفسريها (متكلم، سامع، قارئ، كاتب...)" وتحديد ما يترتب عن هذه العلامات³، فهي تهتم بجميع شروط الخطاب، وتعتمد أسلوباً معيناً في فهمه إذ تقوم بدراسة كيفية استخدام اللغة وبيان الأشكال اللسانية والتي لا يتحدد معناها إلا بالاستعمال.

أكد هابرماس (1929 -) أن التداولية هي المنطق الجديد الذي يحكم العلوم الاجتماعية لأنها تحقق التفاهم و تربط الملفوظ بواقعه أي بسياقه ومحيطه وفي هذا الصدد يقول: "إن ما يحقق إثباته نسميه واقعا، والواقع هو ما يشكل حقيقة ملفوظ ما، لذلك نقول بأن الملفوظات تترجم وتصف وتعبر عن وقائع"⁴.

أما فليب بلانشي وغوفمان فيعرفانها: "التداولية مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية، وهي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية

¹ - تعددت تسميات التداولية في اللغة العربية فهي مقابلة للمصطلح الفرنسي Pragmatique ، فقيل البراغماتية، والبراغماتيك والبراجماتية والبراجماتيك، وليس من بين هذه المصطلحات من فرق وهناك من قابلها بالتداولية، المقامية، السياقية ، الذرائعية، النفعية (خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة ، الجزائر، ط1، 2009، ص65).

² - أن ريبول وجاك موشلار: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين التونسيين، إشراف: عز الدين مجدوب، دار سيناترا، تونس، ط1، 2010، ص21.

³ - فرانسوا أرمنيكو، المقاربة التداولية ، ص 8.

⁴ - Jürgen Habermas, Logique des sciences sociales, Paris, éd PUF, 1978,p 277.

التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية و المقامية"¹. إنها تخصص لساني تهتم بكيفية استخدام الناس الأدلة اللغوية في طلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما تهتم كذلك بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث.

أما طه عبد الرحمن فقد عرفها بأنها: "الدراسات التي تختص بوصف إن أمكن تفسير العلاقات التي تجمع بين الدوال الطبيعية ومدلولاتها وبين الدالين بها"²، أي أنها تهتم بجميع جوانب اللغة، ويعتبر طه عبد الرحمن أول من أدخل مصطلح التداوليات إلى اللغة العربية، حيث قال: "قد وقع اختيارنا منذ سنة 1970 على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي براغماتيقا لأنه لم يوف حقه المطلوب باعتبار دلالاته من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم"³.

إن العلاقة بين التداولية والحجاج علاقة وطيدة جدا لأنه إذا كان الحجاج فعلا استدلاليا هدفه إفادة المستمع وإقناعه، فإن المجال التداولي يعد مجالا أرحب وأوسع للوصف الاستدلالي للمتكلم والسامع والذي تدل عليه الحجة في أدوات لغوية خاصة، لهذا فالانتقاء بين المجال الحجاجي والمجال التداولي يعتمد بالأساس على تصور المعنى من خلال ربطه بظروف المقام والسياق⁴. وهكذا فالتداولية تعالج الفعل الحجاجي من خلال علاقة هذا الفعل بالظروف التي أنشأته حتى يتضح المعنى وتعتبر التداولية هي المجال الأوسع للممارسات الحجاجية.

إن التداوليات بالرغم من اتساع مجالها و عدم ضبط حدودها إلا أنها تدعم انتماء النص الحجاجي إلى مباحثها من خلال ما يهتم به من مقاصد المتكلم

¹ -فليب بلانشي وغوفمان، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007، ص18.

² - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد الكلام، ص28.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، ص 86.

وأفعال اللغة وظروف السياق فالتداولية هي: " العلم الذي يُعنى بالشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وناجحة وملائمة في الموقف التواصلية الذي يتحدث فيه المتكلم"¹، إن دراسة الحجاج في الخطاب تتعلق بالتداولية، فالخطاب الحجاجي يخضع ظاهريا وباطنيا لقواعد وشروط القول والتلقي، لهذا يمكن القول إن الحجاج نشأ تحت مظلة التداول .

إن التداولية تتناول الفعل الحجاجي خارج النظام الداخلي للغة، أي في علاقته المرجعية المرتبطة بشروط الاستعمال، وعليه تصبح القيمة الدلالية للفعل الحجاجي سياقية أي داخل السياق الذي ورد فيه، كما تهتم التداولية بالقصد، لأن الفعل الحجاجي قصدي كذلك، فلا وجود لحجاج خارج التداولية.

3. علاقة الحجاج باللسانيات:

تعرف اللسانيات بأنها: " علم يدرس اللغة دراسة موضوعية غرضها الكشف عن خصائصها وعن القوانين اللغوية التي تسير عليها ظواهرها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والاشتقاقية والكشف عن العلاقات التي تربط هذه الظواهر بعضها ببعض"²، فاللسانيات هي الدراسة الموضوعية للغة، تقوم بوصفها وتحليلها.

إن اللسانيات لا تهتم بدراسة الاستعمال، بل تركز على دراسة النظام الصوتي والتركيبية والدلالي، فالصوتية تدرس النظام الصوتي المتحكم في التوليف بين الأصوات، ويدرس التركيب نظام القواعد الموجود في النحو وهو مجموعة قواعد نحوية تحدد نحوية الجمل في لسان ما، أما الدلالة فتعنى ببنية المعجم وبالمبادئ والقواعد المتحكمة في اسناد دلالة جملة انطلاقا من دلالة الكلمات

¹ - عمر رتيمي: مدخل إلى الحجاج بحث في تعالق الحدود، مجلة أسنة للبحوث والدراسات، العدد14، جوان 2016، الجزائر، ص197.

² - وليد محمد السراقي: الألسنية، دار مخطوطات العتبة، لبنان، ط1، 2019، ص 16.

المكونة لها¹، إن اللسانيات تهتم بدراسة ثلاثة جوانب أساسية تتمثل في الجانب الصوتي وبحث في الحروف وطريقة نطقها وقوانين تبدلها وتطورها في كل لغة من اللغات، والجانب التركيبي يدرس العلاقات الداخلية بين الوحدات اللغوية والطرق التي تتألف بها الجمل من الكلمات، إذ يهتم بالقواعد المألوفة في تركيب الكلمات، أما الجانب الدلالي فيهتم بالمعنى.

إن المقاربة اللسانية تنظر للحجاج كظاهرة لسانية نصية، إذ تقف عند العناصر والروابط الحجاجية باعتبارها أدوات لسانية، فالتحليل اللساني للحجاج يتخذ من النصوص وكيفية إنتاجه الموضوع الرئيسي، ويسعى هذا التحليل إلى صوغ قواعد ومعايير قراءة النص الحجاجي لسانياً²، فهي تدرس النص وتقوم بتحليل الجمل والأدوات اللغوية بتحليل الجانب الحجاجي المتضمن فيها.

إن المقاربة اللسانية تؤكد أن اللغة وظيفتها حجاجية، فالقيمة الحجاجية لقول ما ليست حصيلة المعلومات التي يقدمها فحسب، بل إن الجملة بإمكانها أن تشتمل على تعابير وصيغ بالإضافة إلى محتواها الإخباري، فيه تصلح لإعطاء توجيه حجاجي للقول وتوجيه المتلقي في هذا الاتجاه أو ذاك³. وعليه فالجملة تحمل إلى جانب الوظيفة الإخبارية وظيفة أساسية أخرى هي الوظيفة الحجاجية، فعندما نتكلم فنحن نحاجج.

إن الحجاج يزخر ويزدهر في مجالات أساسية هي الفلسفة والتداولية واللسانيات، باعتبار أن الفلسفة كتفكير عقلي نظري تهتم بالقضايا الأساسية الجوهرية المتعلقة بالإنسان، فكل فيلسوف أو مذهب أو نسق فكري أو اتجاه لا بد

¹ - آن ريبول وجاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 23.

² - حبيب أعرب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص ص 103-104.

³ - المرجع نفسه، ص 105.

له من تقديم الحجج العقلية المقنعة حول قضية أو أطروحة ما وهذا لإقناع الغير، فالفلسفة كتفكير أدواتها الأساسية الحجاج، أما التداولية كمجال أساسي يهتم باستعمال اللغة، فهي تهتم بسياق الكلام وقصد المتكلم، تعد مجالا واسعا للممارسات الحجاجية، فلا ينمو ولا يظهر الحجاج ولا يزدهر إلا في مجال التداول والاستعمال، أما اللسانيات كعلم نظري يهتم باللغة في حد ذاتها كبنية تركيبية بعيدا عن استعمالها وسياقاتها، إلا أنه يهتم بالحجاج باعتبار أن هناك تراكيب لغوية تحمل في بنيتها طابعا حجاجيا كأدوات الاستنتاج مثلا.

الفصل الأول

تاريخ الحجاج في الفكر الفلسفي الغربي

المبحث الأول: الحجاج في الفلسفة اليونانية

المبحث الثاني: الحجاج في الفلسفة الوسيطة و الحديثة

المبحث الثالث: الحجاج في الفكر الغربي المعاصر

تمهيد:

لقد ظهر الحجاج منذ القديم نظرا لأهميته واختلفت آلياته وأساليبه وآلياته من مرحلة فلسفية إلى أخرى، إذ اهتم الفكر الفلسفي اليوناني القديم بموضوع الحجاج اهتماما بالغاً، ويظهر ذلك من خلال الأعمال الجادة التي قدمها فلاسفة اليونان خصوصاً أفلاطون وأرسطو من أجل محاربة المغالطات السفسطائية، وقد ارتبط الحجاج لديهم بحقل البلاغة والخطابة والجدل والإقناع، إذ وضعوا اللبنة الأولى للأساليب الحجاجية، وبذلك أصبحت هذه الأسس المرجعية الأساسية لمن جاء من بعدهم .

ولهذا نتساءل:

- ١- كيف تجلت الممارسة الحجاجية عند فلاسفة اليونان، وماهي أساليب وآليات أدائها؟ وما الفرق بين توجهاتها؟
- ٢- بما تميزت أساليب الحجاج في الفترة الوسيطة و المعاصرة؟

المبحث الأول: الحجاج والمغالطة عند السفسطائيين:

1. مفهوم السفسطة:

من خلال تناولنا لنشأة الفكر الفلسفي السفسطائي وأهم مرتكزاته الفكرية نصل إلى مفهوم السفسطة، فهي في الأصل اللغوي مشتقة من كلمة Sophos وتعني الحكمة، والحكيم هو الناظر في حقيقة الوجود نظرة شمولية غايتها الإحاطة بالمبادئ الأولى كما هي فعلاً، ذلك أن السفسطائي حين يتسمى بهذا الاسم فهو يدعي إدعاءً صريحاً بلوغ مرتبة الحكمة، عكس الفيلسوف الذي يصر على إضافة كلمة Philo ومعناها محبة حرصاً منه على روح التواضع وتجسيداً منه لماهية الفلسفة باعتبارها البحث الدائم عن الحقيقة الذي لا يصل إلى حد التطابق معها¹. ومن هذا المنطلق وصل أرسطو إلى تعريف السفسطة على أنها استدلال صحيح في الظاهر معتل في الحقيقة²، فالسفسطة من العمليات الاستدلالية التي يقوم بها المتكلم، وتكون منطوية على فساد سواء في المضمون أو الصورة.

وفي تلخيص ابن رشد لكتاب السفسطة لأرسطو يقول أن: "الغرض من هذا الكتاب هو القول في التبكيات السفسطائية التي ظن أنها تبكيات حقيقية وإنما هي مضللات"³، ويشرح أرسطو التبكيت من خلال مقارنته بالقياس فيقول: "أما القياس فهو قول من أشياء موضوعة، يلزم عنها شيء آخر من الاضطرار، والتبكيت هو قياس يتضمن مناقضة للنتيجة"⁴. إن التبكيت هو مغالطة لا حقيقة، هدفه نقض القياس لا الوصول إلى الحقيقة اللازمة.

¹ - رشيد الراضي: الحجاج والمغالطة، من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتب الجديدة المتحدة، ليبيا، ط1، 2010، ص 12.

² - أرسطو: السوفسطيقا، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، ط1، 1980، ص 774.

³ - ابن رشد: تلخيص السفسطة، تحقيق: محمد سالم سالم، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ط1، 1973، ص 2.

⁴ - أرسطو: السوفسطيقا، ص 776.

إن السفسطة عند أرسطو تتخذ صورة محددة، وبذلك تختلف عن الخطابة، فقد توصل أرسطو بعد دراسة محكمة لأساليب الحركة السفسطائية في التفكير، وطرائقها في الاستدلال، وحيلها في غلبة الخصوم، وذلك من أجل كسر معتقداتهم، وكانت هذه الدراسة ضمن أعماله المنطقية التي قام بها تلامذته، وترتيبها في مجموعة واحدة تحت اسم الأورغانون¹. فالغرض من دراسة السفسطة هو معرفة الحيل التي يلجأ إليها السفسطائي، من أجل تفادي الوقوع في حيله المغلطة .

إن السفسطائي يلعب على الالتباسات وعلى تخليط المعاني تبعاً للدعوى التي ينصرها، وهذا يعني أن الالتباس في عبارة السفسطائي مقصود، لذلك تصدى له أرسطو وعمل على رفع بيان جهاته، ومن أجل ذلك قام بفضح خدعهم في الاستدلال التي تحجبها اللغة والتي تعد نسقا مولدا للالتباس، وما ذلك إلا تنبيهها على أن القول الواحد له مدلول واحد².

السفسطة من حيث الصورة عبارة عن نوع من الأقيسة المغلطة، والقياس كما يعرفها ابن رشد في كتابه تلخيص السفسطة: "إنه قول إذا وضعت فيه أشياء أكثر من واحد لزم عنها بذاتها، لا بالعرض، شيء آخر غيرها اضطرارا"³، فالقياس استدلال على صحة نتيجة انطلاقاً من مقدمات صحيحة .

أما القياس المغلط الذي يختص به السفسطائيين فيعرفه ابن رشد: "هو القياس الذي يلزم عنه نتيجة هي نقيض النتيجة التي وضعها المخاطب، وذلك أنه

¹ - رشيد الراضي: الحجاج والمغالطة، ص 63.

² - محمد أسيداه: السفسطائية وسلطان القول، مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، إشراف: حافظ اسماعيل علوي: عالم الكتاب الحديث، عمان، ط1، 2010، ص 53.

³ - ابن رشد: تلخيص السفسطة، ص 4.

إذا لزمنا عن المقدمات التي اعترف بها المخاطب، فيلزمه عن ذلك أن يكون الشيء بعينه موجودا كذا وغير موجود كذا¹.

إن المخاطبة السفسطائية عموما تدور في المغالطات التالية:

- إلزام المخاطب أمرا شنيعا معلوما بكذبه.
- إيقاع المخاطب في الشك.
- جعل المخاطب يدلي بكلام مستحيل المفهوم .
- تبييت المخاطب.

2. نشأة الفكر السفسطائي وأهم مرتكزاته:

إن الحديث عن السفسطة يحتل مساحة معتبرة من الخطاب الفلسفي في ظاهرة الحوار والحجاج، وقد ظهرت الحركة السفسطائية في مطلع القرن 5 ق.م، وذلك بعد انهيار حكم الأقلية الأوليغارشية وبروز الحكم الديموقراطي في أثينا²، فإذا كان التفكير الفلسفي في مرحلته الطبيعية موجهاً نحو الطبيعة، فإن السفسطائيين وجهوا الإنسان للبلاغة، ونحو الغموض الذي تتيح له إمكانات اللغة وطاقاتها، لإخصاب دوائر الحوار والتي تتمثل في السّجال، النقاش، المناظرة والجدل، لذلك فهم أولى بالوصف الذي أخذه سقراط، فهم الذين أنزلوا التفكير الفلسفي من عرش الآلهة إلى أرض الإنسان وحاجاته المادية والأخلاقية³، وعليه أصبح الاهتمام موجهاً إلى الإنسان وتفكيره بدل الطبيعة والكون.

¹ - ابن رشد: تلخيص السفسطة، ص 5.

² - أحمد يوسف: البلاغة السفسطائية وفتاحة الحجاج، مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، الجزء 2، الحجاج مدارس وأعلام، إشراف: حافظ اسماعيل العلوي، دار الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص1.

³ - أحمد يوسف: البلاغة السفسطائية وفتاحة الحجاج، ص21.

إن السفستائيون لم تخلق فلسفتهم من العدم وكانت نتيجة انتزعوها من بيئتهم، فكانوا صورة لعصرهم، ولسانا ناطقا لما كان يخالج النفوس ذلك الوقت، فلم يكتف السفستائيين بأن يكونوا منظرين أو مفكرين، وإنما كانوا معلمين محترفين يتاجرون بثقافتهم، إذ كانت لهم القدرة على إقناع القضاة وتغيير رأي الجماعة، فقد كانت مهمتهم سياسية بالأساس¹.

إن البلاغة المغالطية في نظر خصومها تسوق الأكاذيب من أجل الوصول إلى السلطة واكتساب المال، إذ تقدم نفسها على أنها فن يمتلك القدرة على إقناع المتلقي والتأثير فيه، فهي تقوم بإعداد القادة إعدادا خطابيا من أجل القيام بمهامهم². ومن هنا نجد أن الخطاب المغالطي يؤمن بالتعدد، وهذا التعدد راجع لعدم إيمانهم بوجود حقيقة مطلقة، وعليه فالحقيقة إما أنها غير موجودة، وإما أنها غير قابلة للتوصيل والتبليغ، ومن هنا تجد نفسها ملقاة في حضيض النسبية.

إن الخطاب المغالطي قائم من أجل الغلبة في النظام اللغوي، ولا شك أن الرهان على هذه الغلبة، يقتضي اللجوء إلى استعمال عدواني للغة، وهنا يقوم السفستائي باستغلال الألفاظ المبهمة والمشتركة حتى يتمكن من تنفيذ عمله المشين³. لذلك اعتُبر السفستائيون مؤسسي علم البلاغة، فقد قصدوا تعليم الشباب كيف يخدمون الفكرة كائنة ما كانت وبأي وجه، سواءً بالحق أو الباطل، فكان دورهم مثل المحامي الذي يخدم قضية من أي سبيل.

وعليه أصبح المعنى في هذه البلاغة يكمن فيما تضمنته مقصدية الخطاب والمتكلم على حد سواء، وعلى هذا الأساس يصبح المعنى يتداوله، وذلك من خلال

¹ - فليب بروتون: جيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، ص 23.

² - أحمد يوسف: البلاغة السفستائية وفتاحة الحجاج، ص 24.

³ - محمد أسيداه: السفستائية وسلطان القول، ص ص 52-53.

سحر العقل بالكلمات، وهنا أضحى الخطاب يكتسي طابعا لا يعرف الاستقرار على حال، إذ صارت الحقيقة عرضة لكل نقص، فلم يعد الخطاب سلطة على العلامة الحاملة لإشارات الطبيعة بأبعادها الوجودية، بل عوضت هذه البلاغة خسارتها برمز الإنسان¹، فالحجاج المغالط يقوم بتزييف الأقوال فهو حجاج قائم على التملق، والتملق هو تسلط بالقول على كل ما هو مقتنع. إن المغالط يقوم بإقناع خصومه بأفكاره وآرائه باستعمال أساليب التسلط والتملق، فلا تعنيه الحقيقة في ذاتها وإنما هي غاية لتحقيق أهدافه وأغراضه.

إن دلاليات جورجياس تقوم على متصورات وجودية عدمية قاعدتها الأساسية: "لا يوجد شيء وإذا وجد لا يفهم، وإذا فهم لا يفهم"²، لذلك يؤكد أنه ليس من الضروري أن تعلم شيئا عن الموضوع لتجيب، فباستطاعة أي شخص أن يجيب عن كل شيء يسأل عنه، لذلك كان المغالطون يعلمون الناس كيف يكسبون خصومهم بكل الوسائل واللعب بالألفاظ، بالاستعارات والكنائيات الجذابة بخداع المنطق وتمويه الحقيقة، ومن هذا المنطلق يسمى اللعب بالألفاظ والتناقض في الحجج سفسطة اشتقاقا من لفظ السفسطائي.

إن هذا الجبر الدلالي ناتج على أن المغالطية لا تقول بالمحسوس ولا بالمعقول، كما أنها تنفي الكينونة، وهذا ما أكده الغزالي بقوله: "ومن السفسطائية من أنكر العلوم الأولية والحسية، تعلمنا أن الإثنين أكثر من الواحد، وإما أن يكون الشيء قديما وحديثا، فهؤلاء دخلهم الخلل من سوء المزاج، وفساد الذهن بكثرة التحيز في النظريات"³، وعليه فالبلاغة المغالطية تنظر إلى الحقيقة العقلية على أنها تتطوي على التناقض، إذ لا تتمتع بالموضوعية فهي خالية من المنطق، فلم

¹ - أحمد يوسف: البلاغة السفسطائية وفاتحة الحجاج، ص 25.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - أبو حامد الغزالي: معيار العلم في المنطق، بيروت، دار الأندلس، ط3، 1998، ص 162.

يعد المرء يقتصر على الاستماع ليتعلم ويتصل بالحقيقة، إذ أصبح يفسر الكلام ويؤوله ويميز فيه الحقيقة عن الباطل كما تظهر وتبين له.

"إن الخطاب المغالطي انتقل من الوجودية الداعية إلى واحدة المعنى¹ في تفسير نشأة الوجود، إلى فلسفة الصيرورة، التي تقول بفيض الدلالة، دون أن تكون هذه الصيرورة وهذا الفيض الدلالي نابعين من نسق فلسفي تحدده مرجعية واضحة المعالم"²، فليس هناك وجود خارجي مستقل عما هو موجود في أذهاننا، فما يظهر للشخص على أنه الحقيقة يكون هو الحقيقة ذاتها، وإن اختلفنا في رؤية الشيء فما أراه أنا حقًا بالنسبة لي، وما تراه أنت حقًا بالنسبة لك. وهذا ما أكده بروتاغوراس في نظريته فقال: "ليس هناك خطأ، بل مستحيل وجود الخطأ، فما تراه صواب لك، بل لفظتي الخطأ والصواب لا معنى لهما"³.

لقد رفعت المغالطية شعار "الإنسان مقياس كل شيء"، وعليه رفضت كل القيم الموضوعية والمعايير الثابتة سواء في الفكر أو الاعتقاد أو الأخلاق، فالحقيقة هي ما يراه الفرد حقيقة وعليه انتهت هذه الحركة إلى التأكيد على اللجوء إلى الحيل الخطابية والألاعيب القولية لتحقيق المصالح الشخصية، فبرعوا في توظيف الأساليب البلاغية والخطابية والتقنيات اللغوية من أجل كسب تأييد الجمهور وحشد المناصرين في المعارك السياسية التي كانت أثينا مسرحا لها⁴. إن الهدف الأساسي للسفسطة هو الغلبة في المناقشة أو المجادلة في كل الأقوال والأفعال، فالمغالطة

¹ - إن إثبات المعنى وواحديته مرده إلى مرتكزات التفكير الفلسفي قبل السوفسطائيين، لأنهم يتصورون أن الأصل قار والمصدر الذي ينبثق منه الوجود معلوم، وقصارى ما ينتهي إليه العقل أن يستكشف هذا الأصل ويعقل فقه الوجود.

² - أحمد يوسف: البلاغة السفسطائية وفاتحة الحجاج، ص 20

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - رشيد الراضي: الحجاج والمغالطة، ص 13.

فعل، وأن تتكلم يعني في الآن نفسه أن تؤثر وتفعل، إنها تنقل من حال إلى حال أفضل، فالخطاب المغالطي صانع يصنع العالم ويجعله يجري ويحدث.

3. أنواع المغالطات:

يذهب أرسطو إلى أن السفسطائيين: "يجادلون ويحاولون الغلبة في المناقشات في خمسة أغراض: الغبط والغلط ومخالفة الرأي المشهور والاستعجاب وإيقاع الخصم في الهدر المحض، أو قل في كل حالة، يتبعون المظهر بدل الحقيقة"¹، فالسفسطائيون يحاولون التلاعب بالألفاظ وتغليط الناس والابتعاد عن الحقيقة.

إن الأنحاء والمواضع التي يحصل فيها التبكيت السفسطائي حسب أرسطو نوعان منها ما يكون من قبل الألفاظ من خارج ومنها ما يكون من قبل المعاني.

1.3. السفسطات من جهة الألفاظ:

إن السفسطات التي تكون من جهة الألفاظ تحدد كالتالي :

أ. **إشتراك اللفظ المفرد:** إذ أن اللفظ الواحد قد يدل على عدة معان، وهنا يعتمد السفسطائي إلى اللعب على هذه الخاصية، فيوهم المخاطب قد قصد أمورا معينة بالوجه الذي يفيد مقاصده².

وكمثال على ذلك نأخذ المثال الذي قدمه ابن رشد:

" بعض الشر واجب والواجب خير، فبعض الشر خير"³

¹ -Aristote : Les réfutations sophistiques, tr par trico , Vrin, 1977 , p17.

² - رشيد الراضي: الحجاج والمغالطة ، ص 66.

³ - ابن رشد : تلخيص السفسطة ، ص 17.

فالمغالطة في هذا المثال أن اسم "الواجب" اسم في المعنى الأول يدل على الضروري، أما المعنى الثاني فيدل على الأخلاقي أي ما ينبغي أن يكون .

ب. اشتراك اللفظ المؤلف: وهو بدوره ينقسم إلى عدة أوجه، فمنه ما كان من قبل التقديم والتأخير مثل قول: الحيوان إنسان، انطلاقاً من كون الإنسان حيواناً، ولكن هذا التقديم والتأخير لا يجوز، ومنه ما كان راجعاً إلى احتمال الضمير لأكثر من معنى، أي اشتراك الإحالة كما نجد في قول القائل: إذا أعارني زيد حصانه أكرمته"، حيث إن السفسطائي يوهم المخاطب أن يكرم زيداً وهو في قرارة نفسه ينوي إكرام الحصان¹. كما قد يكون لاشتراك من قبل الإضافة مثل قول: أعجبنى ضرب زيد، وهنا احتمالان إما أن يكون زيد مضروباً أو ضارباً، إن السفسطائي يحتاج ويقنع غيره بالحقيقة الزائفة التي يحاول الوصول إليها من خلال التلاعب بالألفاظ.

ج. أفراد القول المركب: ذلك أن القول المركب إذا أسند على شيء دلّ على أمر معين، وإذا أفرد دلّت مفرداته على أمر آخر²، ومثال ذلك:

- زيد عبد حر

- زيد عبد وحر

فالمعنى الأول مختلف عن المعنى الثاني .

يؤكد ابن رشد أنه: "ليس يلزم إذا صدق القول المركب على شيء أن تصدق أجزاؤه مفردة على ذلك الشيء"³.

¹ - رشيد الراضي: الحجاج والمغالطة، ص 67.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - ابن رشد: تلخيص السفسطة، ص 21.

د.القسمة: و"هي أن تكون أشياء إذا حملت مفردة على أجزاء الشيء صدقت، أو على الشيء بأسره صدقت، إلا إذا ركب بعضها إلى بعض كذبت، فيوهم المغالط أنها إذا صدقت مفردة أنه يلزم أن تصدق مركبة"¹. وكمثال على ذلك العدد 5 هو مجموع 2 و3 وإذا كان صحيحا أن 2 و3 هما زوج وفرد على التوالي، فيلزم عن ذلك أن 5 هي زوج وفرد معا، وهذا ما يمثل مغالطة قسمة ، لأن ذلك إيهام بأنه إذا كانت العناصر في حال أفرادها صحيحة فإنها تتسحب في حال التركيب².

هـ الإعجام: وهو ناتج عن خصائص مميزة للنشاط اللغوي سواء في النطق أو الكتابة ، إذ أن المعنى يتغير في حال تغيير بعض السمات في بنية العبارة ، كأن يتغير اللفظ من المد إلى القصر ومن التشديد إلى التخفيف³، ومثال ذلك :
خاطب الرجل المرأة .

خطب الرجل المرأة

هناك اختلاف في المعنى فالأولى مقصود بها الحوار والثانية طلب للزواج وشتان بين المعنيين .

مثال 2 : عرّف الرجل الثوب

عرف الرجل الثوب

الأول بتشديد الراء يفيد طيب بالمسك، والثاني بتخفيف الراء يفيد التعرف⁴.

¹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - محمد النويري : الأساليب المغالطية ، مدخلا في نقد الحجاج ،مقال ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية منذ أرسطو إلى اليوم، ص 444.

³ - ابن رشد : تلخيص السفسطة ، ص23.

⁴ - رشيد الراضي : الحجاج والمغالطة ، ص 68.

و. شكل الألفاظ: كأن تكون صيغة لفظ المذكر هي صيغة لفظ المؤنث، أو صفة لفظ المفعول صيغة لفظ فاعل، فيوهم أن المذكر مؤنثا والمفعول به فاعل¹، وكمثال على ذلك : سيشهد الحفل حضور علامة.

فقد يؤول المسفسط ذلك أن الأمر يتعلق بحضور امرأة عالمة، مع أن التاء هنا هي للنقل من الوصفية إلى الاسمية وليست تاء تأنيث².

2.3. السفسطات من جهة المعاني:

إن التبكيث السفسطائي من جهة المعاني هو انزياح صريح لصورة التبكيث الصحيح ، وهذا الأخير يشترط أموراً ثلاثة هي:

- صحة الشكل.

- صدق المقدمات

- أن يكون النقيض المنتج نقيضاً بالحقيقة للشيء المعترف به³.

وانطلاقاً من هذا الأساس تحصل السفسطة من جهة المعاني بخرق هذه الشروط أي بما يلي:

- الخروج عن الشكل الصحيح للقياس: ومثال ذلك: المصادرة على المطلوب وذلك بجعل مقدمة القياس هي نفسها النتيجة المطلوب اثباتها ومثال ذلك قولنا: "الدين أفيون الشعوب، لأن وظيفته تخدير عقول الناس"⁴.

- الاحتيال على المقدمات: وهنا يقوم المغالط بأخذ المقيد كما لو كان مطلقاً، فبعض القضايا تصبح مقيدة بشروط محددة وإذا انتفت هذه الشروط بطلت

¹ - ابن رشد : تلخيص السفسطة ، ص 24.

² - رشيد الراضي: الحجاج والمغالطة ، ص 68.

³ - ابن رشد: تلخيص السفسطة، ص 64.

⁴ - رشيد الراضي: الحجاج والمغالطة ، ص 69.

القضية من أصلها، وهنا يوهم المسفسط المخاطب أنه قصد المعنى في إطلاقه، فيقوله مالم يقل.

وكمثال على ذلك: أن يقول أحدهم إن إيمان الانترنيت آفة معاصرة، فينقل المسفسط كلامه بوجه آخر ثم يقول: فلان يعتبر الانترنيت آفة العصر، إنه ضد التقدم والحضارة¹.

- أن تؤخذ النتيجة التي ليست نقيضا لما سلم به الخصم على أنها نقيض وهذا الجانب يرتبط به وجهان للتغليب هما:

- إن التقابل الصحيح يقتضي الاشتراك في الزمان والمكان، وإذا لم يراع هذا الشرط يحدث غلطا في القياس، وكمثال على ذلك: ليس صحيحا أن زيذاً كان يدخن، إذن فزيد لا يدخن، فليس هناك اشتراك في الزمان بين القضيتين المتناقضتين، "زيد كان يدخن"، و"زيد لا يدخن"، فالأولى وردت في الماضي والثانية في الحاضر².

- أن تؤخذ مسألتان أو أكثر في مسألة واحدة أو العكس، وذلك أن بعض المسائل تقتضي الإجابة عليها تفصيلا ينظر في أحوالها ووجوهها المتعددة واحدة، فيعمد المسفسط إلى استدراج المخاطب للإجابة عليها كما لو كانت مسألة واحدة مما قد يوقعه في شناعات فيلحقه التبكيث وينقطع³

وكمثال على ذلك:

هل الأطباء يتقنون أعمالهم، هل العلم يصل إلى الحق؟ هل أفعال الإنسان اختيار أم اضطرار؟

¹ - المرجع نفسه، ص 70.

² - المرجع نفسه، ص 71.

³ - المرجع نفسه ، ص 71.

فغالبا ما تكون إجابة الإنسان حول هذه الأسئلة متنوعة مما يجعله معرضا للتعميم وهنا يسهل على المسفسط إيقاعه في الأخطاء والمغالطات.

إن التعاليم السفسطائية تعاليم هدامة لكل نظام اجتماعي أو ديني أو أخلاقي، فقد كانوا مثار السخّط لكل من أتى من بعدهم من الفلاسفة و موضوعا لانتقادهم وفهم تعاليمهم، ولكنهم من جهة أخرى استطاعوا نشر التعليم في بلاد اليونان، إذ هيجوا الأفكار للبحث والمناقشة وبذلك مهدوا الطريق لتعاليم سقراط وأفلاطون، وبذلك مهدت هذه البلاغة لظهور المنطق الأرسطي الذي قام بدحض تهافت المعنى، وبوضع مبادئ عامة للعقل حتى لا يضيع في هباء التأويل ووضع أسس صلبة للتفكير حتى يتم الاهتداء إلى القيم الموضوعية للحقيقة والتركيز خاصة على مبدأ الهوية حتى يتطابق الذهن مع الواقع¹.

ثانيا- الحجاج والجدل عند أفلاطون:

ينطلق الفكر الحجاجي عند أفلاطون من خلال عدائه الكبير للحركة السفسطائية، إذ رفض أفكارها وقد تناول ذلك في محاوره جورجياس، كما أنه تجاوز الفكر السفسطائي ليقدم نظريته في الحجاج من خلال محاوره فيدروس.

¹ - هشام الريفي: الحجاج عند أرسطو، ص 78.

1. نقد البلاغة السفسطائية:

للتعرف على الفكر الحجاجي الأفلاطوني لابد أولاً الولوج إلى موقف أفلاطون من الحجاج السفسطائي، إذ قام في القسم الأول من محاورة جورجياس المعنون بسقراط وجورجياس بالبحث عن تعريف دقيق للبلاغة إذ يقول: "البيان هو فن القول في الفنون التي يكون فيها الكلام هو الشيء الأهم وعلى وجه الأخص في الفنون التي تتصل بالأمور السياسية، وهو في هذه الأمور على الأخص عامل إقناع، ولكن أي إقناع ينتج؟ أهو الإقناع الذي يعلم أو الإقناع الذي يعتقد به الإنسان، الفرق بين الاعتقاد والعلم أن البيان يؤكد الاعتقاد"¹ أي أن البلاغة تتعلق بالسياسية هدفها الإقناع بواسطة الظن والاعتقاد فهي لاتصل إلى الحق.

لقد فحص أفلاطون موضوع الخطابة في ضوء المقابلة بين العلم والظن، وذكر أن الإقناع نوعان: إقناع يعتمد العلم وإقناع يعتمد على الظن، وهذا الثاني أي الإقناع بالاستناد إلى الظن هو موضوع الخطابة السفسطائية، لقد شبه أفلاطون الخطباء السفسطائيين بالطغاة إذ يقتلوا من يريدون ويسلبوا وينفوا من يريدون²، وعليه نقد أفلاطون للبلاغة هو نقد للخطابات السياسية التي تحاول السيطرة على الشعوب من خلال تضليلهم بالتلاعبات اللغوية، كما أنها نقد للخطابات الفضائية التضليلية من ناحية ثانية³. فالخطابة السفسطائية هي قول إقناع و قول خدعة، لذلك هدف أفلاطون إلى تخليص الإنسان من هذا القول لأنه يتناول الظاهر لا الحقيقة.

¹ - أفلاطون: جورجياس، ترجمة: محمد حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط1، مصر، 1970، ص25.

² - المرجع نفسه، ص 89.

³ - عماد عبد اللطيف: موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتي جورجياس وفايدروس، مجلة الشارقة، المجلد 5، العدد3، أكتوبر، 2008، ص 228.

لقد رفض أفلاطون هذه الخطابة كونها تقوم على الرأي Doxs، والآراء وفقه هي وقائع مزعومة ناتجة عن الأهواء والمصالح والرغبات و الظروف، وهنا يصبح كل شخص يرى الواقع كما يشتهييه وما يناسب أحواله الذاتية¹. يجتمع السفسطائيون لتضليل الشباب ونشر الأوهام والأغاليط بالاعتماد على الأسلوب العاطفي، وشحن المشاعر ومن هنا يختفي التفكير الهادئ المنطقي، كما يغيب الحس النقدي، وهنا يقع الشباب في الزيف والغلط.

إن أفلاطون يرفض الضغط الفكري وفرض الإقناع بمجرد أن العامة تساند هذه الفكرة، ولذلك يرفض الاحتكام إلى العامة عندما يتعلق الأمر بالمعرفة، فالاحتكام إلى العامة هو من قبيل حجج السلطة². إن الحقيقة تنتج عن المناقشة بين طرفين مختلفين مفكرين غير مستعنيين بأي شكل من أشكال السلطة أو الضغط أو الإرغام وهذه هي البلاغة الحقيقية أو الجدل ، فالنقاش البريء يمكن أن ينتج المعرفة لا التعبئة أو التحريض الجماهيري³، فالإقناع هو محصلة قول حجاجي ترفع بسلطته المسافة بين الإنسان والإنسان ويوجه لتحقيق أغراض مختلفة، ومقصد القول الخطابي الذي أراد أفلاطون تأسيسه يختلف عن ذلك، فهو عنده قول موجه إلى النفس، وعليه: "ينبغي أن نعرف على الدقة جوهر الشيء الذي تتعلق به صناعة القول، هذا الجوهر هو النفس"⁴.

وانطلاقاً مما سبق كان نقد أفلاطون للبلاغة يعكس صراعاً بين طريقتين في الحياة وتصويرين للعالم، الأول يذهب إلى أن غاية الحياة هي الوصول إلى الفضيلة بينما يذهب الثاني أن غايتها الوصول إلى السلطة، فالأول يتحلى بالصدق مهما

¹ - محمد الولي: مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان ، ص 21.

² - المرجع نفسه ، ص 22.

³ - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

⁴ هشام الريفي: الحجاج عند أرسطو ، ص 78

كانت نتيجته، في حين الثاني يتحلى بالتملق والخداع، الأول يُعنى بالمعرفة والثاني يهتم بالاعتقاد، الأول يتحرك وفق العدل في حين الثاني تحركه المنفعة، الأول لا تشغله حياة العوام بينما الثاني لا تشغله إلا الحياة العامة، الأول وسيلته الفلسفة والجدل والثاني وسيلته البلاغة¹، إنَّ هذا النقد الذي قدمه أفلاطون للبلاغة السفسطائية، جعله يؤسس أفكاره الحجاجية.

2. الجدل والخطابة عند أفلاطون:

ونظرا لأهمية البلاغة في الحياة أفرد أفلاطون لها محاورا فايديروس، مؤكدا أنها حوار ثنائي يكون فيه المتخاطبان نديين ومختصين في المجال المطروح للمناقشة، ولا يحتكم إلا للمعرفة القابلة للتفنيد في أي لحظة كما يفند أي نوع من أنواع السلطة القهرية، وهذا يعني أن المعرفة والتماس الحقيقة هما المقياس الوحيد الذي يُحتكم إليه²، لكن البلاغة التي أولها أفلاطون اهتماما في محاورا فايديروس ليست البلاغة السياسية التي خصها تقريبا في محاورا جورجياس، وإنما هي نوع من البلاغة تشتغل أساسا بموضوعات فلسفية، و تقوم على النقد والإنشاء³.

وعليه عرف أفلاطون الخطابة بقوله: "هي فن قيادة النفوس بواسطة الأحاديث ليس فقط أما المحاكم والاجتماعات العامة، بل أيضا في الاجتماعات الخاصة"⁴، والخطابة في تعريف أفلاطون لا ينحصر استعمالها في فضاءات القول الرسمية من محاكم ومجالس للشعب، بل يمتد إلى الاجتماعات الخاصة أيضا.

¹ - عماد عبد اللطيف: موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتي جورجياس وفايديروس، ص 233.

² - محمد الولي: مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، ص 23.

³ - عماد عبد اللطيف: موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتي جورجياس وفايديروس، ص 235.

⁴ - أفلاطون: فايديروس، ترجمة أميرة حلمي مطر، دار غريب، الإسكندرية، ط 1، 2000، ص 85.

إن هذا التعريف هو تعريف بديل في ذلك العصر، فهو يؤسس لتصور جديد، ويرسم المسافة التي تفصله عن التصور الشائع، فالخطابة عند السفسطائيين صانعة إقناع أما عند أفلاطون، فهي تقود النفوس نحو الحقيقة.

ومدار تعريف أفلاطون للخطابة هو تحقيق الخير والفضيلة للنفس، فالخطابة عنده ليست فضاء تفاعل قولي بين الإنسان والإنسان بما في ذلك من علاقات معقدة ومقاصد مختلفة وتتنوع في الرؤى، وإنما هي فعل قولي أخلاقي. علق هشام الريفي على الاختلاف بين كلمتي إقناع وقيادة النفوس وأكد أنه يتجلى بوضوح في حديث أفلاطون عن مقصد الخطابة السفسطائية في المحكمة ومقصد خطابته في ذلك الفضاء ذاته، فالسفسطائي يستعمل الخطابة لكسب القضية أما أفلاطون فذلك أمر لا يهمله، وإن ما يهمله هو تحقيق الفضيلة للنفس، وإن كان على حساب الشخص¹.

تتطلب البلاغة الحقيقية معرفة كلية نزيهة وعمامة، والموضوع الأساسي لهذه المعرفة هو التفاعل الذي يجمع الأجناس الروحية والأجناس الخطابية، فالنمط الأساسي للخطاب هو الحوار، وهذا هو شعار الجدل وهو التفكير بطريقة مشتركة².

إن البلاغة التي يوليها أفلاطون اهتمامه في فايدروس ليست البلاغة السياسية التي خصها تقريبا في محاورة جورجياس، فهي نوع من البلاغة التي تشتغل أساسا بموضوعات فلسفية وتشتغل المعرفة القبلية والشفافية، وعلى الرغم من وجود متكلم رئيس فإنها تقوم على الحوار والمناقشة مستخدمة الجدل لتحقيق ذلك، وهي لا تستهدف تحقيق الإقناع بل تستهدف المعرفة، ولا تتعلق بالشؤون العامة، وهي تمثل بالفعل البديل الذي يراه أفلاطون محل الخطابة.

¹ - هشام الريفي: الحجاج عند أرسطو، ص 79.

² - رولان بارث: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1994، ص 18

إن صناعة قول الحقيقة تستدعي حصول شرطين إن غابا وقع القول خارجها حسب أفلاطون، أما الشرط الأول فهو معرفة منتج القول للحقيقة، في حين الشرط الثاني فهو قدرة منتج القول على جعل قوله نظاما مكتملا¹، لكن ما يلاحظ أن الحجاج السفسطائي يقع حسب الشرطين المذكورين خارج ما تقتضيه صناعة القول الحقيقية، لذلك قصد أفلاطون إخراج ذلك الحجاج من فضاء القول .

3. أركان الخطابة:

تبنى صناعة الخطابة عند أفلاطون على الأركان التالية:

1.3. اعتماد المنهج الجدلي في بناء القول الخطابي: وهو العمدة في هذا المشروع وبهذا الركن أراد تغيير صناعة الخطابة تغييرا جذريا لا سيما أن الجدل عنده يختلف عن العلم اختلافا يسيرا، فهو يمثل ذروة العلوم وتتويجها .

إن الجدل صناعة الملوك ، وبهذه الصناعة يمكن أن نبلغ الحقيقة، وبه يمكن نقل الحجاج في تصور أفلاطون من مجال الظن والاحتمال إلى مجال الحقيقة²، فالجدل حسب ما جاء في فيدروس، هو منهج في الفكر والقول جميعا ويقوم على عمليتين: عملية تأليف Synthèse وعملية تقسيم Division العملية سماها بعض الدارسين جدلا صاعدا، بها يرتقي الباحث من مفهوم إلى مفهوم ومن قضية إلى قضية حتى يبلغ أكثر المفاهيم عموما ويبلغ المبادئ الأولى، وبها يتجاوز عالم المحسوس إلى عالم المثل³، إذ يسير الإنسان خلاله من الكثير إلى الواحد، ومن الظن إلى العلم ومن المحسوس إلى المجرد.

¹ - هشام الريفي : الحجاج عند أرسطو، ص 74.

² - المرجع نفسه، ص 81.

³ - المرجع نفسه، ص ص 81-82.

والعملية الثانية سماها بعض الدارسين جدلاً نازلاً، وبها يفرغ الباحث ما انتهى إليه في العملية الأولى إلى أقسامه وأجناسه ولوازمه على نحو تدريجي¹، فهذا النوع من الجدل يقوم على النزول من أعلى المبادئ إلى أدناها عكس الجدل الصاعد. ويلخص أفلاطون منهج الجدل بقوله: "ألا ينبغي عندما ندرس طبيعة أي شيء أن نبحث أولاً عما إذا كانت طبيعة ذلك الشيء بسيطة أم مركبة، وأن ندرس خصائصها، بم تتأثر وكيف تؤثر، فإن كانت مركبة ألا نرد هذا التركيب إلى عناصره"².

وجملة القول إن أفلاطون أراد بالركن الأول من مشروعه أن يقصي من صناعة الخطابة، الظن أو المشهورات أو المحتمل، وإذا كان المحتمل هو عمدة الخطابة عند السفسطائيين فهو أمر محتقر جداً عنده، فقد قال في محاورة فيدروس: "ألا يخبرنا تيزياس أن المظهر هو الذي يبدو حقيقياً في رأي المجموع"³، أي أن السفسطائيين يميلون في حجاجهم اعتماد المحتمل لإقناع جمهورهم.

2.3. معرفة أنواع النفوس وما يوافقها من أقاويل: ومدار هذا الركن مبدأ

التناسب بين القول والسماع، وهو مبدأ أساسي في الخطابة الإغريقية، وهذا يعني أن النفوس تختلف بحسب درجات تهيئتها لقبول التأثير، والمهم أن الجانب الذي اهتم به السامع هو النفس بما في هذا المفهوم من أبعاد نظرية، واهتمامه بهذا الجانب يرجع إلى تصوره لوظيفة الخطابة في تحقيق سعادة الإنسان⁴، "مادامت الوظيفة الحقيقية للحديث هي بالضبط طريقة لقيادة النفوس فإنه ينبغي عليه أن يعرف بالضرورة ماهي الصور المختلفة التي تكون النفس عليها، وهناك عدد معين

¹ - المرجع نفسه، ص 82

² - أفلاطون : فايدروس، ص 102.

³ - المرجع نفسه، ص 106.

⁴ - هشام الريفي : الحجاج عند أرسطو، ص 83

لكل صورة من هذه الصور أو تلك، وتبعاً لذلك يكون لبعض الناس طبيعة معينة، ويكون للبعض الآخر طبيعة أخرى مغايرة، وبعد تمييز أنواع النفوس المختلفة يأتي دور الأحاديث، فلها أنواع أيضاً خاصة تجعلهم يتأثرون بحديث معين دون غيره وينتهون بسببه إلى معتقدات معينة، في حين أن من كانت لهم طبيعة أخرى لا يفتنون بسهولة بمثل هذه الأسباب¹

3.3. مراعاة مبدأ التناسب في مستوى الأسلوب: أي أن يستخدم الخطيب

أو موجه القول خطابه مع مراعاة سياق الكلام والظروف الملائمة له، بمعنى آخر معرفة ما يناسب المقامات المختلفة من أساليب خطابية، أي مراعاة المقام والحال فلا بد عليه أن يضع هدفاً لكلامه.² يقول أفلاطون: "وحيث يجتمع لهذا الخطيب كل هذه الشروط التي تمكنه من تحديد وقت الكلام أو الامتناع عنه واختيار الأسلوب الموجز أو المؤثر أو الأسلوب الثائر، ومعرفة كل أنواع الأحاديث التي تعلمنا كيف نفرق بينها ونعرف كيف نميز المناسب منها من غير المناسب فإن الفن يبلغ عندئذ كماله"³، فالإقناع يحدث أكثر إذا ما عرفنا طبيعة وميول كل نفس، وعلى هذا الأساس نوجه حديثنا كما شئنا حتى تكون حججنا مقنعة للمتلقى.

نستنتج أن هناك تفاوتاً في نقد البلاغة السفسطائية، وهذا ما يدل على حدوث تطور في موقف أفلاطون من البلاغة، لقد هاجم أفلاطون البلاغة في محاورة جورجياس، وعدّها نوعاً من الخداع والتمويه، ومن الخبرة العملية المكتسبة بالممارسة غايتها التأثير في السامعين، والتمويه عليهم شأنها في ذلك شأن السفسطة، بينما راجع أفلاطون نقده السابق في محاورة فيدروس والتي ذهب إلى أنه

1 - أفلاطون : فايدروس، ص 104

2- شعبان أمقران: تقنيات الحجاج في البلاغة اليونانية القديمة، مقارنة لمشروع السفسطائيين وأفلاطون وأرسطو، مجلة اللسانيات، الجزائر، المجلد 25، العدد 2، 2019، ص 46

3- أفلاطون: فايدروس، ص ص 104-105.

يمكن الإبقاء على الخطابة وإصلاحها، وحدد الشروط الكفيلة بتحقيق ذلك، ووجد بغيته في نشأة خطابة فلسفية لا تمارس إيهام الجمهور لتحقيق مصالح المتكلمين، بل تلتزم بالتعبير عن موقف الحقيقة والتوجيه إلى الخير¹.

وتؤكد أميرة حلمي مطر هذا التصور الذي أرجعته إلى تطور مفهوم الفن عند أفلاطون: "فبعد أن كان يذمه لأنه صادر عن إلهام وعن قوة غير عقلانية، أصبح لا يذمه لهذه الأسباب، بل على العكس من ذلك يرى أن الفن ملهم كالفلسفة المهمة بالحدس والرؤية المباشرة للحقيقة أكثر تعبيراً عن الجمال وتوجيهها إلى الخير².

إن الفكر الحجاجي بين محاورتي جورجياس وفيدروس يكاد يكون علاقة هدم وبناء، ففي محاورة جورجياس هدم لبلاغة قائمة، وفي فيدروس بناء لبلاغة جديدة، في جورجياس يقوض أفلاطون أركان البلاغة السياسية، وفي فيدروس يشيد أركان بلاغة المحاضرة³.

إن البلاغة التي يدينها والبلاغة التي يدافع عنها مختلفتان اختلافاً تاماً، ففي جورجياس يتعلق الأمر ببلاغة سوفسطائية، أي أن الأمر يتعلق بالسفسطة نفسها، وفي فيدور يتعلق الأمر ببلاغة فلسفية، بلاغة الجدلي الذي يحلل الأفكار ويؤلف بينها⁴.

وعليه يلخص رولان بارث البلاغة عند أفلاطون وهي نوعان الأولى فاسدة والثانية جيدة، حددهما كالتالي:

¹ - عماد عبد اللطيف: موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتي جورجياس وفيدروس، ص 229.

² - أميرة حلمي مطر: مقدمة ترجمة محاورة فيدروس، ص 7.

³ - عماد عبد اللطيف: موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتي جورجياس وفيدروس، ص 236.

⁴ - محمد الولي: مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، ص 24.

✘ بلاغة الحدث: وهي نشاط عقلي موضوعها الاحتمال والإيهام وهي بلاغة السفسطائيين .

✘ بلاغة الحق: وهي بلاغة الحقيقة، البلاغة الفلسفية، وأيضاً الجدلية، وموضوعها الحقيقة ويسمى أفلاطون "السيكاغوجيا"، أي تكوين الأرواح بواسطة الكلام¹. إن البلاغة الأولى قام أفلاطون برفضها أم النوع الثاني فأسسه كرد على بلاغة السفسطائيين.

نستنتج أن أفلاطون قدم مشروعاً في صناعة الجدل، و مشروعاً هذا مختلف تماماً مع الخطابة السفسطائية ويمهد بعض التمهيد لخطابة أرسطو، فهو يقطع مع الخطابة السفسطائية، إذ أراد به أن يجعل الحجاج الذي يكون بين الإنسان والإنسان في شؤون الاجتماع والسياسة صادراً عن الحقيقة لا المحتمل والظن، وقاصداً إلى الفضيلة والخير لا إلى تحقيق المآرب بسلطة القول وهو يمهد لخطابة أرسطو بما فيه من حرص على جعل الحجاج قاصداً إلى الخير والحق.

ثالثاً: الخطابة عند أرسطو:

يعتبر كتاب الخطابة من أهم الكتب في مجال الحجاج، إذ بفضلها كان أرسطو مؤسساً للدرس الحجاجي، فقد وضع لها أساساً مناهضاً تماماً لما كان عليه الحال مع السفسطائيين، كما طور من خطابة أفلاطون، إذ حل مفهوم الإقناع محل التأثير، وبهذا الانعطاف يكون أرسطو قد عمل على تقنين القول الخطابي .

1-تعريف الخطابة:

¹-رولان بارث: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص 17.

يعرف أرسطو الخطابة بقوله: "الريطورية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"¹.

وقد قام ابن رشد بشرح هذا القول الوقوف عند حدود كل كلمة، فالقوة: هي الصناعة التي تفصل في المتقابلين، وتتكلف: تعني أن تبذل مجهودا في استقصاء فعل الإقناع الممكن، ويعني بالممكن الإقناع الممكن في ذلك الشيء الذي فيه القول، ويعني بقوله: "في كل واحد من الأشياء المفردة" أي في كل واحد من الأشخاص الموجودة في مقولة من المقولات العشر².

لقد ربط أرسطو بين خاصية الكلام والتعبير عند الإنسان، وبين الإقناع لأن الإنسان متكلم معبر يبحث بطبعه عن الإقناع ويحاول أن يصل بكلامه إلى إقناع أكبر عدد ممكن من الناس بوسائل مستمدة من التفكير الذي يعد جوهر الإنسان.

¹ - أرسطو : الخطابة ، ترجمة: عبد الرحمن بدوي ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، 1980 ، ط1 ، ص9.

² - ابن رشد : تلخيص الخطابة ، تحقيق: عبد الرحمن بدوي ، دار القلم ، لبنان ، ط1 ، ص15.

2- الفرق بين السفسطة والجدل والخطابة:

وإذا كان الإقناع هو الهدف الأساسي الذي تنشده الخطابة، إلا أنه كذلك يعد مطلباً للسفسطة والجدل، لذلك قام أرسطو في مقدمة كتابه الخطابة التمييز بين الخطابة وبين السفسطة والجدل، فالإقناع الذي تهدف إليه السفسطة يستمد قوته التأثيرية من الادعاءات والتوهّمات التي يتباهى بها السفسطائيون، إضافة إلى التصنع في الكلام وزخرفة القول، ولهذا أقصى أرسطو السفسطة من دائرة الخطابة على الرغم من اشتراكهما في نفس الهدف، إلا أنهما يختلفان في الوسائل التي بها يكون الإقناع¹. إذن فرفض أرسطو للإقناع الذي تقدمه السفسطة لأنه قائم على التوهّم والادعاء ولا يصل إلى الحقيقة.

أما الجدل فعلاقته بالخطابة كعلاقة الكل بالجزء، أي أنه أعم من الخطابة ومنه تستمد حججها، فهو لا يتعارض معها، بل ينتميان إلى حقل الرأي والاحتمال والممكن، وهذا ما وضحه ابن رشد بقوله: "إن صناعة الخطابة تتناسب صناعة الجدل وذلك أن كليهما يؤمّان غاية واحدة وهي مخاطبة الغير، إذ كانت هاتان الصناعتان ليس يستعملهما الإنسان بينه وبين نفسه، كالحال في صناعة البرهان، بل إنما يستعملهما مع الغير، وتشتركان بنحو من الأنحاء في موضوع واحد إذا كانت كلتاها تتعاطى النظر في جميع الأشياء"²، فالجدل أعم من الخطابة .

بالرغم من هذا الاتفاق الموجود بينهما، إلا أنهما مختلفان، ذلك أن الجدل يُضيق دائرة الاختلاف والرأي في حين أن الخطابة تفتح باب الاحتمال والممكن، وهذا ما أكده أرسطو عندما اعتبر أن الخطابة ليست "جنساً لشيء واحد منفرد، لكنها بمنزلة الديليقراطية وأنها جد نافعة، وأنه ليس عملها أن تقنع، لكن أن تُعرّف

¹ - أرسطو: الخطابة، ص28.

² - ابن رشد: تلخيص الخطابة، ص3

المقنعات في كل أمر من الأمور"¹، يقول أرسطو: "إن الجدل والخطابة قوتان لإنتاج الحجج"²، وقد اعتمد صاحب الأورغانون في بحثه على محورين أساسيين الأول يقوم على منطلقات استدلالية والثاني يعتمد على البحث اللغوي في علاقته بالإنسان والوجود، فما هو استدلالى يمكن أن يعتمد عليه في الخطاب الفلسفي والبلاغي، إذ يعتمد عليه الفيلسوف من أجل إرساء حقيقة معينة ضمن مدار واحد ومركز هذا المدار عرض الحقيقة الفعلية أو اللفظية عرضا استدلاليا متماسكا تواكبه إجراءات حجاجية معروضة في تناسق مع إنجازات لسانية وبلاغية³.

أما المحور الثاني فيتمثل في البحث اللغوي وعلاقته بالوجود والإنسان، حيث لا يمكن للإنسان أن يحيا دون لغة فهو لا يستطيع أن يدرك ذاته دونها، ويمكن أن نقول إن أرسطو غير اتجاه الخطابة من اعتمادها على التأثير بالمتلقي واستمالاته ولو كان ذلك بمغالطة وإيهامه بسلامة الحجج المطروحة وبما يعتمد من أسلوب خطابي إذ عدّ الخطاب والحجاج عمليتين برهانيتين وعقليتين تعتمدان على مشاركة المتلقي وفق خطط معينة من أجل الوعي بالبنى الحجاجية⁴.

إن أرسطو أعاد من جديد فتح ملف الخطابة، بعد أستاذه أفلاطون، لكنه لم يطابق بينهما كما قام به هذا الأخير، لقد احتفظ أرسطو بالتقسيم الثنائي الجدل والخطابة، إذ اعتبر أن الخطابة من الأدوات الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها فهي أداة تسيير المجتمع في المؤسسات الديمقراطية الأثينية، أي في المحاكم حيث تلقى الخطب القضائية، كما في الجمعية الشعبية أين تلقى الخطب

¹ - أرسطو طاليس: الخطابة، ص 8.

² - المرجع نفسه، ص 21

³ - الحبيب أعرب: الحجج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، العدد 1، مج 3، سبتمبر، 2001، ص 128.

⁴ - الحبيب أعرب: الحجج والاستدلال الحجاجي، ص 129.

الاستشارية ، وفي الأولمبياد المكان الذي تلقى فيه الخطب الاحتفالية¹. إذن للجدل معنى عام يقوم على الإحاطة بالأمور التي يحصل بها الإقناع عامة، لكن الخطابة هي قدرة على الإحاطة بالأمور المقنعة في الأجناس الثلاثة المذكورة أعلاه، فالجدل أوسع منها ، فيقصد به ذلك الضرب من الخطاب، أي هو نوع من الرياضة اللغوية أو اللفظية تقوم بمراعاة اعتقادات واقتناعات المخاطب لأجل تثبيتها أو تعديها، فهو خطاب يعتمد عليه الفلاسفة لإبلاغ أفكارهم إلى عامة الناس .

على الرغم من أن أرسطو عين للخطابة موقعا أساسيا في الحياة الاجتماعية فهي خطاب موجه لعامة الناس، لكنه لم يطابق بينها وبين السفسطة التي في رأيه أنها شكل من أشكال الخطاب السديمي والاختلاطي، فقد بوا أرسطو للخطابة مكانة كبيرة، إذ جعلها تالية لعلم السياسة وهو أشرف العلوم في نظره ، "إن الخطابة فرع من الجدل ، وأيضاً فرع من علم الأخلاق يمكن أن يدعي بحق علم السياسة"²، ولما كان هذا الحجاج المعتمد على الاستدلال والقياس موجها إلى الجمهور كان لابد أن يكون للاعتبارات النفسية فيه حضور قوي وهذا بالفعل ما أكد عليه أرسطو حين ربط متعة التفكير في الحجاج باكتشاف مكوناته من قبل المتلقي.

إن منشأ الحجاج الإقناعي عند أرسطو الهدف منه استرجاع الحقوق المسلوقة عنوة بواسطة آلة اللغة، كما أن هدفه اخراج الخطابة من أزمته الشكلية كما وجدت عند السفسطائيين، وتتم عملية الانتقاد هذه على مستويين: أحدهما معرفي لغوي حجاجي، يعمل من خلاله على تطوير اللغة باختيار الحجج اللائقة بكل مقام، أما الثاني اجتماعي إنساني يعنى بقضايا الفرد والمؤسسة وعلاقتها

¹ - محمد الولي : مدخل إلى الحجاج ، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، ص24.

² - أرسطو: الخطابة، ص20

بعضهما البعض، وبدور الصناعة القولية شرط لا غنى عنه في الاجتماع البشري¹. ويقصد بالصناعة القولية عند أرسطو صناعة الخطابة والحجاج وهما مؤسسان على ركنين أساسيين: القول والقائل وما يتصل بهما من شروط.

إن الحجاج في الخطابة الأرسطية هو محصلة ثلاثة أركان: اللوغوس أي القول بما هو فكرة، والأخلاق "أخلاق القائل، والانفعال انفعال المقول له"².

إن أرسطو يتصور الخطاب مثل رسالة يخضعها لتقسيم إعلامي، هكذا فالكتاب الأول من الخطابة هو كتاب مرسل الرسالة، كتاب الخطيب إنه يدرس أصلاً، مفهوم الحجج في علاقتها أساساً بالخطيب وتكيفه مع الجمهور، وهذا من خلال الأجناس الثلاثة المعروفة للخطاب (القضائي، الاستشاري، الاحتفالي)، أما الكتاب الثاني فهو كتاب متلقي الرسالة كتاب الجمهور: إنه يدرس فيه الانفعالات والعواطف ومن جديد الحجج، ولكن هذه المرة كما هي متلقاة وليس باعتبارها مكتسبة كما هو الأمر في السابق، في حين الكتاب الثالث هو كتاب الرسالة ذاتها: إنه يدرس اللفظ والصياغة، يعني الوجود وكذا التصنيف والترتيب يعني نظام أجزاء الخطاب³.

3- أنواع الخطب:

يقول أرسطو: "هناك بالضرورة ثلاثة أنواع من الخطب: المشورية، والسجالية والبرهانية، فأما المشورية فهو إما حض أو نهى لأن الذين يستشيرون في الخواص وأولئك الذين يخطبون في المجامع، إما أن يحضوا أو ينهوا، وأما

¹-المرجع نفسه، ص ص45-46.

²- هشام الريفي: الحجاج عند أرسطو، ص 265.

³- هشام الريفي: الحجاج عند أرسطو، ص 265.

المشاجري فمناه اتهام ومنه دفاع، لأن الذين يتشاجرون لامحالة إما أنهم يتهمون أو يدافعون، وأما البرهاني فمناه مدح ومنه ذم¹

ويناسب كل نوع من الأنواع الثلاثة غاية مختلفة، ولما كانت أنواع الخطابة ثلاثة فهناك ثلاثة أنواع من الغايات، فغاية الخطيب المشاور هو النافع والضار، لأن من يحض يوصي بمسلك بوصفه الأحسن، ومن ينهي ينصح بتجنب مسلك لأنه الأسوأ، وكل الاعتبارات الأخرى مثل العدل والظلم والشرف والخسة، مندرجة كلواحق في هذا²، فغاية الخطيب في المنازعات القضائية هو العادل أو الظالم، وفي هذه الحالة أيضا تتدرج سائر الاعتبارات كلواحق، وغاية من يمدح أو يذم هو الشريف والخسيس ويرد سائر الاعتبارات إلى هذين.

¹ - أرسطو: الخطابة، ص 23.

² - المرجع نفسه، ص ص 37-38

4- أنواع الحجج:

يميز أرسطو في كتابه الخطابة بين نوعين من الحجج إذ يقول: " أما التصديقات فبعضها غير صناعية، وبعضها صناعية، وأقصد بالأولى تلك التي لم نأت نحن بها، بل كانت موجودة من قبل مثل الشهود والتعذيب والصكوك وما أشبهها ، وأقصد بالثانية كل ما يمكن إعداده بالحيلة وبمجهودنا، وهكذا ما علينا إلا الاستفادة من الأولى بينما الثانية فيجب علينا اكتشافها بأنفسنا"¹، أي أنه هناك نوعين من الحجج الأولى نجدتها جاهزة ولا دخل لنا فيها لأنها سابقة على تصرفاتنا، بينما الثانية يمكننا جمعها بأنفسنا حسب طبيعة الموضوع، وهي كالتالي:

1.4. أدلة غير صناعية (أدلة غير تقنية): ونجدتها في الوقائع والنصوص

وهي مستقلة عن الخطيب، وتشمل بذلك النصوص القانونية، والشهادات القديمة والسلطة المعنوية للشخصيات العظيمة ، كما يستشهد فيها بوقائع واحتمالات الوقائع والعقود والاتفاقيات المنعقدة بين الأفراد والاعترافات والوصايا². إن هذه الأنواع من الحجج تستخدم في الخطبة المشاجرية فهي حجج لا ينشئها الخطيب وإنما يجدها جاهزة فيستعملها على أنحاء مختلفة بحسب غرضه من خطبته.

2.4. الحجج الصناعية: (أدلة تقنية) : وهي الحجج المحايشة لفن

الخطابة، وهي ثلاثة أجناس وتعتمد إما على الباث أو على المتلقي أو على الخطاب نفسه أو اللوغوس إذ يقول أرسطو: " والتصديقات التي يقدمها القول على ثلاثة أضرب، الأول يتوقف على أخلاق القائل والثاني على تصيير السامع في حالة (نفسه)، والثالث على القول نفسه، من حيث هو يثبت أو يبدو أنه يثبت"

¹ - أرسطو: الخطابة، ص 29.

² - محمد طروس : النظرية الحجائية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص 19.

أ. **حجج الباث (الايثوس):** وهو مجموع الخصائص الأخلاقية المتعلقة بشخصية الخطيب والصورة التي يقدمها عن نفسه، إذ يظهر في الأقوال كفنًا وشريفًا، ويتكيف مع المقامات فيكون شديدًا أو مرحبًا، عنيفًا أو متفهمًا، رحيمًا أو قاسيًا¹.

ولذلك فإن الخطيب لا يمكن أن ينصح إذا لم يكن شديد الرأي، إذ بماذا يمكن أن ينصح المختل أو المغفل، وإذا كان الإنسان شديد الرأي، فلا يمكن أن ينصح إلا إذا كان فاضلاً فالأشرار لا ينصحون ولا يلتفت إلى نصائحهم، كما أنه لا يمكن أن ينصح إذا لم يكن طيباً فالكراهية تمنعه من إسداء النصح.²

لكن هذا المفهوم الحجاجي لا يعتمد في كل أجناس الخطابة إنه يكون مطلوباً في الخطابة الاستشارية خاصة في تجمعات الحشود كما يضعف دوره في الخطابة القضائية حيث يتم فيها مقارنة الدليل بالدليل لإقناع القاضي³.

ب. **حجج المتلقي:** أي ميول المتلقي ونوازعه (الباتوس): هو مجموع الانفعالات التي يرغب الخطيب إثارتها لدى المستمع كالرحمة، الكراهية، الغضب، الخوف.

وعليه فالحجاج الجيد بل الإقناع يتطلب المعرفة بما يهز الذات التي يتوجه إليها الخطاب، أي ما يغيرها بل ما يحركها، فباتوس الإنسان الحسود مثلاً، يجعله متأثراً بكون الآخرين يتمتعون بالخيرات التي يحس أنه محروم منها بكيفية غير عادلة، وهنا يستطيع الخطيب أن يجعله بصيراً بالظلم الذي يعانيه، وعلى العكس من ذلك سيكون الإنسان السخي المحسن قليل الشعور بهذا النوع من الحجج، ففعل

¹ - المرجع نفسه، ص 18.

² - محمد الولي: مدخل إلى الحجج، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، ص ص 28-29.

³ - المرجع نفسه، ص 29.

الخير يحركه أكثر من إنكاره¹، لذلك يقول أرسطو: "ثم إن الاقتناع يمكن أن يتم بواسطة السامعين إذا كانت الخطبة مثيرة لمشاعرهم، فأحكامنا حين نكون مسرورين وودودين ليست هي أحكامنا حين نكون مغمومين ومعادين، ونعتقد أن معظم الذين يصنفون الخطابة اليوم يريدون توجيه كل جهودهم نحو إحداث هذه الآثار"² وهنا يستطيع الخطيب أن يستغل ميول المتلقي لإقناعه كيفما يشاء، إذ يقوم باستغلال أوضاع الناس الاجتماعية والايديولوجية والدينية لتحقيق هذا الإقناع.

ج. اللوغوس: هو الجانب المنطقي الذي يمثل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي ويرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحججي³. فهذا النوع يسمى بالاستدلال المنطقي وهو وثيق الصلة بالحجاج، كونه خاصا بالحجة نفسها، ويحقق الاستمالة والتأثير بالقول.

بداية نطلق من مقولة ابن رشد: "إن الأقاويل التي يكون بها الاثبات والإبطال كما هي في صناعة الجدل صنفان أحدهما الاستقراء، وما يظن به أنه استقراء، والصنف الثاني القياس وما يظن به أنه قياس، كذلك الأقاويل المثبتة في هذه الصناعة والمبطلّة صنفان أحدهما شبيه بالاستقراء وهو المثال والآخر شبيهه بالقياس وهو الضمير"⁴.

وفي هذا المجال تتجلى علاقة الخطابة بالمنطق، ففي المنطق تدور الحجج المختلفة حول الاستقراء والقياس الثلاثي، أما في الخطابة فيقوم المثل مقام الاستقراء، كما أن المضمّر يغني عن القياس المنطقي الثلاثي، فالحجج في الخطابة لا تخرج عن المثل والقياس المضمّر.

¹ - محمد الولي: في خطابة أرسطو الباتوسية، مجلة علامات، العدد 26، أبريل 2006، ص 48.

² - أرسطو: الخطابة، ص 30.

³ - محمد طروس: النظرية الحججية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص 18.

⁴ - ابن رشد: تلخيص الخطابة، ص 18

د.المثل أو الشاهد: وهنا يقوم الخطيب باستحضار المثل في قضيته لتعزيد القضية التي يدافع عنها ، وينقسم المثل إلى قسمين تاريخي و مخترع ، يقول أرسطو: " المثل على نوعين : نوع يقوم في رواية الأمور كما حدثت من قبل والثاني في اختراع الإنسان لها ، والثاني يتفرغ إلى الأمثال والخرافات"¹.

○ المثل التاريخي: وهو الذي يستخدم في أغلب الأحيان، إذ يعتمد على الحقيقة وتبعاً لذلك فهو أكثر إثارة للتصديق². فيلجأ الخطيب إلى إيراد وقائع تاريخية حدثت في الماضي لتقوية رأيه حول القضية التي يتبناها.

○ المثل المخترع: وهنا يقوم الخطيب بتخيل تشبيه ممكن واقعياً مماثلاً للحالة المطروحة للنقاش³. كأن يقدم أمثلة مشابهة للقضية أو أن يضرب مثلاً حولها على لسان الحيوانات ، مثل ما قام به ابن المقفع في كتابه كليله ودمنة إذ قدم حكماً وعبراً من خلال قصص على لسان الحيوان.

☒ القياس المضمر: إن البرهان المنطقي الذي يسمى القياس ينطلق من مقدمة كبرى وتليها مقدمة صغرى ثم الاستنتاج في الأخير ومثال ذلك:

كل إنسان فان

سقراط إنسان

سقراط فان

¹- أرسطو: الخطابة ، ص 154.

²-محمد الولي: مدخل إلى الحجاج ،أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، ص 31

³-المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

غير أن القياس الخطابي يعبر عما لا يكون صادقا بالضرورة، فهو مجرد احتمال أو مقبول أو مسلم به عند العامة ، ومن أمثله: الشعار الذي حملته الفرنسيين ضد النازية خلال الحرب العالمية الثانية :

الأقوياء ينتصرون

نحن أقوياء

إذن نحن منتصرون

وهذا مجرد احتمال لأن الأقوياء لا يحالفهم دائما النصر¹.

إذن فالقياس المنطقي مبني على الاستنتاج العلمي بينما يقوم القياس المضمر أي القياس الخطابي على الرأي، فالقياس المضمر هو قياس يقوم على الاحتمالات.

" ويوجد فرق كبير بين القياسات المضمرة أو التفكيريات، فمنها ما هو عام يمكن أن يطبق في جميع المواد، مثل مبدأ الأقل والأكثر وهي تقوم على مبادئ العقل نفسه، فهذه أطر تستوعب كل شيء، ولذلك دعت المواضيع العامة، وهناك حجج خاصة مستخلصة انطلاقا من مفاهيم خاصة وهي في هذه الحالة تطبق في المواد التي لها علاقة بهذه المفاهيم"².

فالاستدلال عند أرسطو يتكون من جانبين اثنين: صوري ومادي، فإذا كان الأول يتعلق بالعلم التحليلي وخصوصا التحليلات الأولى التي تتضمن تقنيينا للقياس

¹ - محمد الولي: مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، ص 30.

² - محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص ص 71 - 72

بأشكاله وأضره، فإن الثاني أي الجانب المادي يتعلق بعلم السياسة وعلم الأخلاق وخصوصا بالخطابة.¹

إن المستوى المادي من الاستدلال الخطابى يميز فيه بين نوعين من المواضع وهي:

1 - مواضع خاصة : وهي تلك القضايا والأحكام العملية العامة المرتبطة بالأجناس الثلاثة للخطابة الاستشارية والقضائية والمحفلية وكمثال على ذلك في الجنس الاستشارى من الخطابة الذي يكون محمول الدعوى فيه صفة دائرة بين الزوج (الضرر/ النفع)، وفي الجنس القضائي يدور حول (العدل/الظلم)، أما في الجنس المحفلي فيتمحور حول صفتي (الحسن والقيح)².

2 - مواضع عامة: إضافة إلى هذه القواعد الحجاجية الخاصة تحدث أرسطو عن مواضع عامة لأنها تتعلق بجميع أنواع الأقيسة الإضمارية، أي أنها لا تختص بجنس خطابى دون غيره، بل تمتد لتشمل كل أجناس الخطابة³، ومن بينها:

التضاد: يقول أرسطو: "فأحد المواضع في الضمائر البرهانية مستمد من الأضداد، لأنه من الضروري أن ننظر هل أحد الضدين يمكن حمله على الآخر، كوسيلة لتحطيم حجة، إن لم يمكن حمله، أو وسيلة لبناء حجة إن أمكن حمله، مثلا ضبط النفس خير لأن انعدام ضبط النفس ضار"⁴، أي أن الحجة تؤخذ بالتضاد بين الأشياء كالسلم والحرب، النفع والضرر.

¹ - رشيد الراضى: مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية ، عالم الفكر، العدد40، ص197.

² - المرجع نفسه، ص 197.

³ - المرجع نفسه، ص 198.

⁴ - أرسطو : الخطابة، ص 166

علاقة الأقل بالأكثر: إذا وجد الأقل وجد الأكثر أيضا¹، أي أنه ما لا يتم إثباته في الأكثر لا يتم اثباته في الأقل، وكمثال على ذلك: من لا يحترم والديه لا يحترم جاره .

نستنتج أن أرسطو قدم نظرية متكاملة في الحجاج هدفه إخراجها من دائرة السفسطة كما ميز بدوره بين الحجاج والجدل ،لذلك شكلت فلسفة أرسطو الحجاجية أرضية ومنطلقا في بناء نظريات الحجاج في الفلسفة المعاصرة.

¹ - أرسطو : الخطابة، ص166.

المبحث الثاني: الحجاج في الفلسفة الوسيطة والحديثة

أولاً: الحجاج في العصر الوسيط عند توما الإكويني

عاش الإكويني (1225-1274م) في عصر تضاربت فيه الآراء بين ما قدمته الكنيسة من تصورات للمجتمعات الغربية المسيحية، وبين الأفكار التي انتقلت من التراث الإسلامي من علم وفلسفة تلك التي أخذها المسلمون من حضارة اليونان، فإذا كانت الفلسفة اليونانية فلسفة حرة لا تتقيد بقيود العقيدة الدينية، فإن فلسفة العصور الوسطى على عكس ذلك، كان الفكر مقيداً بالعقائد الدينية أو عقائد دينية مقيدة بقيود المنطق والتفكير الفلسفي، وعليه كانت محاولة الإكويني تقديم الحجج العقلية للإقناع بصحة المعتقدات المسيحية، دون الاستناد إلى نصوص الكتاب المقدس، افتراضاً منه بأن القارئ لا يسلم بأن الكتاب من عند الله.

1. منهجه الحجاجي:

إن الإكويني خاض جدالات متعددة ومختلفة وتحاجج مع عدة فرق منها يسارا ضد الرشديين اللاتينيين¹، وهذا التيار كان يسعى للاقتراب من الفلسفة أكثر من اللاهوت، وضد العلمانيين المناهضين للأنظمة الدينية، أما يمينا فقد تجادل مع الأوغسطينيين² الذين كانوا يعيرون عليه نزعه الأرسطية، كذلك حاجج ضد التيارات الغنوصية³ ذات الميول الثنوية¹. إن هذه الاتجاهات لها مواقف إيمانية مختلفة حول حقيقة الدين و الفلسفة.

¹- الرشدية اللاتينية: هي مدرسة فلسفية غربية مبنية على تفسيرات أرسطو لابن رشد.

²- الأوغسطينية: نسق فلسفي لاهوتي يعتمد على أفكار الفيلسوف أوغسطين.

³- الغنوصية: حركة دينية باطنية (سرية) انتشرت في القرنين الثاني والثالث الميلادي وكانت تمثل خطراً كبيراً على المسيحية التقليدية. ومعظم الفرق الغنوصية أقرت الإيمان بالمسيحية، لكن انحرفت معتقداتهم بشدة عن تيار المعتقدات الكنسية السائدة و كلمة غنوصية مشتق من الكلمة اليونانية gnosis وتعني "المعرفة الموحى بها".

اعتمد الإكويني على منهج يقوم بعرض وجهات النظر لكل فريق حول قضية من القضايا الدينية المختلفة، وكان دائما ما يعرض حجج كل فريق، ثم يقوم بإصدار حكمه عليها بحجج عقلية، فانتسم بحثه باستعراض الآراء ورصد الحجج المختلفة التي ينطلق منها كل فريق². وهنا أعطى أهمية كبيرة لدور الحجج العقلي الفلسفي الذي يعتمد على الحوار والجدال ليقنع خصمه ويحاول استمالاته.

إن الإكويني عند محاكمته للنصوص التي تتعلق بمواضيع الإيمان والكفر، يظهر لنا رؤيته العقلانية الأرسطية، إذ يشتق قضيته ويحاول إثباتها، كما أنه لا يتخذ موقفا واحدا من كل الحالات، وهذا ما يكشف لنا عن عقلية حركية مرنة في فهم الظواهر الدينية³، إن فكر الإكويني اتسم بطابع حجاجي، منطلقا من أفكار أرسطو محاولا التقريب بينها وبين اللاهوت المسيحي.

اعتمد الإكويني على منهج "نعم ولا"، حيث يقوم باستحضار الأدلة والشواهد من الأطراف المتعددة، كأقوال الثقات والقديسين، ثم يحاول الوصول إلى الحق، وذلك من خلال سعيه لتفسير نصوصهم بطريقة توصل إلى حلول مشتركة من أجل إثبات مواقفه التي اختارها⁴، فهو يستمع لأفكار غيره ويحاول الردّ عليها وأحيانا يقبل أفكار غيره إذا كانت مقنعة، وهذا ما يعطي أهمية لحرية العقل في تقبل الأفكار، أو الوصول إلى أفكار جديدة، وهذا ما يعتمد عليه الحجج.

2. علاقة الفلسفة باللاهوت وتبريرها:

¹ - حيدر حب الله، الآخر في المنظومة الفكرية لتوما الإكويني، تأملات وملاحظات، مجلة الاجتهاد والتجديد، العدد 56، خريف 2022، ص 135.

² - المرجع نفسه، ص ص 133-134.

³ - المرجع نفسه، ص 134.

⁴ - المرجع نفسه، ص ص 134-135.

من بين الإشكالات التي قدم فيها الإكويني حججه إشكالية علاقة الفلسفة والدين، وبما أن مصدر كل منهما مختلف، فإنه فصل بينهما فصلا حاسما من حيث المنطلق الذي يعتمد عليه كل منهما، لأن الفلسفة تنطلق من العقل، والمعرفة المنبثقة عنه تتميز بالوضوح، فالفيلسوف يعتمد على الحجج المبنية على مبادئ العقل ولا يقبل إلا ما هو عقلي، أما الدين فمصدره الوحي، ويقوم على الإيمان والتسليم، "إن حقيقة الإيمان المسيحي وإن كانت تفوق طاقة العقل الإنساني فيستحيل مع ذلك أن الحقائق المغروسة في فطرة العقل الإنساني تجيء مضادة لها، لأن الحقائق المغروسة في طبيعة العقل الإنساني من الثابت أنها من الحقيقة و الصدق، بحيث لا يمكن تصور كونها باطلة كاذبة والحقيقة التي نتيقنها تيقن الاعتقاد لكون الله أكد صدقها بأوضح البينات فلا يسوغ لنا الظن بأنها باطلة، فإذا لما كان الباطل وحده يضاد الحق كما يتضح من تعريفها من المحال أن الحقيقة التي يعلمها الإيمان المسيحي تقع مضادة لتلك المبادئ التي يعرفها العقل ببديهية الفطرة"¹، فرغم اختلاف مصدر الدين على مصدر الفلسفة إلا أنه توصل إلى أنه ليس هناك تناقض بين الفلسفة والدين أو بين العقل و الإيمان من حيث هدفهما، لأن النظر في الفلسفة يكاد يكون موجهها عموما إلى معرفة الله، فالعقل إذا استعملناه بطريقة صحيحة والدين كذلك نصل إلى نتائج صحيحة ومقنعة بالضرورة.

إن الفلسفة والدين لا يتعارضان، لأن معرفة الحقائق الإيمانية أحيانا يكون عن طريق الدين، كما يكون أحيانا أخرى عن طريق العقل وهذا ما أكده الإكويني بقوله: "إن غوامض الحكمة الإلهية وأسرارها قد أثبت وجودها وصدق تعليمها

¹ - توما الإكويني: مجموعة الردود على الخوارج (فلاسفة المسلمين)، ترجمة: المطران نعمة الله ابن أبي كرم الماروني دار بيبليوس، لبنان، ط1، 2008، ص 24.

وتتزيلها بما يناسب من البيّنات والحجج الدامغة¹، فهناك تكامل بين المعرفة نصل بها عن طريق الوحي واللاهوت، وبين المعرفة التي نصل إليها عن طريق العقل و الفلسفة و لا يمكن أن يكون بينهما تناقض لأن مصدرهما هو الله.

حاول الإكويني أن يجعل للعقل شأنًا في اللاهوت، وأن يجعل للفلسفة فيه دورًا إيجابيًا له، لقد استعمل العقل كلما رأى إمكانية ذلك خاصة في المواضيع اللاهوتية التي يمكن الحجج عليها²، إذ يقول: "إن العقل يتقيد بالبيّنات المضادة تقيدًا يمتنع عليه معرفة الانصراف إلى معرفة الحق فإذن لو أن الله ألقى إلينا معارف متضادة لحصل عن ذلك أن عقلمنا يتقيد عن معرفة الحق الأمر الذي يستحيل وقوعه من الله"³. إن المجال المشترك بين الفلسفة والدين هو استعمال العقل و هو هبة طبيعية من الإله .

إن الإكويني مزج بين اللاهوت والفلسفة، وأكد على أهمية العقل وأهمية اللاهوت، وبين أنه لا وجود لخلاف بينهما لأن كليهما يوصل إلى الحقيقة.

3. مسألة وجود الله:

أراد الإكويني أن يستدل ويقنع بفكرة وجود الله، لأنها في تلك الفترة لم تكن فكرة فطرية موجودة في قلب كل إنسان، بحيث يمكن تصور عكسها، فالإلحاد كان قضية شائعة ومألوفة، وبالتالي كان لزامًا عليه أن يبحث عن الحجج المقنعة لإثبات وجود الله⁴.

¹ - المرجع نفسه، ص 21.

² - شفيعة بليلي: إشكالية التوفيق بين الفلسفة والدين عند القديس توما الإكويني، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، الجزائر، العدد 18، جوان 2017، ص 108.

³ - توما الإكويني، مجموعة الردود على الخوارج، ص ص 25-26 .

⁴ - نادية عبد الغني البرماوي: مشكلة العلم الإلهي عند القديس توما الإكويني، 2017، ص 155.

اعتمد الإكويني في الحجج على وجود الله على الطريق الصاعد، مؤكداً أن النظر إلى العالم الخارجي يقودنا بالضرورة إلى إثبات وجود الله¹. إذ يعتبر العقل أداة ضرورية لبلوغ الحقيقة، فله دور أساسي في الاستدلال، إن الفلسفة السكولائية اهتمت بمحورين أساسيين هما العقل والإيمان، اعتبر الإكويني أن العقل مرجع أساسي في المعرفة الدينية، وهذا استثمار للفلسفة الأرسطية .

يقول الإكويني: "متى كان الخصم غير معتقد شيئاً مما كشف بالوحي الإلهي فليس بعد ذلك من سبيل إلى إثبات العقائد الإيمانية بالأدلة، بل إلى نقض ما قد يورده من الحجج المضادة للإيمان لأنه لما كان الإيمان مستندا على الحق المعصوم ويستحيل إثبات ما يضاد الحق بالبرهان وواضح أن الحجج التي تقام على نقض الإيمان ليست براهين بل أدلة مردودة"². إن مناظرة المبتدعين تعتمد على العقل الذي يقدم الحجج المنطقية، فالحجج المتناقضة تمنع من الوصول إلى الحقيقة، لأن هذه الحجج لا تأتي من العقل الطبيعي السليم، بل هي مجرد سفسطة، لذلك وضع الله مجموعة من المبادئ العقلية تمكن من دحضها.

1.3. وجود الله بين الإيمان والتبرير العقلي: تعتبر مشكلة العقل والوجود الإلهي من المشكلات الميتافيزيقية التي أثارت الجدل واختلاف وجهات النظر حولها ، فاكل فيلسوف وجهة نظر خاصة به حسب المذهب الذي يتبعه، ويعد توما الإكويني من أهم الفلاسفة الذين تناولوا هذه المسألة ، لذلك فالسؤال المطروح : هل وجود الله عنده مسألة إيمانية فقط أم أنها قابلة للتبرير العقلي؟

¹ - المرجع نفسه، ص155.

² - توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج1، ترجمة: الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، ط1، 1881، ص21.

عرض الإكويني حجج الفلاسفة السابقة عليه حول مسألة وجود الله التي تعتبر أنه بين بذاته، إذ رد على أصحاب هذا الرأي ثم بين حججه في ذلك، والحجج التي تعتبر أن وجود الله حقيقة بديهية لا تحتاج إلى برهنة هي:

الحجة الأولى: حجة يوحنا الدمشقي تؤكد أن معرفة الإله واضحة بذاتها لأنها فكرة فطرية وبينه لدى الإنسان كالمبادئ الأولى.

الحجة الثانية: وهي حجة القديس أنسلم وتتمثل في أن من يعرف اسم الله يعرف حالاً أن الله موجود، لأن معنى اسم الله هو ما لا يمكننا تصور أعظم منه، وما هو موجود بالفعل وفي الذهن أعظم كما هو موجود في الذهن فقط، و بما أن معرفة اسم الله تعني أنه موجود في الذهن فيترتب على ذلك أن الله موجود بالفعل¹. إن الحجتين السابقتين تؤكدان على وضوح فكرة وجود الله لأنها من الأفكار الفطرية التي يولد العقل وهو مزودٌ بها، ومادامت فكرة وجود الله موجودة في العقل، فهو موجود فعلاً.

الحجة الثالثة: تقول أن وجود الحق واضح وبيّن بذاته، ومن ينكر وجود الحق يسلم بأن الحق معدوم، وإذا كان الحق معدوماً أصبحت القضية القائلة بأن الحق معدوم، قضية حقيقية، وإذا كان ثمة شيء حقيقي، فهو حق، ولكنه هو الحق فوجود الله بين بذاته². إن الحق موجود ومادام هذا الحق موجود غير منعدم فالله موجود كذلك.

أكد الإكويني بأن قضية وجود الله ليست بينة بذاتها، لأننا لا نعرف ماهيته، ولذلك تحتاج هذه القضية إلى التبرير العقلي، إذ يبرر ذلك بقوله: "لما كان العقل الإنساني لا يقدر في حال هذه الحالة العاجلة أن يعقل الجواهر المجردة

¹ - ميلاد غالي ذكي: الله في فلسفة توما الإكويني، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 1998، ص14.

² - المرجع نفسه، ص14.

المخلوقة... كان بالأولى لا يقدر أن يعقل ماهية الجوهر غير المخلوق، ومن ثمة يجب أن لا يقال مطلقاً أن الله ليس أول شيء ندركه، بل بالأحرى إنما نتوصل إلى معرفته بالمخلوقات¹، إن هذه القضية تحتاج إلى مجموعة من الحجج والأدلة لإقناع المنكرين لها.

وعليه كان رده على الحجة الأولى بأن معرفتنا الفطرية عن الله هي معرفة عامة ومختلطة وتقتصر على أن الله مرغوب بالطبع، وما هو مرغوب بالطبع معروف بالطبع، ولكن هذا لا يعني معرفة أن الله موجود بالطبع، لأن هناك من يرى أن الله غير موجود لأنه يرغب في ذلك².

أما رده على الحجة الثانية فكان كالتالي: بأن الكثيرين لا يفهمون من اسم الله ما لا يمكن التفكير في أعظم منه، لأن هناك من يعتقد أنه جسم، ومادام جسمًا يمكن تصور أعظم منه، فالله وجود ذهني محض³. إن رد الإكويني على الحجتين الأولى والثانية كان انطلاقاً من أن معرفة الله لا يتعلق وجودها بالرغبة في أنه موجود لأن كل شخص تختلف رغباته عن الآخر، وبالتالي فهو غير موجود حتماً، كما أن تصور أن الله لا يوجد ما هو أعظم منه، هي فكرة غير واضحة لأن هناك من اعتبر أنه جسم وهذا ما يقلل من قيمة الحقيقة الإلهية، وبالتالي تحتاج فكرة وجود الله إلى تبرير لإقناع الغير بوجوده.

أما الحجة الثالثة أن الله ليس بين بذاته لأننا لا نرى ذات الله، فهو ليس نوراً نعرف به غيره، بل إن معرفتنا للأشياء هي من فيض الله بسببه وليس بسبب

¹ - توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج2، ترجمة: الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، ط1، 1887، ص 458.

² - ميلاد غالي ذكي: الله في فلسفة توما الإكويني، ص 15.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

معرفتنا له¹، ففكرة وجود الله لا نجد لها عند الجميع، كما أن معرفة الأشياء تتولد من عند الله لبعض الأشخاص دون غيرهم وبالتالي فكرة وجود الله ليست موجودة بالطبع.

2.3. حجج الإكويني لإثبات وجود الله: تستند حجج وجود الله عند الإكويني على ميتافيزيقا أرسطو، وتصنع الحجج الخمسة الاستدلالات على أساس السببية، لذلك يجب فهم نوع السببية الذي يفكر فيها الإكويني عند تقديم الحجج. إن التعرف على وجود الله يكون وصفه علة للمخلوقات وسائر الكائنات، وبالتالي إن خلق الله لهذا العالم يكون بمثابة حجج دامغة ودليل واضح على وجود الله، وهذا ما أكده الإكويني بقوله: "وهكذا يمكن أن يبرهن على وجود الله من آثاره"².

أراد الإكويني الحجج والاستدلال على فكرة وجود الله، إذ قدم خمسة حجج ليثبت وجوده عرضها في كتابه الخلاصة اللاهوتية الجزء الأول، وهذه الحجج هي:

أ. حجة الحركة: ومفادها أن كل متحرك لا بد له من محرك يحركه، وهذا المحرك الثاني يفتقر إلى محرك ثالث يستمد منه حركته، غير أنه لما كان من غير المعقول استمرار سلسلة المتحركين إلى ما لا نهاية، فلا بد من التوقف عند محرك أول ثابت يحرك هذا العالم دون أن يتحرك، وهذا المحرك هو الله³، يقول الإكويني: "فإذا كان كل ما يتحرك فلا بد له من أن يتحرك من آخر، وإذا كان هذا الآخر متحركاً، فلا بد من أن يتحرك من آخر أيضاً، وهنا لا يجوز التسلسل إلى غير النهاية، فإن لا بد من الانتهاء إلى محرك غير متحرك من آخر وهذا الذي

¹ - المرجع نفسه ، ص 15.

² - توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج1، ص 21.

³ - نادية عبد الغني البرماوي: مشكلة العلم الإلهي عند القديس توما الإكويني ، ص 156.

يعقل الجميع إنه الله¹، ففكرة الحركة الموجودة في الأشياء حجة على وجود محرك لها هو الله وبالتالي فهو موجود.

ب. حجة العلة المؤثرة: وخلصتها أن كل علة تفتقر إلى معلول، وكل سبب يحتاج إلى مسبب آخر، ولما كان من غير المعقول أن نتدرج في سلسلة العلل والمعلولات إلى ما لا نهاية فلا بد إذن أن نقف عند علة أولى فاعلة وهذه العلة هي الله²، يقول الإكويني: "إننا نجد في المحسوسات الشاهدة ترتيباً بين العلل المؤثرة، وليس يُرى مع ذلك ولا يمكن أن شيئاً يكون علة مؤثرة لنفسه لزوم وجوده قبل نفسه وهذا محال، والتسلسل ممتنع في العلل المؤثرة لأن الأول بين جميع العلل المؤثرة المترتبة هو علة الوسط، وهو علة الأخير، فلا بد إذن إثبات علة مؤثرة أولى وهي التي يسميها الجميع الله³، فهذه الحجة بيان على وجود علة خالقة لهذا الكون، فإذا كان الموجود المتحرك غير متحرك بذاته، فهو بالأحرى غير موجود بذاته.

ج. حجة الممكن والواجب وتسمى كذلك حجة الوجود: ومؤداها أن هناك أشياء ممكنة الوجود، وكل ما هو ممكن الوجود يمكن أن يوجد و يمكن ألا يوجد أيضاً، ولكنه إذا وجد فإن ذلك يعني أنه لا يستمد وجوده من ذاته، وإنما لا بد أن يستمد من غيره، ولكننا بذلك نعود إلى الحجة الثانية وهي عدم التسلسل في إطار العلل والمعلولات إلى ما لانهاية، ولذا يجب القول بوجود واجب الوجود بذاته، أي الذي لا يحتاج في وجوده إلى غيره ويكتسب غيره وجوده منه وهو الله⁴. يقول الإكويني: "فإن ليس جميع الموجودات ممكنة، بل لا بد أن يكون في الأشياء

¹ - توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج1، ص ص 21-22.

² - نادبة عبد الغني البرماوي: مشكلة العلم الإلهي عند القديس توما الإكويني، ص ص 156-157.

³ - توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج1، ص 22.

⁴ - نادبة عبد الغني البرماوي: مشكلة العلم الإلهي عند القديس توما الإكويني، ص 158.

شيء واجب والواجب إما واجب لذاته أو لغيره، والتسلسل في الواجبات لغيره مستحيل كاستحالة في العلل المؤثرة... فإن لا بد من إثبات شيء واجب لذاته ليس واجبا بعلّة أخرى، بل غيره واجب به وهذا ما يسميه الجميع الله¹، في هذه الحجة انطلق الإكويني من التجربة الحسية التي تكشف عن حدوث الموجودات، فمادامت قابلة للفساد فهي ممكنة الوجود فقط، في حين يوجد موجود ضروري وهو واجب الوجود.

د. حجة التفاوت في مراتب الوجود: تقوم هذه الحجة على الاعتراف بوجود درجات مختلفة من الكمال في الأشياء المتناهية، وهذا في حد ذاته يفترض وجود كائن تام، فمن بين الموجودات ما هو أكثر خيرية أو حقيقة أو نبلا وما إلى ذلك، لكن قولنا أكثر أو أقل يكون بالقياس إلى خير أقصى أو حق أقصى أو نبل أقصى، فالضرورة تقتضي وجود هذا الحد الأقصى، وما هو حق أقصى يستلزم وجودا هو غاية تلك الصفات، وهو الله²، يقول توما الإكويني: "إننا نجد في الأشياء تفاوتاً في الأكثر أو الأقل من حيث الخيرية والحقيقة والشرف ونحو ذلك، والأكثر والأقل إنما يقالان على أمور مختلفة بحسب اختلافها في القرب إلى ما هو غاية في شيء... فإن يوجد شيء هو علة لما في الموجودات من الوجود والخيرية وسائر الكمالات وهو ما نسميه الله³، فالله هو مبدأ المبادئ، نظم العالم ورتبه على أفضل صورة، كما أنه في الوقت نفسه الغاية القصوى التي تتحرك لأجلها جميع الكائنات.

هـ. حجة دقة نظام الكون أو العلة الغائية: يقول الإكويني في هذه الحجة ما يلي: "الأجرام الطبيعية تفعل لغاية وهذا ظاهر من أنها تفعل دائماً أو في الأكثر

¹ -توما الإكويني: الخاصة اللاهوتية، ج1، ص 33.

² - ميلاد غالي ذكي: الله في فلسفة توما الإكويني، ص 28.

³ -توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج1، ص 34.

على نهج واحد إلى أن تدرك النهاية في ذلك ، وبهذا يتضح أنها لا تدرك الغاية اتفاقا بل قصدا ، على أن ما يخلو من المعرفة ليس يتجه إلى غاية ما لم يسدد إليها من عارف وعاقل كما يسدد السهم من الرامي، فإن يوجد موجود عاقل يسدد جميع الأشياء الطبيعية إلى الغاية وهذا الذي نسميه الله¹، فالعلم يسوده نوع من النظام، وهذا النظام دليل على وجود موجود عاقل خارج عن هذا العالم، تلبي غاياته على هذا النحو، مادام من المستحيل أن تكون للأشياء المادية غايات في ذاتها، وهذا الموجود العاقل هو الله وبالتالي فهو موجود²، فالكون كله منظم نظاما محكما ودقيقا، وهذا النظام يستلزم علة منظّمة وهذه العلة هي الله.

إن الإكويني حاول إثبات العقائد المسيحية انطلاقا من العقل، فطوع الفلسفة لخدمة الدين وأعطاهها طابعا عقليا منطقيا لتقوية حججه، فكان يبدأ من المخلوقات والموجودات ليصل إلى معرفة الله، لذا انتهج منهجا أرسطيا يبدأ فيه من العلة ليصل إلى المعلول.

ثانيا: الحجاج في الفلسفة الحديثة عند هيغل:

1. مفهوم الجدل وطبيعته:

الجدل هو مصطلح استخدم لوصف طريقة حجاج فلسفية تتضمن نوعا ما عملية تناقض بين أطراف متضادة، فهو أسلوب استثنائي استخدمه هيغل (1770-1831م) للحجاج، إن التناقض الموجود بين الجوانب المتضادة في الديالكتيك يؤدي إلى ارتقاء خطي أو تطور من تعاريف وآراء أقل تعقيدا و رقيا إلى تعاريف وآراء

¹ - المرجع نفسه، ج1، ص 34.

² - نادية عبد الغني البرماوي: مشكلة العلم الإلهي عند القديس توما الإكويني، ص 160.

أكثر تعقيدا ورقيا لاحقا¹، وبالتالي فإن العملية الجدلية تشكل أسلوب هيجل في الحجاج ضد التعاريف أو الآراء الأقل تعقيدا وإلى أكثرها تعقيدا لاحقا، فهو يهدف إلى السمو بالمعرفة والوصول إلى حقيقة وطبيعة الأشياء.

أكد هيجل أن الجدل موجود في كل مجالات الحياة، فهو موجود في الوعي وموجود في التجربة، لأن حقيقة كل شيء تكمن في التناقض، وفي هذا الصدد يقول: "إن الجدل قانون نشعر به بوجوده في جميع مستويات الوعي الأخرى، وفي التجربة بصفة عامة، فكل ما يحيط بنا يمكن أن ينظر إليه على أنه مثال على الجدل، ونحن على وعي بأن جميع الأشياء لا متناهية وبدلا من وجودها المستقر النهائي نعرف أنها على العكس متغيرة ومتحولة"²، فالجدل هو أن يكون الشيء على ذاته، ثم يتجاوز حالته المباشرة والطبيعية لينقلب إلى نقيضه .

إن المنهج الوحيد الذي يمكن أن يوضح الحقيقة بصورة كاملة هو الجدل، حيث يتم تنقية المعارف والأحكام ويجعلنا نقف على الحقيقة بصورة كاملة . وعليه فخصائص الجدل تتضح لنا في الترابط والتكامل أما القصور في المنهج فيتضح إذا نظرنا إلى المفاهيم والتصورات والموضوعات من جانب واحد فقط³، ولذلك يجب أن ننظر إلى الشيء من جميع جوانبه.

كما فصل هيجل بين الجدل وبين السفسطة، وبين أنهما من طبيعتين مختلفتين، فالجدل يبحث عن الحقيقة الكاملة والموضوعية، بينما السفسطة تأتي

¹ -جولي مايي: دياكتيك هيجل، ترجمة: فراس الحمدان، موسوعة ستانفورد للفلسفة، مجلة حكمة للنشر والترجمة، 2019، ص2.

² - هيجل : موسوعة العلوم الفلسفية ،المجلد1،ترجمة وتقديم: إمام عبد الفتاح، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2007، ص 220.

³ - ياسر علي خالد فراج: المنهج الجدلي عند هيجل وأثره على الفلسفة المعاصرة، مجلة كلية البنات الأزهرية، مصر، العدد6، 2022، ص 327.

بالحقيقة الجزئية التابعة لذاتية الفرد وفائدته، يقول هيغل: "ويتعين علينا من ناحية أخرى ألا نخلط بين الجدل و السفسطة المحضة التي تقوم ماهيتها في الحقيقة على الأخذ بمبدأ جزئي مجرد ومعزول، وتعتبره في كل مرة مناسباً لمصلحة الفرد واهتمامه وموقفه الخاص في لحظة معينة"¹، فالجدل يوصلنا إلى الحقيقة بينما السفسطة هي تعبير عن ذاتية المجادل وخادمة لمصالحه.

إن الجدل يختلف بتاتا عن هذا الضرب من المحاجة الشخصية الذاتية المتحيزة، بل يهدف إلى دراسة الأشياء في طبيعة وجودها وفي حركتها، كما يهدف إلى الحجاج على مقولات الفهم ذات الجانب الواحد²، إن المنهج الجدلي عند هيغل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقل، فهو تعبير عن طبيعته وماهيته وهو حوار العقل مع نفسه أولاً، يهدف للوصول إلى حقيقة الشيء كما هي لا كما نريد.

الجدل الهيغلي أساسه الفكر القائم على حرية التفكير وهذا ما أكده هيغل بقوله "تظهر الطبيعة الحقيقية للشيء واضحة بواسطة الفكر، لكن لا يقل عن ذلك صدقاً أن نقول إن ممارسة التفكير هي فعل خاص بي، ولو كان ذلك كذلك فسوف تكون الطبيعة الحقيقية للشيء هي ناتج لذهني أنا بوصفي ذاتاً مفكرة وهي تصدر عني في كليتي البسيطة التي تجتمع حول ذاتها وتبتعد عن المؤثرات الخارجية، باختصار متكون نتاجاً لحرיתי"³، إن الجدل يستلزم الحرية لأنها تحرر العقل من قيود الأحكام، ويفضلها نصل إلى المعرفة الموضوعية، وإصدار أحكام صحيحة حول الموضوع.

2. مصادر المنهج الجدلي:

¹ - هيغل: موسوعة العلوم الفلسفية، ص 218.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - المرجع نفسه، ص 96.

استمد هيغل فكرة الجدل من عدة فلاسفة سابقين عليه، غير أنه أضاف إلى أفكارهم الجديد، ومن بين الفلسفات التي أشاد بأهميتها الفلسفة اليونانية وفي هذا الصدد يقول: "ولو أن الإنسان رغب في أن يعرف معنى الفكر الحر فلا بد من العودة إلى الفلسفة اليونانية أما الفلسفة السكولائية أو المدرسية، فقد قبلت وقائع هذه المذاهب الميتافيزيقية، قبلتها بوصفها معتقداً أقرته سلطة الكنيسة"¹، إن فلسفة الإغريق حجاجها الفكري قائم على الحرية الفكرية البعيدة عن كل قيد، بينما فلسفة العصور الوسطى تحاول تبرير معتقدات الكنيسة.

ويعتبر الفيلسوف هيرقليطس أول من ساهم بشكل فعال في تكوين فكرة الجدل عند هيغل لأنه أول فيلسوف يوناني قال بفكرة التغير والسيرورة وصراع الأضداد في الوجود والحقيقة، فقد أحل السيرورة محل الساكن. لذلك يمكن القول أن هيرقليطس أول من بحث في نظرية المعرفة وتساءل: كيف يمكن للوعي أن يصل إلى معرفة الكلي الذي يعبر عن حقيقة الأشياء²؟

إن هيرقليطس يجد الوحدة في الأضداد نفسها، فهي كثيرة وواحدة في آن واحد، فالمرض والصحة واحد، والواحد يتكون من جميع الأشياء، ونخرج جميع الأشياء من الواحد ويجهل الناس كيف يكون الشيء متفقا ومختلفا في آن واحد، فهو صاحب مقولة: "كل شيء في تدفق دائم فلا شيء يبقى على حال"، كما يقول كذلك: "قارن بين الأشياء ومجرى النهر فلا أحد يستطيع أن ينزل النهر نفسه مرتين لأن مياهها تغمره باستمرار"³، جعل هيرقليطس الجدل موضوعيا لأنه اعتبر أن المطلق هو وحدة الأضداد، و أن الكون دوما في سيرورة وتغير وحركة فلا وجود لشيء ثابت، وحقيقة الشيء تحمل النقيضين.

¹ - المرجع نفسه، ص 124.

² - إمام عبد الفتاح: المنهج الجدلي عند هيغل، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط 3، 2007، ص 50.

³ - المرجع نفسه، ص 49.

كما تأثر هيجل أيضا بفكر زينون الإيلي الذي يقول " كل سلب تعين"، حيث أكد هيجل إعجابه بهذه الفكرة، " فالجدل ليس سلبا خاصا، وإنما هو سلب معين والسلب المعين إيجاب"¹، ومعنى ذلك أن الإنسان حين ينكر تعينا ما فإن هذه الأفكار، أو هذا السلب هو نفسه تعين جديد.

كذلك ساهمت فلسفة أفلاطون بشكل مباشر في تشكيل المنهج الجدلي عند هيجل حيث إن: " الجدل ليس شيئا جديدا في الفلسفة، فقد كان موجودا عند القدماء من الفلاسفة، ونستطيع أن نعد أفلاطون مخترع الجدل أو مكتشفه، وترتكز جدارته واستحقاقه لهذه التسمية على أن الفلسفة الأفلاطونية كانت أول من قدم صورة علمية حرة عن الجدل، فضلا عن أنها أول صورة موضوعية كذلك"². لأن الجدل الأفلاطوني يهدف للوصول إلى أعلى التصورات والمبادئ باستخدام العقل، فهو حوار العقل مع ذاته ومع غيره يرتقي بالإنسان أثناء العملية الحجاجية للوصول إلى المعاني و الأفكار الصحيحة البعيدة عن كل ذاتية، وكل سفسطة، وهذا ما يهدف إليه هيجل أيضا من خلال هذا المنهج.

كما أكد هيجل على أهمية الجدل في الفلسفة الحديثة خاصة مع الفيلسوف الألماني كانط وهذا ما نجده في قوله: " أما في العصور الحديثة، فقد كان كانط بصفة خاصة هو الذي أخرج الجدل من عالم النسيان ليعطيه المكانة التي يستحقها، ولقد فعل ذلك أثناء شرحه لنقائص العقل، وليست مشكلة هذه النقائص عملا ذاتيا محضا تتأرجح بين مجموعة وأخرى من المبررات، ولكنها تخدمها في أن تبين لنا أن كل قضية مجردة من قضايا الفهم، حينئذ نتناولها في طبيعتها

¹ - المرجع نفسه، ص 42.

² - المرجع نفسه، ص ص 218-219.

الدقيقة المعطاة، تنقلب من تلقاء نفسها إلى ضدها¹، إن كانط استطاع توضيح الدور الأساسي الذي يقوم به العقل في عالم التصورات وعليه تكوين العالم الواقعي، فقام بتقسيم المعرفة إلى عالم التجربة وعالم العقل، لكنه عاد ورد هذه التجربة إلى مبادئ العقل ذاته². إن كانط قام بإرجاع التجربة وردها إلى ضدها العقل، بل إنه جعلها من صنع العقل في حد ذاته، وهنا بين لنا أن الشيء يمكن أن يرجع إلى نقيضه، وهذه الفكرة آمن بها هيغل وطبقها في جميع أفكاره وفلسفته، فالمعرفة الصحيحة تكون جدلية تحمل الشيء وضده في آن معا.

3. مسار المنهج الجدلي:

تجدر الإشارة إلى أن المنطق الأرسطي قوبل بهجوم عنيف ومن بين أسباب الهجوم عليه أنه منطق عقيم لا يقدم الجديد ولا يساعد على تنمية المعارف، كما أن منطق هيجل يتصف بالسكون والثبات والآلية، لذا قدم هيغل منطقاً جديداً يتميز بالحركة والتغير والتطور يتمثل في الديالكتيك أو الجدل.

يؤكد هيغل أنه لفهم الوجود ومبدأ تسلسل ظواهره لا بد من اتباع منهج عقلي ابتداءً من أصل واحد وهو القضية، ينقلب إلى نقيضه، ثم يأتلف مع هذا النقيض ويتكرر هذا التطور الثلاثي في جميع مظاهر الوجود، وهنا ضرورة ترك العقل يجري على طبيعته من أول و أبسط المعاني³. إن الفلسفة الهيجلية تقوم باستتباط المعاني الأولية بالإثبات والنفي معا والجمع بينهما.

انتقد هيغل المذاهب الفلسفية في العصر الحديث خاصة المذهب التجريبي والعقلي اتخاذهما لجانب واحد وأساس واحد للمعرفة و إهمالها للجانب الآخر، إذ

¹ - المرجع نفسه، ص 219.

² - إمام عبد الفتاح: المنهج الجدلي عند هيغل، ص 68.

³ - يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي، مصر، ط1، 2012، ص 288.

يعبر عن ذلك بقوله: " وكثيرا ما يحدث في الفلسفة أن تأخذ أنصاف الحقائق بجوار الحقيقة كلها، وتزعم لنفسها شيئا من الدوام، لكن الواقع أن أنصاف الحقائق ليست مبادئ محددة توجد بذاتها وإنما هي عنصر محض ينحل ليدخل ضمن الكل"¹، فالمذهب الذي يؤمن بجزء واحد كمبدأ للمعرفة يصل إلى نصف الحقيقة، بينما المنهج الجدلي يحقق الشمول ويتجاوز الصراعات السابقة ويصل إلى الحقيقة في كليتها.

إن المنطق عند هيجل هو علم الفكرة المحضة وهي محضة لأنها تكون في وسط مجرد من التفكير، أما بغيته ومنتهاه فهي الفكرة المطلقة، والفكرة المطلقة هي الفكرة التي يتحد فيها كل من الفكرة الذاتية والفكرة الموضوعية.

و بناءً على ما سبق فالمنطق عند هيجل يعالج الأفكار المجردة وموضوعه هو التفكير المحض وذلك التفكير المحض يمثل أعلى درجات الحقيقة عنده، فالمنطق الهيجلي هو منطق قائم على الجدل².

والجدل هنا ليس فنا على براعة المجادل كما هو عند السفسطائيين، بل هو حوار العقل الخالص مع ذاته يناقش فيه محتوياته ، ويقوم بواسطته العلاقات بين هذه المحتويات، فينتقل من الفكرة إلى النقيض للوصول إلى المركب بينهما، ويتخذ هيجل نقطة انطلاق في المنطق من اعتراف الفكر بتطابقه مع الواقع، حيث أن هذا الواقع لا يخرج عن كونه الصورة التي يتبدى الفكر من خلالها لنفسه³. وعليه يؤكد "الشكل الحق الذي تكون فيه الحقيقة إنما هو النسق العلمي الذي لها، ومعناه أن الحق نفسه قد بات في الفلسفة شأن الصيرورة، فالحق لا يحصل دفعة واحدة ولا

¹ - هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية، ص125.

² - ياسر علي خالد فراج، المنهج الجدلي عند هيجل وأثره على الفلسفة المعاصرة، ص 330-331.

³ - المرجع نفسه، ص 331.

في الحال، ولم يعد مجرد نقطة ثابتة راسخة وحق ثابت¹، وهذه هي مراحل الجدل الهيجلي التي تتغير فيها الفكرة من مرحلة إلى أخرى للوصول إلى الحقيقة الكاملة.

على الرغم من اعتراف هيجل بأن طريقته الجدلية كانت جزءاً من تراث فلسفي يمتد إلى عهد أفلاطون في القدم إلا أنه انتقد هيئة الجدل عند أفلاطون. ويرر نقده أن دياالكتيك أفلاطون لا يتعامل إلا مع ادعاءات فلسفية، محدودة وأنه غير قادر على تجاوز الشكوكية أو العدم وفقاً لمنطق حجة البرهان بالخلف التقليدية، فإذا كانت المقدمات المنطقية لحجة ما تقود إلى تناقض، فيجب علينا استنتاج أن تلك المقدمات باطلة أو خاطئة، مما يجعلنا بلا مقدمات². فمعطيات الجدل عند أفلاطون تعترف بدور مبدأ عدم التناقض، أي أنه حينما تتعارض قضيتان فإن إحداها خاطئة بالضرورة، بينما هيجل يستنتج من صراع الأضداد ومن التناقض حقيقة جديدة هي التركيب وهذا يرجع إلى مبدأ الحركة والتغير.

وعلى هذا يحرص هيجل على أن "الحقيقة ليست عملية ثابتة يمكن للمرء أن يستلمها جاهزة وكذلك يقتضيها"³، ذلك أن الجدل عند أفلاطون يحتاج للوصول إلى حقيقة معينة يريد الوصول إليها، فإذا وجد أفكاراً مناقضة لرأيه يستبعدها ويعتبرها سلبية وبعيدة عن الحقيقة عكس هيجل الذي أعطى قيمة وأهمية لهذه الأفكار لبناء الحقيقة المطلقة.

يؤكد هيجل أن الحجاج العقلي يعتمد على الطريقة الديالكتيكية، أي أن الفكرة تصير نفسها ونقيضها ويتحدان معاً لأن الحقيقة تحتوي على الجانبين

¹ -هيجل: فينومينولوجيا الروح، ترجمة وتقديم: ناجي العونلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006، ص 79.

² - جولي مايي: دياالكتيك هيجل، ص3.

³ - هيجل: فينومينولوجيا الروح، ص144.

الإيجابي والسلبي معا¹. إن ديالكتيك هيغل يتبع نمط أطروحة، نقيض، تركيب، والذي عند تطبيقه على المنطق يعني أن هناك فكرة جديدة مقدمة بأطروحة أو فكرة موجبة والتي تتطور بعد ذلك إلى فكرة ثابتة تنفي أو تعارض الفكرة الأولى أو نقيضها والتي بدورها تقود إلى فكرة ثالثة التي توحد الفكرتين الأوليتين²، إن المنهج الجدلي عند هيغل مرتبط بشدة بفكرة العقل لأنه تعبير عن طبيعة هذا العقل وماهيته وحوار معه.

لقد كان موضوع الفلسفة الهيجلية هو العقل في صورته المتعددة والمختلفة، لهذا اعتمدت فلسفته على المنهج الجدلي ذلك أن الفكر في حد ذاته جدلي الطابع يسير على إيقاع ثلاثي من الإيجاب إلى السلب إلى التركيب بينهما، وهذا المنهج هو الذي يوصلنا إلى صحة وحقيقة الأفكار، وبالتالي إقناعنا بالحجج العقلية المنطقية.

¹ - المرجع نفسه، ص 81.

² - جولي مايي: ديالكتيك هيغل، ص 12.

4. تطبيقات المنهج الجدلي:

طبق هيجل مراحل المنهج الجدلي التي سبق ذكرها (القضية ، النقيض ، التركيب) على مختلف المجالات، وبين أن كل شيء يرجع إلى الجدل ومن بين هذه المجالات نجد :

1.4. في مجال المعرفة: إن المعرفة عند هيجل تمر بثلاث مراحل هي:

أ. المرحلة الأولى: المعرفة الحسية وتتمثل في الإحساس الساذج، إذ يعتمد الحس المشترك و الوعي الساذج على مقولات الوجود في تفسير الأشياء التي تظهر له كما هي موجودة بالفعل، وهذا النمط من المعرفة يعد في رأي هيجل أدنى مراتب المعرفة¹. إن الجانب الأول الذي تقوم عليه المعرفة هو الحواس والتجربة الواقعية وهذه هي القضية الأولى وتحمل سلبيات لأن هذا النوع من المعرفة يعطي جزءاً فقط من الحقيقة.

ب. المرحلة الثانية: هي المعرفة العلمية التي تستخدم مقولات الماهية كالشيء وخواصه والجوهر والعرض وتستخدمها المعرفة العلمية بمثابة أدوات تقوم بفهم وتفسير العالم ذلك أن مقولات الماهية تتجاوز أو تنسخ مقولات الوجود ، وتعطينا معرفة أكثر وضوحاً عن العالم يفوق المعرفة الحسية، ومن ثم فإن المعرفة العلمية تمثل خطوة متقدمة على الحس المشترك الساذج ولكنها على الرغم من ذلك ليست بالمعرفة الكاملة، يقول لهيجل: " إن العلم النظري لا يهمل على أقل تقدير الوقائع التجريبية المتضمنة في علوم عديدة ، وإنما يتعرف عليها ويستخدمها وهو ينشد ويدرك في بنية هذه العلوم العنصر الكلي فيها وهو قوانينها وتعميماتها"²، أما

¹ - ياسر علي خالد فراج: المنهج الجدلي عند هيجل وأثره على الفلسفة المعاصرة، ص 337.

² - هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية، ص 61.

الجانب الثاني الذي تستند إليه المعرفة هو العقل وهذا ما يسمى بنقيض القضية، أو سلب القضية الأولى المتعلقة بأن المعرفة ذات طابع حسي.

ج. المرحلة الثالثة: و تعبر عن المعرفة الفلسفية التي تمثل مقولات المرحلة الثالثة في المنطق أو هي الفكرة الشاملة التي تتجاوز المعرفة العقلية مثلما تم تجاوز المعرفة الحسية، وتأتي المعرفة الفلسفية تتجاوز المعرفتين السابقتين وتعارضهما، إلا أنها لا تستبعدهما، فالمقولات العليا تتضمن بداخلها المقولات الدنيا، ولذلك يقر هيغل أن المعرفة الفلسفية تشتمل على حقيقة العالم وهي معرفة تامة وكاملة¹. وهنا نستدل بمقولته الشهيرة: "المعقول واقعي، والواقعي معقول"²، وهذه القضية تسمى بالتركيب، أي يتم الجمع بين القضية الأولى التي ترى أن مصدر المعرفة هو الحواس، وبين نقيضها الذي يؤمن بدور العقل في بناء المعرفة، لنصل إلى التركيب الذي يجمع بين المصدرين السابقين للوصول إلى المعرفة الفلسفية الشاملة التي لا تهمل جانبا على حساب آخر.

2.4. في مجال القانون: إن الجدل قانون نستدل به في جميع المجالات فنجده كذلك في القانون إذ يقول " ولكي نوضح الجدل في العالم الروحي لا سيما في مجال القانون فإنه يكفي أن نتذكر فحسب كيف تبرهن لنا التجربة العامة على أن الحد الأقصى لحالة من الحالات أو فعل من الأفعال ينقلب فجأة إلى ضده ، ولقد وجد هذا الضرب من الجدل بطرق شتى في كثير من الأمثال ،فهناك مثل يقول: " العدل المطلق ظلم مطلق"³، ومعنى هذا أننا إذا ما طبقنا حقا من الحقوق المختلفة إلى حده الأقصى فإننا نقوم بعمل خاطئ، فمثلا الحد الأقصى للفوضى

¹ - ياسر علي خالد فراج: المنهج الجدلي عند هيغل وأثره على الفلسفة المعاصرة، ص337.

² - هيغل: موسوعة العلوم الفلسفية، ص55.

³ - المرجع نفسه، ص 221.

في الحياة السياسية و الحد الأقصى من الاستبداد يؤدي كل منهما إلى الآخر، وهنا يتبين أن القضية تؤدي بالضرورة إلى نقيضها.

3.4. في مجال الأخلاق: أما في مجال الأخلاق قدم لنا هيجل مثالين وهما قولان متداولان في عصره جيداً الأول "الغرور يسبق الانهيار" والثاني "المفرط في الخداع والحيلة يخدع نفسه"، وهنا يتبين أن كل شيء في الحياة سواء أكان من الأمور الوجدانية أو الجسمية أو العقلية يكمن الجدل في طبيعته، ونحن نعرف أن الدرجات القصوى للألم والفرح ينقلب إحداهما إلى الأخرى، فالقلب المفعم بالفرح يعبر عن فرحه بالدموع، وغالباً ما يعبر الحزن العميق عن نفسه بالابتسامة¹. وعليه الجدل هو الطبيعة الحقيقية للشيء، فكل قضية تحمل في ذاتها نقيضها وتتكامل معه في توليفة.

إن نظرية الحجاج اكتسبت معنى جديداً لم يكن موجوداً مسبقاً وهذا بفضل مبدأ الاحتمال والراجع والسيرورة والتغير، وعليه فالمنهج الديالكتيكي أسلوب جديد للبحث عن الحقيقة يعتمد المواجهة بين مختلف وجهات النظر، فهذا المنهج بلور لنا مبادئ إقامة الحجة وطريق إدارة الحوار.

¹ - هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية، ص55.

المبحث الثالث: الحجاج في الفكر الغربي المعاصر

تميزت الفترة المعاصرة بانتشار وسائل التواصل والإعلام، وبذلك أصبح الإنسان بحاجة كبيرة إلى ثقافة التواصل و الإقناع، إذ أنها تعد البديل الإنساني للعنف و التطرف، لذا هدف بعض الفلاسفة إلى إقامة عقلانية قوامها الحوار والتفاعل من أجل التغيير، وغرس ثقافة الاختلاف، وذلك من خلال الاعتماد على فلسفة الحجاج .

إن الاهتمام بالحجاج أصبح ضرورة فكرية لعدة توجهات فلسفية ، و هذا ما نجده مع بيرلمان، إضافة إلى تولمين، وعليه نتساءل :

- ما هو الأساس الذي اعتمد عليه خاييم بيرلمان لتأسيس فلسفته الحجاجية، وما الجديد الذي أضافه لفلسفة الحجاج؟

- ما هو البديل الحجاجي الذي قدمه ستيفن تولمين ؟

أولاً: الحجاج المنطقي عند بيرلمان¹:

¹- خاييم بيرلمان : **Chaim Perlman** فيلسوف ورجل قضاء فرنسي ، تحصل على الدكتوراه في الفلسفة سنة 1938 وكانت حول المنطق عند فريجة، يعتبر المؤسس الفعلي لنظرية الحجاج في الفترة المعاصرة ، ورائد للمدرسة البلجيكية في الحجاج.
من أهم مؤلفاته:

1. *Rhétorique et philosophie* 1952.
2. *Traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique* 2009.
3. *Justice et raison* 1963
4. *Droit, morale et philosophie* 1968.
5. *Le Champ de l'argumentation* 1969.
6. *Logique juridique - Nouvelle rhétorique* 1979.
7. *L'Empire rhétorique* 1977. (أنظر الحسين بنو هاشم : نظرية الحجاج عند بيرلمان ، دار الكتاب الجديد ، المتحدة، لبنان ، ط1 ، 2014، ص 27)

1. الحجاج خطابة جديدة:

لقد أعطى بيرلمان أهمية كبيرة للحجاج إذ قام بإحياء الخطابة الأرسطية من جديد، معتبرا أن أرسطو هو المؤسس الحقيقي لنظرية الحجاج ، إذ ميز الفيلسوف اليوناني أرسطو في مؤلفه الأرخانون والمتضمن ستة أعمال منطقية بين شكلين من الاستنباط التحليلي والجدلي ، ونتيجة لما قدمه من دراسة حولهما من الكتاب الثالث التحليلات الأولى والكتاب الرابع التحليلات الثانية، فقد جرى الاعتبار أن أرسطو هو أب المنطق الصوري في تاريخ الفلسفة، وبذلك لم يأخذ علماء المنطق الحديث في عين الاعتبار الأهمية المتضمنة عليها دراسته حول القضايا الجدلية في كل من كتابه الخامس الطويقا وكتاب الخطابة وكتابه السادس دحض السفسة والتي تجعل منه على حد سواء أبا لنظرية الحجاج أيضا¹، ويؤكد بيرلمان من خلال هذا القول على أن أرسطو لا يمكن اعتباره فقط مؤسسا للمنطق الصوري فحسب، بل يعتبره كذلك مؤسسا لنظرية الحجاج.

ويعتبر أهم انجاز قام به بيرلمان هو إعادة الطابع الفلسفي للخطابة الذي حرمت منه لعدة قرون على يد أفلاطون الذي اعتبرها مجرد سفسة، وبهذا الانجاز يعتبر بيرلمان من أكبر مجددي الفكر الإنساني²، لذلك يعد كتاب بيرلمان وتتيكا مصنف في الحجاج "الخطابة الجديدة"، تجديدا للنظرية الأرسطية في الحجاج، حيث أعاد الاعتبار لها بعدما عمم دور اليقين الديكارتي الذي لا يؤمن فقط إلا بالمعرفة الحقة واليقينية³. فالخطابة الجديدة هي تكملة للمنطق التقليدي الذي هو تقنية للبرهنة أو الاستدلال الضروري بالاتفاق مع قواعد الاستنباط أو الاستقراء،

¹ - خاييم بيرلمان: الفلسفة والحجاج والبلاغة بين المنطق والجدل ، تر: أنوار الطاهر ، ضمن كتاب (فلسفة الحجاج البلاغي)، علم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1، 2019، ص 91.

² - الحسين بنو هاشم : نظرية الحجاج عند بيرلمان ، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان ، ط1 ، 2014، ص 28

³ - جميل عبد الحميد: البلاغة والاتصال، البلاغة والاتصال ، دار غريب، مصر ، ط1 ، 2000، ص 106

فهي تسمح للإنسان بتبرير قراراته واختياراته: "لهذا فالخطابة لا غنى عنها، حينما تصوغ منطقاً لأحكام القيمة لتحليل الاستدلال العملي"¹. فالخطابة الجديدة هي تكملة للخطابة الأرسطية وإعادة إحيائها و جعلها متماشية مع العصر الجديد.

2. بيرلمان ضد ديكرت:

لقد وقف بيرلمان موقفاً مضاداً للمذهب العقلاني في المعرفة، وحثه في ذلك أن هذا المذهب جعل من البدهة العقلية كأساس لكل معرفة رافضاً بذلك كل ما يعتمد على الرأي والمحمّل ، ذلك أن هذا المذهب إن أمكن تطبيقه في المجال العلمي الخالص، فإنه لا يمكن تعميمه في العلوم الإنسانية². وعلى هذا الأساس يصرح بيرلمان: "إن تعارض المنهج الديكرتي مع أي شكل من أشكال التعددية، إنما يبتغي استبعاد كل ما يحمل محملاً فردياً، ذاتياً، اجتماعياً أو تاريخياً أو بكلمة واحدة، ما هو عرضي في المعرفة الإنسانية، وذلك في سبيل إيجاد استعمال ساري الصلاحية كونياً لذلك العقل الإنساني المشترك"³، إن هذا اليقين الديكرتي وضع حداً للاختلاف الذي يعتبر الأساس الثابت لكل حجج ، لأنه في الوقت الذي يسيطر فيه اليقين لا تكون هناك حاجة للحجاج، فالحجاج لا يزدهر إلا حين تفتقد الأدوات اليقينية.

كما أن رفض بيرلمان للمنهج الديكرتي يعود إلى اعتماد هذا المنهج على الأحكام المسبقة وفي ذلك يقول: "ينبغي للإبستمولوجيا بإزالة جميع العقبات التي تحول دون الوصول إلى المعرفة الكاملة، والتي تتكشف لحظة رفع الحجب الزائفة

¹ - محمد الولي : مبادئ الخطابة البرلمانية، مقال ضمن كتاب (الحجاج بين النظرية والتطبيق)، إعداد وتقديم : ابو بكر العزاوي، عالم الكتب الحديث ، ط1 ، الأردن 2019، ص50.

² - الحسين بنو هاشم: نظرية الحجاج عند بيرلمان، ص 34.

³ - شايم بيرلمان: نحو نظرية فلسفية في الحجاج ، تر: أنوار الطاهر ، ضمن كتاب(فلسفة الحجاج البلاغي)، علم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1، 2019، ص 55.

للأحكام المسبقة، وإذا أراد الفيلسوف لعمله أن يكون جادا أو رصينا، فيجب عليه أن يتعقب دون هوادة جميع أسباب الخطأ، وبعد أن تحرر روح ذلك الفيلسوف من الآراء النسبية والأحكام الجاهزة ستتبدى المعرفة الحقيقية لعقله¹، فالمنهج الديكارتي لا يمكن أن يحل جميع المشكلات الإنسانية، فمن غير الممكن أن يكون منهجا لجميع المعارف وفي هذا يقول بيرلمان: "نحن على يقين متزايد في الوقت الراهن أن مسألة التعميم الديكارتي التي تقترح حلاً لجميع المشاكل الإنسانية بفضل المنهجية المستعارة من العلوم الرياضية فلا تبدو لنا مسألة تعسفية فحسب، بل و يبدو مفهوما نفسه حول العلم خاطئا برمته"²، فالحجاج هو تبرير لرأي، وفي هذا التبرير يقع التداول والتشاور والتجادل حول قبول الحقيقة والتي تستخرج من خلال الصراع مع الواقع نفسه³. وهذا ما كان مخالفا للمذهب الديكارتي الذي يؤيد اليقين ويرفض الرأي والاحتمال.

يذهب بيرلمان إلى أن: "الخطاب الحجاجي لا يبحث عن الحقيقة، وإنما يسعى نحو إحداث تغيير في القناعات العامة المطلقة نحو الكثير من القضايا، والذي يعقبه بالضرورة تحول قيمي، لغوي، لساني وثقافي، عند ذلك الحين يمكن أن يكون ذلك الخطاب خطابا متوافقا ومتكيفا مع جمهور المخاطبين"⁴ وعلى العكس من ذلك "إذا حصل العكس ولم يلتزم الخطيب بهذه القاعدة فإنه سيقترف

¹ - المرجع نفسه، ص50

² - المرجع نفسه، ص60

³ - عمارة الناصر: الفلسفة والبلاغة، ص 87.

⁴ - شايم بيرلمان: فلسفة الحجاج والتعددية وإشكالية الباعة الجديدة، تر: أنوار الطاهر، ضمن كتاب (فلسفة الحجاج البلاغي)، علم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2019، ص66.

الخطأ الأكثر فداحة في الحجاج وليس في المنطق الشكلاني كما هو متآلف عليه والمتمثل في مصادرة ما هو مصادق عليه مبدئياً¹.

إن العلوم الإنسانية أي الفلسفة والقانون والسياسة لا تسلم مفاتيحها للمفاهيم اليقينية ، إنها تسلم مفاتيحها للتقنيات والأدوات التي تتميز بكونها قابلة لاحتواء هذه الفضاءات الإنسانية وهذه الأدوات هي ما يسميها بيرلمان الخطابية الجديدة والحجاج²، لذلك يؤكد: "في الواقع أن الأسباب التي نقدمها لصالح أو ضد القضية المطروحة للجدال خاصة عندما يتعلق الأمر بالنقاش أو التفاوض أو بالتقييم أو الحكم، بالاختيار أو اتخاذ قرار معين، لا يمكن أن تتألف من أدلة برهانية تستند إلى مقدمات صادقة لتنتهي إلى نتائج صادقة بالضرورة، دائماً تتألف من مجموعة من الحجج التي تتسم في كونها تتوفر على درجات متفاوتة من عوامل القوة والتناسب والتثبيت المنطقي العقلاني كل حسب سياقه"³، وهذا يعود إلى أن هذه الحجج لا تهدف إلى البرهنة على حقيقة قضية منطقية، بل إلى إقناع مخاطب بعينه أو جمهور من المخاطبين ورفع نسبة تأييدهم إلى القضية موضوع النقاش، وتحقيق اتفاق عام.

3. مفهوم الحجاج عند بيرلمان:

تناول بيرلمان مفهوم الحجاج في كتابه "مصنف في الحجاج" بأنه: "جعل العقول تدعن لما يطرح عليها من آراء أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيين للقيام

¹ - شاييم بيرلمان : فلسفة الحجاج والتعددية وإشكالية البلاغة الجديدة، ص 67.

² - محمد الولي: مبادئ الخطابية البرلمانية، ص 49.

³ - شاييم بيرلمان: فلسفة الحجاج والتعددية وإشكالية البلاغة الجديدة، ص 80

بذلك العمل في اللحظة المناسبة"¹، وهذا يعني أن الحجاج هو تفاعل بين الخطيب وجمهوره وأساسه الحوار وهدفه الإقناع والتأثير.

أما نظرية الحجاج فيؤكد بيرلمان انها: "تعنى بدراسة التقنيات الخطابية التي تهدف الى حث عقل المخاطبين أو إلى رفع نسبة تأييدهم إلى القضايا المطروحة للنقاش في سبيل الوصول إلى اتفاق عام"²، فنظرية الحجاج عنده تهدف الى وضع طرائق وتقنيات تؤدي الى اقتناع المخاطب بالأفكار التي يتلقاها، ولذلك أخذت سمة منطقية.

ولكي يتوضح مفهوم الحجاج أكثر عند بيرلمان لابد أن نتناول الفرق بينه وبين الاستدلال.

4. الفرق بين الحجاج والاستدلال المنطقي:

ميز بيرلمان بين الاستدلالات التحليلية والاستدلالات الجدلية، فالأولى صورية تنطلق من مقدمات لا مجال لمناقشتها، سواء كانت صادقة أو مجرد فرضيات، أما الثانية وهي الاستدلالات الجدلية تنطلق من مقدمات غير ملزمة، وتكون مرتكزة على الرأي لا على الحقيقة وتبقى عرضة للنقاش³. حيث أن "القياس المنطقي استدلال يؤسس لعلاقة ثابتة بين كل من الحقيقة المتضمنة في مقدمات الأقيسة المنطقية والحقيقة التي تصل إليها في النتائج فلما كانت الحقيقة خاصة من خواص القضايا المنطقية، ومستقلة عن الآراء الشخصية، أصبح الاستنباط برهانياً وموضوعياً وتجريدياً، وهذا يقع على العكس تماماً مع الاستنباط

¹Chaim Perleman et Lucie Tyteca: traite de l'argumentation, éd. de l'Université de Bruxelles, éd. 6, 2008,p59

²-شايم بيرلمان : نحو نظرية فلسفية في الحجاج ، ص50.

³- الحسين بنو هاشم: نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان ، ص34.

الجدلي"¹، فالحجاج مقدماته تنطلق من الواقع ونتائجه احتمالية عكس الاستنباط الذي ينطلق من مقدمات ليصل إلى نتائج يقينية.

5. محاور الحجاج :

ونتيجة للتمييز بين الاستدلال المنطقي والاستدلال الحجاجي ، فإن هذا الأخير يقوم على خمسة محاور حددها بيرلمان كالتالي:

- أن يتوجه إلى مستمع.
- أن يعبر عنه بلغة طبيعية.
- مسلماته احتمالية ، لأنه يكون في الأمور المختلف فيها.
- لا يفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقية.
- نتائجه ليست ملزمة.²

6. منطلقات الحجاج:

للحجاج منطلقات تكون بمثابة مقدمات يبنى عليها الاستدلال حددها بيرلمان كالتالي:

1.6. الوقائع: وتمثل ما هو مشترك بين أشخاص أو بين جميع الناس³، ومن هنا تكون الوقائع انطلاقة ممكنة لبناء الحجاج، وغالبا ما ترتد إلى مصادر للأدلة والحجج الموضوعية والذاتية.

2.6. الحقائق: وتتعلق بالنظريات العلمية والتصورات الفلسفية والدينية المتعالية عن التجربة، إذ يقول بيرلمان: "إنها أنساق أكثر تعقيدا تتعلق بصلات بين الوقائع سواء تعلق الأمر بنظريات علمية أو تصورات فلسفية أو دينية تتجاوز

¹-شايم بيرلمان: الفلسفة والحجاج البلاغي بين المنطق والجدل ، ص20

²- محمد سالم محمداأمين الطلبة : مفهوم الحجاج عند بيرلمان ، مجلة فكر ونقد المجلد 28، العدد3، 2000، ص 61.

³-Chaim Perleman et Luicie Tyteca :traite de l'argumentation, p89.

التجربة"¹. ومعنى هذا أن الحقائق يتفق حولها الجمهور ، ويعتبرها كمسلمات يمكن التصديق بها.

3.6. الافتراضات: هي أحكام قبلية و آراء متصورة مسبقا، لكن ما يميزها أن التسليم بها لا يكون قويا مالم تتدخل في لحظة معينة عناصر تدعمها وتقويها.² فهي شبيهة للقوانين العلمية، ولكنها قوانين افتراضية واحتمالية وتحتاج إلى استدلال ومحاجة سليمة ومنطقية.

4.6. القيم: الأحكام القيمية تخضع إلى موقف المتكلم ونظرته للأشياء، فما يعبر بأنه جيد وصائب وحقيقي وواقعي يكون ساميا ، وما يوصف بأنه قبيح وزائف يعد منحطا.³ وهذا ما يسمى بالإيتوس عند أرسطو ، بمعنى القيم والفضائل والأخلاق السامية ،كالخير والعدل والجمال....

5.6. التراتيبات: يركز بيرلمان على تراتبية الحجة ودعامتها القوية، وهذه التراتبية تنقسم إلى قسمين: تراتبية مادية محسوسة مثل: إن الإنسان أسمى من الحيوان، وتراتبية مجردة، مثل: سمو العادل على النافع⁴. فالقيم المجردة أفضل من القيم المحسوسة، والقيم النظرية أفضل من القيم التطبيقية، فالهدف من هذا التفاوت هو جعل المتخاطبين يفتنعون بما يعطى لهم من أفكار وقضايا.

6.6. المواضع: ويعني بها الموضوعات التي يبنى عليها الحجاج، وهي مجموعة من الأفكار والمبادئ المشتركة بين الناس ،وهي أنواع منها: المواضع العامة والمشاركة، والمواضع الخاصة، يؤكد بيرلمان أن المواضع المشتركة هي "

¹-Ibid, pp89-90.

²- Ibid, p92.

³-Chaim Perleman: l'empire rhétorique, librairie philosophique, France, ed2, 1977, p40.

⁴-الحسين بنو هاشم: نظرية الحجاج عند بيرلمان ، ص 46.

إثباتات عامة جدا، ترتبط بما يفترض أنه أكثر قيمة في أي ميدان أمّا المواضع الخاصة" فترتبط بما هو أفضل في مجالات خاصة"¹.

وتمثل هذه المقدمات على اختلاف أنواعها الشروط الأساسية لبناء الحجج، في شكل منطلقا للمحاجة يعتمد الحس المشترك الموجود بين أفراد جماعة ما، وعليه فما على الشخص المحاجج إلا أن يتخذها كمسلمات من أجل الانطلاق والتوسع في عمله الحجاجي²، ولذلك كي تكتسب هذه المقدمات قوتها الحجاجية لا بد من حسن انتقائها وجعلها تتناسب مع الجمهور الذي توجه إليه.

7. تقنيات الحجج وطرقه:

إن بيرلمان يضع منظومة منطقية من الحجج والأدلة التي يستعملها المتكلم لإقناع المتلقي أو الآخر ليقنعه بما يقدمه له من قضايا وأقوال، فبيرلمان يهتم بطريقة التعبير والإلقاء والتلفظ ويهتم أكثر بالحجج والأدلة التي تجعل المخاطب يفتتح بالأطروحة الموجهة إليه، ولقد حصر بيرلمان أشكال الحجج في تقنيتين أو طريقتين حججيتين هما طريقة الوصل وطريقة الفصل.

والمقصود بطرائق الوصل أو الطرائق الإتصالية أنها تقرب بين العناصر المتباينة في أصل وجودها فتتيح بذلك قيام ضرب من التضامن بينها لغاية إبراز تلك العناصر في بنية واضحة، وقد حصر بيرلمان هذه الأشكال الاتصالية ثلاثة أنواع من الحجج هي:

1.7. الحجج شبه المنطقية: التي تستمد طاقتها الإقناعية من مشابهتها للطرائق الشكلية والمنطقية والرياضية في البرهنة، ومثال ذلك: التناقض وعدم الاتفاق، فالتعارض هو اجتماع حكيم متناقضين في فرضية أو خطاب ما، ويقوم

¹– Chaim Perleman: l'empire rhétorique, librairie philosophique, p43.

²–Chaim Perleman et Luicie Tyteca, traite de l'argumentation,p82.

الخطيب بإقصاء الفرضية غير اللائقة منها في هذا المقام¹، وهنا يكون لأحد الطرفين الكشف عن التعارض بين قضيتين في حجج خصمه، أو بين فرضيتين يريد إقصاء احدهما من أجل إقناع المتلقي بالأخرى وهنا يكون إظهار التناقض ضرورياً.

2.7. الحجج المؤسسة على بنية الواقع: وهذه الحجج لا تعتمد على الواقع، وإنما تعتمد على التجربة، وعلى العلاقات الحاضرة بين الأشياء المكونة للواقع، فهذه الحجج تأتي لتفسير الأحداث والوقائع من أجل توضيح العلاقات الرابطة بين عناصر الواقع وأشياءه، لهذا فالمحاجج عند استخدامه لهذا النوع من الحجج يذهب إلى تأكيد أطروحته من خلال اعتماد الواقع، وهنا يكون أكثر إقناعاً وتأثيراً في المتلقي، فهذه الحجج لا تصف الواقع بل تبني عليه حججها، وتسعى لإقناع المتلقي من خلال ذلك البناء، ومن بين هذه الحجج: الرابط السببي، حجة السلطة².

3.7. الحجج المؤسسة لبنية الواقع: تقوم هذه الحجج ببناء الواقع من خلال الربط بين عناصره ومكوناته، ولا يتأتى هذا التأسيس للواقع إلا من خلال الحالات الخاصة وعلى نحو ذلك: المثل والشاهد³. فهذه الحجج تتخذ من عناصر الواقع مكونات تقوم بالربط بينها بعلاقات تبني واقعا جديدا يستطيع من خلاله المتحجج إقناع المتلقي بمحتوى خطابه، وهنا نجد التأثير البالغ لبييرلمان بالحجاج المنطقي أو حجج اللوغوس عند أرسطو .

¹ محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، ط1، 2008، ص128.

² عبد الله الصولة: الحجج أطرها ومنطقاتها من خلال مصنف في الحجج، (مقال) ضمن كتاب: الحجج في التقاليد الغربية من أرسطو حتى اليوم، إشراف: حمادي صود، كلية الآداب منوبة، تونس، دط، دت، ص ص331-332

³ عبد الله لصولة: الحجج في القرآن الكريم، دار الفارابي، لبنان ط1، 207، ص32

أما طريقة الفصل أو الطرائق الانفصالية فهي التقنيات المستخدمة من أجل إحداث القطيعة بين عناصر كل أجزاءه متضامنة في نظام فكري واحد¹، فلا يقع الفصل إلا في العناصر التي تؤلف وحدة واحدة يتم تجزئتها لغايات حجائية، وبذلك يتم توظيف عناصر الربط والوصل والعطف النحوية في الخطاب الحجائي، كما يمكن استخدام جمل اعتراضية تحمل أفكارا معينة مؤكدة وناقصة لما قبلها، وبعدها وهذا ما يستخدم غالبا في الحدود والتعريفات. إن الفصل بين عناصر الحد الواحد الهدف منه إسقاط أحد العنصرين المفصولين ثم التأكيد على الباقي منها². ويتمثل دور الفصل الحجائي في جعل المتلقي على وعي بتمثل مظهرين اثنين للشئ الواحد، مظهر زائف ومظهر هو الحقيقة عينها، وهذه الطرائق تجعل المتلقي يترك ما هو زائف ليصل إلى الحقيقة³.

إن هذه التقنيات اكتست أهمية بالغة عند بيرلمان، إذ تعتبر هذه الآليات أساسا لبناء أي نص حجائي، فكلما كانت هذه الحجج قوية، كلما أدت إلى إقناع وإذعان المتلقي.

ثانيا: الحجج المنطقي عند ستيفن تولمين:

يعتبر الفيلسوف الأمريكي ستيفن تولمين⁴ من أهم الفلاسفة المعاصرين الذين قدموا أبحاثا منطقية في نظرية الحجج، وهذا ما نجده في كتابه استعمالات

¹ - عبد الله الصولة: الحجج أطره ومنطقاته من خلال مصنف في الحجج ، ص 343.

² - محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجج في البلاغة المعاصرة ، ص 132-133.

³ - عبد الله الصولة: الحجج أطره ومنطقاته من خلال مصنف في الحجج، ص 346.

⁴ - ستيفن إدلستون تولمين (1922-2009) فيلسوف بريطاني. كرس تولمين عمله لتحليل المنطق الأخلاقي متأثرا بلودفيج فيتغنشتاين، ومن أهم مؤلفاته: استخدامات الحجة.

إن تولمين هو فيلسوف للمعرفة ينتمي إلى الوضعية المنطقية، إلا أنه عارض منطقيتها من خلال تطويره لنظرية الحجج ، فلا تداولية شارل بيرس ولا شارل موريس ، ولا فلاسفة اللغة العادية أوستين وسيرل وغيرهم تناول الحجج صراحة ، على

الحجج The Uses Of Argument، إذ أعطى للحجاج صفة العقلانية، كما أكسبه مظهرا منطقيًا، فالحجاج عنده يستند إلى المنطق لتنظيم الحجج.

فقد صدر كتاب استعمالات الحجج لتولمين سنة 1958 عن طريق الصدفة في الوقت ذاته الذي صدر فيه كتاب مصنف في الحجج لبييرلمان وتتيكا، إذ تم إحياء النظرية الحججية من جديد .

تشارك نظرية الحجج عند بييرلمان وتولمين في خلفيتهما الحقوقية، إلا أنهما يختلفان في كون بييرلمان طور نظريته الحججية ضد العقلانية الديكارتية، بإعطاء القابلية للصواب قيمة في مواجهة ما هو لازم، وذلك بتوضيح أهمية الآراء بمقارنتها بالوقائع، في حين نجد أن نظرية تولمين في الحجج تتخبط في كونها تتعارض مع أساليب المنطق منذ أرسطو إلى كارناب، إذ يقول: "إن قواعد المنطق مجرد تعميمات صورية، أقل تطبيقًا في الواقع"¹، لذلك حاول إصلاح المنطق وذلك من أجل جعله أكثر قابلية للتطبيق في مواقف الحياة اليومية، وفي النقاش العقلاني، فالحجة عند بييرلمان تتعلق بعقلانية مختلفة تماما عن البرهان الرياضي، أما بالنسبة لتولمين فهي قريبة من الاستدلال والقياس المنطقي². وعليه اتخذ الحجج عنده سمة ومظهرا منطقيًا.

1. علاقة الحجج بالمنطق عند تولمين

إن الحجج والمنطق عند تولمين غير متعارضين، فهو لم يرفض المنطق وإنما حاول عتق المنطق من تشكيله الرياضي ودفعه نحو الحجج، إن محاولة

الرغم من أنه بإمكانها أن تكون مكانا طبيعيا لتطوير مفاهيم الحجج. (فليب برتون وجيل غوتيه: تاريخ نظريات الحجج، ص 59)

¹- Stephen Toulmin: The Uses Of Argument, Cambridge , USA ,3ed ,2003,p8.

²- فليب برتون وجيل غوتيه: تاريخ نظريات الحجج، ص 41.

تولمين تعد نظرية موسعة للمنطق إذ قام بتحويل المنطق من علم صوري إلى علم ممارسة، فهو يرفض تطور المنطق بمعزل عن النقاش العادي، فصورية المنطق حرمة من التطبيق¹. فهدف تولمين هو جعل المنطق يطبق في الحياة اليومية و إبعاده عن صورته، إذ كان علما نظرياً بعيداً عن الواقع وتطبيقاته.

لذلك قام تولمين بإثارة قضايا عامة أغفلها المنطق الذي يميل إلى التطور بعيدا عن المشكلات والقضايا العملية، ليتجه في استقلال تام حتى صار موضوعا للدراسة النظرية، فكانت محاولة تولمين الجمع بين كونه علما صوريا وبين كونه تقويما نقديا للحجج الواقعية². وهنا جمع تولمين بين الحجج والمنطق.

إن المنطق حسب تولمين لا يهتم بالطريقة التي نستدل بها أو بالقضايا التقنية، بل هو نظام تبريري يهتم بالحجج التي تقدم من أجل شرعة مقبولة النتائج حتى تكون قابلة للتبرير و عكس التصور الرياضي الذي يؤكد أن الحجة مكونة من قضايا تربط بينها علاقات صورية فقط³. وهذا ما أصبح يسمى بالحجج المنطقي.

2. المنطق ونظرية القانون:

لقد رفض تولمين أن يكون المنطق مجرد مفاهيم نظرية، بل سعى أن يكون ممارسة تطبيقية ، لذلك اتخذ تولمين من القانون أنموذجاً تطبيقياً لهذا المنطق.

وإذا كانت من بين المهام الأساسية لنظرية القانون وصف الإجراءات التي تطلب بها العدالة، فإن البحث سينصب على وصف ما يمكن تسميته بالحاكمة العقلانية، فقواعد المنطق تطبق على الناس وعلى حججهم كمعايير امتياز، إذ يلجأ

¹ - المرجع نفسه ، ص 60.

² - محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الناشر للثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدر البيضاء، ط1، 2005، ص 58.

³ - المرجع نفسه، ص 59.

إليها الفرد أثناء حاجته، وفي ضوئها تقوم الحجة¹. إذن فالحجة عند تولمين تتميز بأنها تخضع لأساس منطقي عقلائي.

فمهما كان الذي يقدم لنا الحجج خبيراً وأهل ثقة ومختصاً في المجال، فإننا نطالب بالأسباب التي تخضع لها قيمة الإثبات من أسس ومعطيات وأدلة ووقائع وخصائص و اعتبارات أي أننا نطالب بالحجاج ولا نقبل إلا الحكم الذي يقوم على دعائم عقلانية مقنعة². وعليه فنظرية القانون ك مجال للممارسة الحجاجية تعد تطبيقاً عملياً لنظرية المنطق السوري.

3. الحجج التعليلية:

وجه تولمين اهتمامه إلى الحجج التعليلية الموجهة إلى دعم الإثباتات لأن التعليل هو الوظيفة الأولى للحجاج إذ يقول: "إن الوظيفة الأساسية للحجاج التبرير، أما الوظائف الأخرى فهي ثانوية"³، لذلك اهتم تولمين بالبيانات التي تقدمها الحجج والقيمة التي تدعيها، أضف إلى ذلك الطرق التي تمكن من تقويتها وانقائها.

فالحجة حسب تولمين هي كل قضية نقدمها كتأكيدات، ومصاغة بشكل أو بآخر كأسباب⁴. لذلك يؤكد أنه من بين الخصائص الأساسية للحجاج أنه متعدد التشكل، إذ يعطي تولمين أمثلة عن الحجج كأن يحاول شخص الدفاع عن شخصية تاريخية، أو يقدم تشخيصاً طبياً، أو يقيم عملاً فنياً، فإنه في كل حالة من الحالات السابقة توجد قضية مرتبطة بأسباب تدعمها، وهذه الأسباب يمكن التصريح بها أو تكون ضمنية، وقد تكون مبررات، أو معطيات أو أدلة، أو

¹ - محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص 60.

² - المرجع نفسه، ص 61.

³ -- Stephen Toulmin: The uses of argument, p13.

⁴ - فليب بروتون: تاريخ نظريات الحجج، ص 60

اعتبارات، أو خصائص ،لذلك يمكن القول أن الحجة عند تولمين خليط مكون من قضية وسبب أو عدة أسباب تثبتها¹. وهذا الأساس هو الذي جعل تولمين يعتبر أن الحجة تمارس وظيفة تبريرية أصلية، وكل وظيفة أخرى تبقى ثانوية .

4. حقل الحجج:

وفي سياق الحجج التبريرية استخدم تولمين مصطلح حقل من أجل توضيح ارتباط الحجج بأنواع محددة من المنطق حيث إنه: "تتبع حججان لذات الحقل، إذا كانت قضيتهما وأسبابهما تنتمي لنفس النوع من المنطق، وعلى العكس تصبحان من حقلين مختلفين إذا كان نوع منطق قضيتهما وأسبابهما مختلفين"²، أي أن الحقل الحجج هو المجال الواحد لحجتين تبرران قضية واحدة في مجال واحد.

ويمكن الاستدلال بالمثال التالي: تشخيصان لطبيين عن مرضين مختلفين ينتميان لنفس حقل الحجج، غير أن التقييم الفني ينتمي إلى حقل آخر، يختلف تماما عن الحقل الأول³.

لكن رغم اختلاف الحجج من حقل حجج إلى آخر إلا أن تولمين حاول إيجاد معايير ثابتة للحجاج ، فمثلا في القضايا القانونية رغم تعددها ، إلا أنه أعطى لها مراحل عامة تمر بها كل قضية قانونية ، ومثال ذلك:

م 1- يعرض الملتمس أو الاتهام صراحة .

م 2- تقدم الأدلة أو الشهادات لدعم الملتمس أو الاتهام

م 3- يصدر قرار المحكمة⁴.

¹- فليب بروتون : تاريخ نظريات الحجج، ص61

²- Stephen Toulmin: The Uses Of Argument, p14.

³- فليب بروتون : تاريخ نظريات الحجج، ص61.

⁴- محمد طروس: النظرية الحججية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص63.

5. النص الحجاجي:

يبني النص الحجاجي عند تولمين على قضية تقع محل خلاف يقوم فيها المتكلم بعرض دعواه مدعومة بتبريرات وذلك من خلال سلسلة الأقوال المترابطة بينها ترابطاً منطقياً، وذلك من أجل إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير فيه، والنص الحجاجي موظف لتقوية القبول أو تقديم المعتقدات ، ويتميز بجملة من الخصائص هي :

- العلاقة بين أجزاء النص الحجاجي علاقة منطقية أكثر من كونها علاقة تصويرية .
- النص الحجاجي تقويمي، والقيمة مفهوم يستتبط مما يقوله الناس ومما يفعلونه، ومما تشيده المجالات، فالنص موظف لتقوية القبول أو تقويم معتقدات الناس¹. وهنا يتفق بيرلمان مع أرسطو في أن الحجاج يعتمد على مجموعة من القيم الأخلاقية أو ما يسميه أرسطو بالباتوس.

1.5. مكونات النص الحجاجي: إن الحجة عند تولمين شيء دينامي ونشط،

إذ اقترح أنموذجاً لها، ويعرفها تولمين كالتالي: "إن الحجة هي الترتيب المنظم لمعطيات، أثرت من أجل تدعيم نتيجة ما، هذه النتيجة يمكن أن تكون موضوعاً محددًا لهيئة، ويتم المرور من المعطيات إلى الضمانات، التي يمكن أن تقابل بعض القيود، هذه الضمانات بدورها تعتمد على أساس"²

من هذا التعريف للحجة يمكن استخراج مكونات النص الحجاجي وهي:

¹- محمد العبد: النص الحجاجي العربي، دراسة وسائل الإقناع ، مجلة فصول، العدد60 ،الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 2002، ص ص 44-45.

²- Stephen Toulmin: The Uses Of Argument, p16.

أ.الدعوى /النتيجة : Conclusion: هي مقولة تستهدف استمالة الآخرين،
قد تذكر صراحة كما قد تكون ضمنية .

ب.المقدمات : Les Données: وهي تقرير بصيغة الجادل عن الأشخاص
و الأحداث، لذلك ينبغي للمقدمات أن ترتبط بالدعوى ارتباطا منطقيًا، حتى يمكن
تدعيمها.

ج.التبرير/ الضامن La Garantie: وهو بيان للمبدأ العام الذي يبرهن على
صلاحية الدعوى وفقا لعلاقتها بالمقدمات.

د.الدعامة / الأساس Le Fondement: وهي كل ما يتم تقديمه من طرف
المجادل من الشواهد والإحصائيات والأدلة والقيم...إلخ، حتى يتمكن من جعل
المقدمات والتبرير أكثر وأكبر مصداقية.

هـ.الموجه / علامة القوة Qalificateur: هي كل ما يقدم من تعبيرات
تظهر مدى قابلية بعض الدعاوي للتطبيق مثل: من الممكن، من المحتمل، على
الأرجح... الخ

و.الاستثناء / التحفظات Restriction: وهو الأساس الذي ينهض عليه
الحكم بعدم مقبولية الدعوى أو النتيجة¹.

2.5.المخطط الحجاجي:

المخطط الأول : يتكون من ثلاثة أركان هي : المعطي (م)، والنتيجة (ن)
والضامن (ض)، ويمثل له كالتالي²:
نظرا إلى أن:
ض

¹ - محمد العبد: النص الحجاجي العربي، دراسة وسائل الاقناع، مجلة فصول، العدد60، الهيئة المصرية للكتاب، مصر،
2002، ص45.

²-- Stephen Toulmin: The Uses Of Argument, p96.

ويمكن التمثيل له بالمثل الذي وضعه عبد الله الصولة

م (علي تونسي) ← إذن: ن (هو ليس شيعيا)

نظرا إلى أن: ض (أغلب التونسيين ليسوا شيعة)¹

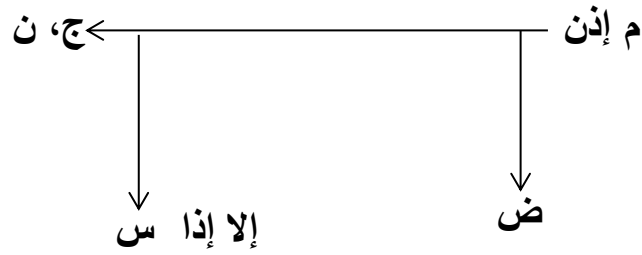
المخطط الثاني: هو أكثر دقة من المخطط السابق ، إذ أضيف إليه

عنصران هما : عنصر الموجه (ج)، وعنصر الاستثناء(س) الذي يمثل شروط

رفض القضية ، فأصبح كالتالي:²

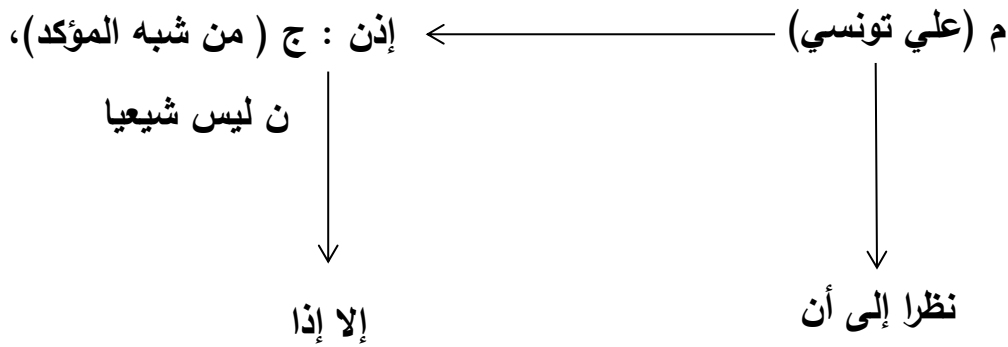
¹ - عبد الله الصولة: الحجاج في القرآن الكريم ، ص27.

² - Stephen Toulmin: The Uses Of Argument,p97.



نظرا إلى أن

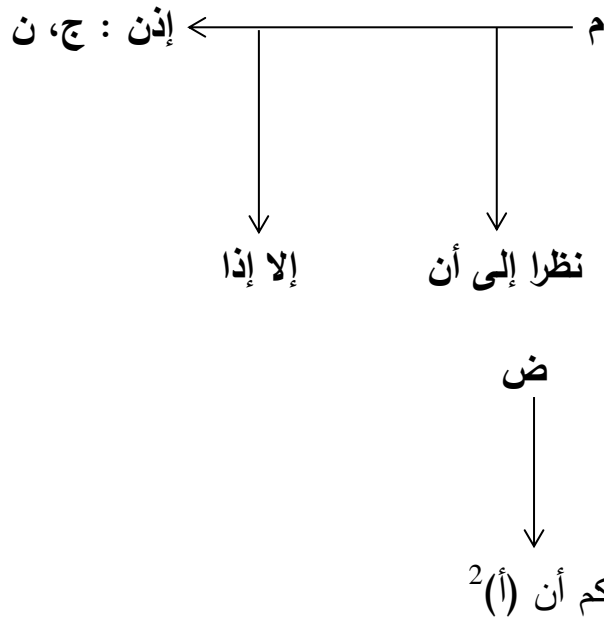
ويمكن التمثيل له بالمثال التالي:



ض (أغلبية التونسيين ليسوا شيعة) س (تشيع أثناء دراسته في إيران)¹

المخطط الثالث: وقد قام تولمين فيه بإدخال عنصر الأساس (أ) الذي يقوم

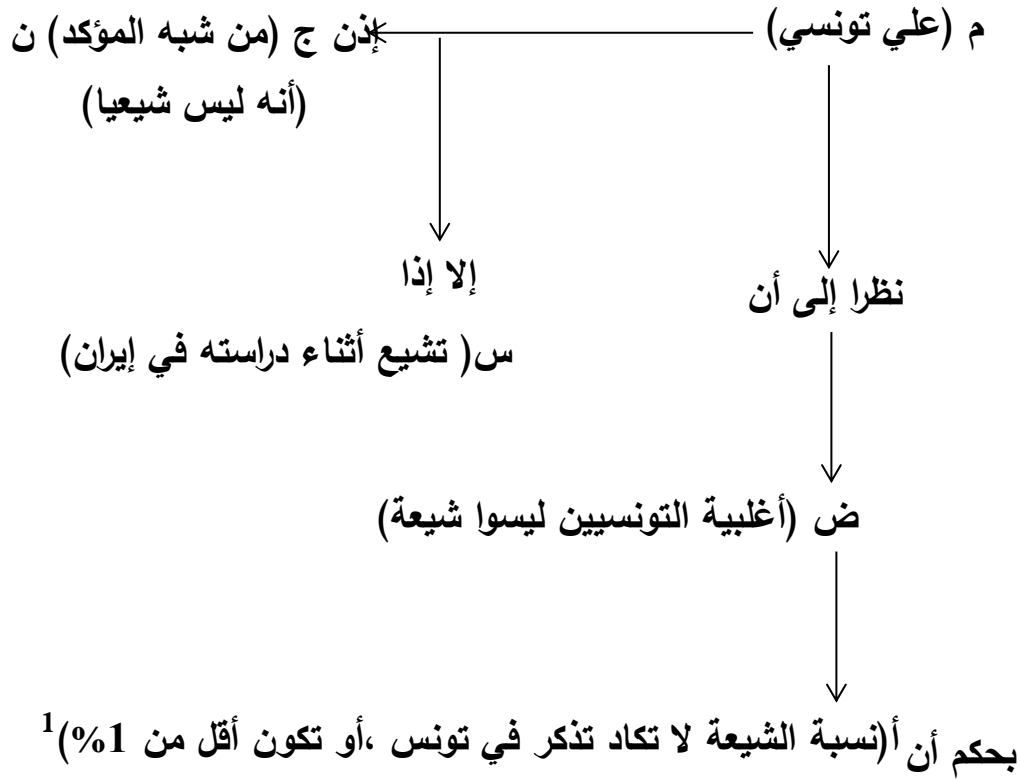
عليه الضمان (ض)، فيكون الرسم كالتالي:



¹- عبد الله الصولة: الحجاج في القرآن الكريم ص 27.

²- Stephen Toulmin: The Uses Of Argument, 103.

ويمكن توضيح المخطط السابق بهذا المثال:



نستنتج أن ستيفن تولمين استفاد كثيرا من المنطق السوري لتدعيم الحجج وإعطائها صبغة صورية، كما أن هذا المنطق أصبح بدوره علما عمليا يمارس في الواقع من خلال عملية التبرير التي تقوم بها الحجج.

¹ - عبد الله الصولة: الحجج في القرآن الكريم، ص 25.

نتائج الفصل:

- ارتبط الفكر الحجاجي تاريخيا في بداياته بالتفكير الفلسفي اليوناني، إذ ظهر فيه كمارسة وتنظير، إن السفسطائيين يعتمدون في حجاجهم على مجموعة من التبيكات وهي مغالطات توصل إلى تناقضات، لهذا اعتبر أرسطو السفسطة استدلال صحيح في ظاهره معتل في حقيقته، يعمل على تزييف الأقوال.
- حاول السفسطائيون تغليط الناس سواءً من جهة الألفاظ أو من قبل المعاني، وهذه المغالطات تحاول تهديم الحقيقة، لهذا ظهرت فلسفات أخرى تحاول الوصول إلى الحقيقة انطلاقاً من العقل والواقع .
- ظهرت فلسفة أفلاطون كرد على الفكر الفلسفي السفسطائي، وانطلاقاً من ذلك ميز بين نوعين من الخطابة الأولى تقوم على الإقناع بالاعتماد على الظن وهو موضوع الخطابة السفسطائية، والثانية تقوم على الإقناع الذي يعتمد على العلم وهي التي توصل إلى الحقيقة.
- اعتمد أفلاطون على المفهوم الذي يعتبر الخطابة بأنها فن يقود النفس نحو الحقيقة تعتمد على الحوار والمناقشة وتستخدم الجدل للوصول إلى ذلك، إن هدفها ليس الإقناع بل هو الوصول إلى المعرفة.
- بلغ الفكر الحجاجي ذروته مع الفيلسوف أرسطو، إذ عمل على تقنين القول الخطابي، وقام بالتمييز بين الخطابة وبين الجدل والسفسطة، واعتبر أن لهم نفس الهدف وهو محاولة الإقناع، لكن الفرق بين الخطابة والسفسطة في طريقة الإقناع لأن السفسطة تهدف إلى الإقناع بواسطة التأثير، بينما الجدل اعتبره أعم من الخطابة لأنها تستمد حججها منه.
- اعتمد أرسطو في حجاجه على مجموعة من المواضيع وهي مبادئ عامة مشتركة تعد منطلقاً للحجاج، قسمها أرسطو إلى مواضيع خاصة ترتبط بالخطابة

الاستشارية والقضائية و المحفلية، ومواقع عامة لا تختص بجنس خطابي معين كالتضاد.

- يختلف الفكر الحجاجي في فلسفة العصور الوسطى مع الحجاج في الفلسفة اليونانية لأنه فكر حجاجي مقيد بالعقائد الدينية المسيحية، فكانت محاولة الإكويني الحجاجية هي الدفاع عن العقيدة المسيحية بحجج عقلية.

- تأثر الإكويني بالعقلانية الأرسطية وحاول التقريب بين أفكار أرسطو وبين اللاهوت المسيحي، ومن بين الاشكاليات التي قدم فيها الإكويني حججه هي إشكالية علاقة الفلسفة بالدين، وفكرة إثبات وجود الله.

- يعتبر هيجل من أهم الفلاسفة في العصر الحديث الذين حملوا لواء الفكر الحجاجي، إذ استخدم في حججه منهج الديالكتيك أو الجدل من أجل الوصول إلى الحقيقة، ويتكون هذا المنهج من القضية، النقيض والتكريب بينهما، لهذا على المحاجج والمستدل أن يتقيد بجميع هذه المراحل والخطوات حتى يصل لإقناع خصمه بالحقيقة في كليتها.

- يعتبر بيرلمان من أهم الفلاسفة المعاصرين الذين أعطوا أهمية كبيرة للحجاج، إذ كان منطلقه الأول أرسطو لهذا أطلق على الحجاج اسم " الخطابة الجديدة"، باعتباره إحياء للخطابة الأرسطية ، وأكد بيرلمان أن العلوم الإنسانية والفلسفة والقانون تعتمد على الحجاج لأنها تهدف إلى إقناع المخاطب، ورفع نسبة تأييده للقضية وتحقيق اتفاق عام حول قضية معينة.

- من أبرز النماذج الحجاجية البارزة في الفكر المعاصر مقارنة تولمين، إذ اتخذت نظريته في الحجاج سمة منطقية، واعتبر تولمين أن الحجاج والمنطق غير متعارضين، إذ عمل على تحويل المنطق من علم صوري إلى ممارسة.

الفصل الثاني

المرجعية الفكرية لنظرية الحجاج في اللغة عند

ديكرو وموقفه من الدراسات المنطقية السابقة

المبحث الأول: الخلفية الفكرية لنظرية الحجاج في اللغة

المبحث الثاني: الحجاج ومنطق اللغة

تمهيد:

تناولنا في الفصل السابق المعالم الحجاجية الكبرى في الفكر الغربي، إذ عرضنا بعض النماذج، ونظرا لأهمية الحجاج في حياة الفرد والمجتمع، اهتم كذلك عالم اللسانيات الفرنسي أوزفالد ديكرو¹ بموضوع الحجاج واللغة، حيث قدم العديد من الأفكار والدراسات في هذا المجال، صحيح أن نظرية الحجاج في اللغة هي مقارنة حجاجية جديدة، لكنها لم تبين من عدم، بل تعود إلى خلفية فكرية سابقة، إذ ارتبط اسم ديكرو ارتباطا وثيقا بالعديد من الأقطاب الفلسفية السابقة عليه، وذلك من خلال المراجعة والنقد، وأحيانا إعادة التأسيس والتجاوز، لهذا كان لزاما علينا أن نعرض على هذه الأقطاب والمعالم الفكرية التي ساهمت في بلورة نظرية الحجاج عنده.

لهذا نتساءل :

ـ ماهي الخلفية الفكرية التي انطلق منها ديكرو في نظريته الحجاجية؟

¹ - أوزفالد ديكرو: Oswald Ducrot: ولد أوزفالد ديكرو في 27 نوفمبر 1930 بفرنسا ، أستاذ اللسانيات والفلسفة بالجامعة الفرنسية، مؤسس نظرية الحجاج اللغوي وواضع نظرية التداولية المدمجة والسلام الحجاجية، من أهم مؤلفاته:

1. avec Tzvetan Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage 1972 .
 2. La Preuve et le dire 1973.
 3. Le Structuralisme en linguistique 1973 .
 4. Dire et ne pas dire. Principes de sémantique linguistique 1980.
 5. Les Échelles argumentative 1980.
 6. Les Mots du discours 1980.
 7. avec Jean-Claude Anscombe, L'argumentation dans la langue 1983.
 8. Logique, structure, énonciation. Lectures sur le langage, Minuit 1989.
- (أنظر مقدمة المترجم: أوزفالد ديكرو: قوانين الخطاب، ترجمة: محمد الشيباني وسيف الدين دغنوس، (مقال) ضمن كتاب: إطلالة على النظريات الدلالية واللسانية المعاصرة في النصف الثاني من القرن العشرين، ج2، اشراف عزالدين مجدوب، بيت الحكمة ، تونس، ط1، 2012، ص 561.)

- وكيف ساهمت هذه النظريات في تكوين نظرية الحجاج في اللغة؟
- ما هو مفهوم الفعل الحجاجي عند ديكر و؟ وماهي أنواعه وأقسامه؟
- كيف ميز ديكر و بين مفهوم الاستدلال؟
- وما موقفه من الدراسات المنطقية السابقة عليه؟

المبحث الأول: الخلفية الفكرية لنظرية الحجاج في اللغة:

انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من عدة نظريات هي: نظرية أفعال الكلام، نظرية التلفظ، نظرية تعدد الأصوات، وقد كان لهذه النظريات أثر كبير في بلورة تصورات ديكر و الحجاجية، وعليه وجب علينا الولوج إلى أهم أفكار كل نظرية وتبيان أثرها المباشر في بناء نظرية الحجاج اللغوي.

أولاً: نظرية أفعال الكلام *Théorie des Actes de Langage*

نشأت نظرية الحجاج في اللغة من صلب نظرية الأفعال الكلامية التي أرسى معالمها كل من أوستين و سيرل، إضافة إلى قواعد المحادثة كما وضعها بول غرايس.

1. نظرية الأفعال الكلامية مع أوستين:

1.1. نشأة نظرية أفعال الكلام: تجدر الإشارة إلى أن أوستين John

Austin* Langshaw (1911-1960) متأثر في فكره بفيلسوف اللغة النمساوي لودفيج فتغنشتاين¹ Ludwig Wittgenstein (1889-1951)، وبالفلسفة التحليلية،

* - جون لانغشو أوستين (1911-1960): فيلسوف بريطاني ، واضع نظرية الأفعال اللغوية ،من أهم مؤلفاته :كيف ننجز الأشياء بالكلمات.

¹ - لودفيج فتغنشتاين (1889-1951): فيلسوف نمساوي ،درس في جامعة كامبردج ، من أهم مؤلفاته: رسالة منطقية فلسفية، وتحقيقات منطقية.

إذ انضم فتغنشتاين إلى فلاسفة اكسفورد بقصد دراسة اللغة الطبيعية مؤسساً لاتجاه جديد أطلق عليه "فلسفة اللغة العادية" وتعتمد هذه الفلسفة على ثلاثة مفاهيم أساسية هي: الدلالة، القاعدة، ألعاب اللغة، وعموماً فإن فتغنشتاين قد مر بمرحلتين: الأولى هي الرسالة المنطقية الفلسفية، وفيها يرى أن كل قضية هي صورة للواقع¹، وبالتالي فإن دور اللغة هو تصوير الواقع أو وصف العالم، ودور الفلسفة هو التوضيح المنطقي للأفكار، فالفلسفة فاعلية وليست نظرية، واللغة التي يقصدها هنا هي اللغة الإصطناعية، والقضايا التي يعنيها ذات طابع تركيبى دلالي.

أما المرحلة الثانية هي مرحلة الألعاب اللغوية، انتقل فيها من اللغة الإصطناعية إلى اللغة العادية، ومن الجانب التركيبى الدلالي للقضايا، إلى الوظائف الفعلية للغة وكيفية استعمالها، وعليه فإن فهم لفظ معين هو فهم معنى استعماله الفعلية في سياقات مختلفة، وبالتالي التأكيد على العلاقة بين الدلالة اللغوية والألعاب والممارسات اللغوية، فأصبح المعنى هو الاستعمال²، إن

إن فتغنشتاين نفسه الذي كانت له صلات ضيقة بمؤسسي الوضعية المنطقية، اتجه نحو رفض هذا التمييز التبسيطي بين وظائف اللغة الوصفية والعاطفية لصالح مفهوم التنوع الوظيفي للمفردات اللسانية، فاستعمال اللغة كما يقول فتغنشتاين شبيه بلعبة علينا أن نتعلم قواعدها بممارسة اللعبة ذاتها، وذلك بمشاركتنا في كثير من الألعاب اللغوية المختلفة التي ترتبط كل واحدة منها بصنف من السياق الاجتماعي مخصوص ومحدد عبر مواصفات اجتماعية محددة، فوصف حالة واقعية أو افتراضية للعالم ليس سوى إحدى الألعاب اللغوية الكثيرة التي يتجه أفراد مجتمع معين لممارستها، وفي هذا الإطار أعلن فتغنشتاين مبدأه الشهير والمثير للجدل القائل: "إن استعمال الكلمة هو الذي يكسبها معناها" (صابر الحباشة: التداولية والحجاج، ص 77)

¹ - الزواوي بغورة: نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، الفلسفة واللغة، دار الطليعة، لبنان، ط1، 2005، ص103.

² - المرجع نفسه، ص ص 103-104.

الجديد التي أتى به فتغنشتاين هو الاهتمام باللغة العادية التي نجدها في حياتنا اليومية ومحاولة تحليلها وفهمها.

إذن نشأت أفعال الكلام من أهم مبدأ للفلسفة اللغوية الحديثة والمتمثل في أن الاستعمال اللغوي لا يعتبر مجرد منطوق لغوي فقط، بل هو إنجاز لحدث اجتماعي معين أيضاً، إذ كانت الفلسفة الوضعية المنطقية تشترط مقياساً وحيداً للحكم على دلالة جملة ما وهو مقياس الصدق والكذب، وهو ما حصر العبارات اللغوية في منوال واحد، وهي العبارات الخبرية التي تقوم بوصف واقع ما، ويتم الحكم على صدقها أو كذبها بمدى مطابقتها لذلك الواقع، ومثال ذلك: "الجو جميل" وهي صادقة في حال واحدة وهي جمال الجو واقعا، وكاذبة في غير ذلك¹، وبذلك يمكن القول إن جوهر الخبر عند هؤلاء الفلاسفة، لا يقبل إلا إذا كان خاضعا للتحديد والتجريب، والوظيفة الأساسية للغة هي وصف حالة العالم وإثباتها²، وكذلك علماء النحو قسموا الجمل إلى نوعين الأولى خبرية والثانية إنشائية تفيد التعجب والاستفهام والأمر والتمني.

وفي مقابل هذا التصور التقليدي للغة الذي يقوم بالأساس على مفهوم شروط الصدق المنطقي، طرح أوستين تصورا جديدا قائما على اعتبار أن وظيفة اللغة هي إنجاز أعمال ما، وهكذا خلص أوستين الدراسة الفلسفية للغة مما سماه بالوهم الوصفي، حيث إن "الفلاسفة افترضوا أن الحكم في القضية قد يكون وصفا لحادثة ما، أو إثباتا لواقعة معينة، وبهذا يمكن القول إن الحكم قد يكون

¹-خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص 89.

²- المرجع نفسه، ص 90.

صادقا أو كاذبا، أما علماء النحو فقد أشاروا إلى أن الجمل لا تكون بالضرورة خبرية، فهناك جمل تفيد الاستفهام والتعجب والتمني والأمر¹

من هذا القول تظهر معارضة أوستين لموقفين اثنين هما:

أ - **الموقف الفلسفي:** الذي يوصف بالتقليدي، حيث كان يقر بأن دور الجملة ينحصر فقط في وصف حالة الأشياء أو إقرار حدث ما، وبموجبه تكون الجملة إما صادقة أو كاذبة، أما غيرها من الجمل فتعد من قبيل العبارات التي لا معنى لها. غير أن ما تجدر الإشارة إليه أنه ليست جميع الجمل تقريرات، فقد تكون جمل استفهام، أو تعجب أو أمر أو نهي أو غيرها، وكثيرا ما تم التعامل معها بأنها عبارات لا معنى لها². وهنا رفض أوستين الفلسفة الوضعية المنطقية التي حصرت التحليل المنطقي للغة في القضايا التي تحتل الصدق أو الكذب.

ب - **الوصف النحوي التقليدي:** الذي يبدو أكفأ من الوصف الفلسفي، لأنه لا يقتصر على نمط واحد من الجمل، بل يهدف إلى التنويع في الموضوع، فيصف أربعة أنماط من الجمل وهي: الجمل المثبتة أو الخبرية، الجمل الاستفهامية، جمل التعجب، الجمل التي تفيد الطلب وكذلك جمل التمني³. إذن أوستين رفض الموقف الفلسفي المنطقي الذي يتعامل مع الجمل الخبرية والتي يعتبرها فقط قضايا ذات معنى، أما العبارات الانشائية فيستبعدها من مجال الدراسة والتحليل المنطقي للغة.

فلم تبق اللغة عند أوستين مجرد وسيلة للوصف والإخبار، بل أصبحت أداة لبناء العالم والتأثير فيه، إذ أصبح موضوع البحث يتمحور أساسا حول ما نفعله

¹ - J. L. Austin: How to Do Things with Words, oxford university press, Great Brittan, 1962, P1.

² - العياشي أدواري: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011، ص 78 .

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بالتعبير التي ينطق بها. وهنا تجاوز أوستين النظرة الصورية للغة، وذلك بالبحث عن استعمالها في الواقع، إن اللغة انتقلت من مجرد وسيلة للإخبار ونقل المعلومات إلى وسيلة للتأثير في العالم وتغيير السلوك.

2.1. التمييز بين الملفوظات الخبرية والملفوظات الانجازية: نتيجة للوصف

الذي قدمه النحو التقليدي للغة، أعاد أوستين بدوره تصنيف الملفوظات إلى نوعين هما:

الملفوظات الخبرية: **Enoncé Constatif** ، تتحصر في وصف الواقع، وبالتالي يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب .

الملفوظات الإنجازية: **Enoncé Performatif** : فهي الجمل الإنشائية وتتميز

بخصائص منها: أنها تستند إلى ضمير المتكلم في زمن الحال، وتتضمن فعلا من قبيل : أمر ، وعد، قسم ويفيد معناه على وجه الدقة إنجاز عمل¹، لقد اعتبر أوستين أن الجمل الخبرية تفيد الدحض والتأييد، أما الجمل الإنشائية فهي تفيد إنجاز فعل أو عمل ما، وهنا أعطى أهمية لهذه الأفعال (الإنشائية)². إذن فأوستين قسم العبارات إلى نوعين: الأولى وصفية وهي الجمل الخبرية والتي يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، في حين الثانية فهي الجمل الإنشائية التي تقوم بإنجاز عمل ما.

إن اهتمام اللغويين والتحليلين قبل أوستين كان موجها نحو العبارات التي تكتسي قيمة خبرية ووصفية، حيث اعتبرت مع الوضعيين المناطق عبارات حقيقية ودالة على معانٍ محددة، لكن انكباب أوستين على تحليل العبارات والتلفظات

¹ - أن ربول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغنوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2003، ص ص 31-32.

² - خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص 53.

الإنشائية أفضى إلى إبراز الخصائص الجديدة لمثل هذه العبارات بحيث تفيد في إنجاز أفعال ما وبالتالي فهي تخرج عن النموذج الدلالي الوصفي الذي يحصر وظيفة اللغة على وصف الوقائع والإخبار عنها، فعلى سبيل المثال "أعدك بفعل كذا أو كذا" فهي عبارة تستخدم لفعل شيء وليس للوصف أو الإخبار عن هذا الشيء، ومن ثم فهي عبارة تفهم بشكل أفضل كفعل شيء (إنجاز وعد) وليس توكيد الشيء، ومن هنا جاء اسم كتابه الشهير "كيف نفعل الأشياء بالكلمات"¹، ومن هنا سلك أوستين مسلكا تداوليا في ميدان تحليل اللغة، يركز على محورية اللغة العادية في تأسيس المعنى التداولي بعيدا عن النماذج الوصفية للتحليل .

وعليه أكد ديكرو أن: "الملفوظات ذات الصيغة الدلالية التي جاء بها أوستين والتي تظهر كوصف لأحداث ما تتميز بكونها لفظاً ينجز الحدث الذي نصفه"²، وعليه فإن الصلة بين نظرية الألعاب اللغوية عند فتنشتاين ونظرية الأعمال اللغوية عند أوستين، هي أن كلتا النظريتين تركز على ضرورة ربط وظائف اللغة بالسياقات الاجتماعية، كما يجب ألا تقتصر في الفلسفة فقط على صنف الملفوظات الوصفية .

إن نظرية الأفعال اللغوية عند أوستين تذهب إلى التأكيد على أن العبارات اللغوية لا تنقل مضامين مجردة ونمطية، وإنما تختلف حسب عدة عوامل منها: السياق بالإضافة إلى عوامل أخرى تتدخل في تحديد دلالة اللفظ وقوته، وعليه تحول الاهتمام من الجملة في ذاتها إلى البحث في مختلف مظهراتها، ومن ثم

¹ - الحسين أخدوش: نظرية أفعال اللغة لدى أوستين أسسها وحدودها الفلسفية، مجلة مؤمنون بلا حدود، أكتوبر 2016، ص 2.

² - أوزفالد ديكرو: نظرية الأفعال الكلامية من سوسير إلى فلسفة اللغة، ترجمة: فريق م.إ.ق، مجلة العرب والفكر العالمي، دمشق - سوريا، 1990، العدد 10، ص 144.

الانتقال من الإحالة اللسانية إلى إحالة المتكلم¹، ولهذا السبب يجب استحضار مقاصد المتكلم وأفعال اللغة وبعدها التداولي والسياقي والأسئلة التي تنطبق على دراسة الخطاب الحجاجي وهو يحتوي بعدا تداوليا.

وعلى هذا الأساس يمكن تعريف الفعل اللغوي كالتالي: "هو الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلا بعينه (أمر، طلب، تصريح، وعد...)، غايته تغيير حال المتخاطبين"²، ويقصد بفعل الكلام هو العمل الاجتماعي أو المؤسسي الذي يقوم به المتكلم أثناء تلفظه بملفوظات معينة، وتظهر خصوصية فعل الكلام في إعطاء قيمة فعلية للجملة التي يتم التلفظ بها، سواء كانت (نصحا، وعدا، أمرا...)، ففعل الكلام هو فعل تأثيري أي أن يكون له تأثير على المخاطب، ومن ثم إنجاز شيء ما، وهذا انطلاقا من الخصائص الأساسية التي يتميز بها حسب أوستين وهي كونه فعلا دالا، كما أنه فعل إنجازي، أي أنه ينجز الأشياء بالكلمات³.

وعليه فنظرية أفعال الكلام عند أوستين تجسد موقفا مضادا للاتجاه الوضعي المنطقي الذي ركز على التحليل المنطقي للعبارات مجردة من سياقها اللغوي والاجتماعي والتاريخي، في حين أن الأقوال تعكس نمطا ونشاطا اجتماعيا، أكثر منها أقوالا تتصف بالصدق والكذب.

¹ - العياشي أدواري: الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، ص 79.

² - دومينيك منغون: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، دار العربية للعلوم، ناشرون، ط1، 2008، لبنان، ص7.

³ فوزية شراد، فلسفة اللغة عند هابرماس، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2009-2010، ص 198.

3.1. مستويات الأفعال الكلامية¹: يقول ديكرو: "نفرض أنني أصوغ

الجملة الاستفهامية: هل سيكون الطقس جميلا غدا؟ حسب أوستين فإنني أقوم هنا بثلاثة أفعال مختلفة تماما، أولا إنني أؤدي فعلا تعبيريا أو فعل القول، وكما بالنسبة لكل لفظ سواء كان لفظ أمر أو وعد أو إثبات فقد كان علي أن أقوم في آن معا بنشاط ذي طابع صوتي، وبآخر ذي طابع نحوي وأخيرا بعملية دلالية محضى"²، من هذا القول نلاحظ أن أفعال الكلام تقسم إلى ثلاثة مستويات ذات طابع صوتي ونحوي ودلالي.

أ. **الفعل الكلامي Acte Illocutionnaire**: أي هو فعل التلفظ بصيغة ذات صوت وتركيب ودلالة، يقول أوستين: "من الواضح أنه لكي أنجز فعلا كلاميا، يجب أن أؤدي فعلا صوتيا... ففعل الكلام هو النطق بالألفاظ من حيث هي منتمية إلى معجم... فهو النطق ببعض الألفاظ والكلمات، أي إحداث أصوات على أنحاء مخصوصة متصلة على نحو ما بمعجم معين، ومرتبطة به ومتماشية معه، وخاضعة لنظامه"³، إن فعل الكلام هو الأصوات التي ينتجها المتكلم وتحمل دلالة معينة، بمعنى قول المتكلم لشيء معين.

ب. **الفعل التكملي Acte Locutionnaire**: وهو الفعل التواصلي الذي تؤديه هذه الصيغة التعبيرية في سياق معين، ويقصد به حين يتلفظ المتكلم بقول ما، فهو

¹ - تعددت ترجمات الباحثين للمصطلحات الثلاثة acte illocutionnaire، acte locutionnaire، acte perlocutionnaire، فمثلا عبد القادر قنفي (فعل الكلام، قوة الكلام، لازم فعل الكلام)، منذر العياشي (العمل الكلامي، العمل الكلامي التحقيقي، عمل الأثر غير المباشر للكلام)، سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني (عمل القول، العمل المتضمن في القول، وعمل التأثير بالقول)، صابر الحباشة (العمل القولي، العمل اللاقولي، عمل التأثير بالقول)، طه عبد الرحمن (الفعل الكلامي، الفعل التكملي، الفعل التكليمي)، شكري المبخوث العمل القولي، العمل في القول، عمل التأثير بالقول).

² - أوزفالد ديكرو: الأفعال الكلامية من سوسير إلى فلسفة اللغة، ص146.

³ - J. L. Austin: How to Do Things with Words, p96

ينجز معنى قصديا، إنه تأثير مقصود، لذلك يطلق عليه أوستين اسم "قوة الفعل"، أي قوة الإنجاز، كقول أحدهم: "أحذرك...."، "أعدك....."، ولتحقيق هذا الفعل اشترط ضرورة توفر السياق العرفي و المؤسساتي المتكون من اللغة، المحيط، والأشخاص، والقصد الفعلي للقيام بإنجاز مقتضى القول¹. إن قيمة فعل الكلام تخضع للمقام الذي تتجز فيه العملية التواصلية، والمواضعة اللسانية، وأخيرا العلاقات بين المتخاطبين.

ج. الفعل التكليمي Acte Perlocutionnaire: وهو أثر الفعل الكلامي في المستمع²، أي أن تلك التلفظ التي أنتجها المتكلم في بنيات نحوية منتظمة ومحملة بمقاصد معينة، تعمل على تبليغ رسالة ما للمستمع من أجل إحداث أثر معين، لذلك يقول أوستين: "ولازم فعل الكلام دائما يتضمن بعض النتائج كأن نقول (بإنجاز " أ " حصلنا على "ب")"³، وهذه النتائج قد تكون مقصودة من طرف المتكلم وأحيانا تكون غير قصده.

إن المعنى أصبح هو الاستعمال يحدد ضمن سياق القول، ولهذا يقول ديكر: "لم يعد بوسعنا قبول الازدواجية بين اللغة التي تحدد الدلالات وكلام ينقل فيما بعد هذه الدلالات على نحو يلبي مختلف حاجات الأشخاص المتكلمين، لقد أثبتنا بالعكس أن آثار الكلام على الموقف الخطابي (تلك التي يسميها أوستين آثار الأفعال في القول) محددة بواسطة إصطلاحات وأن هذه الاصطلاحات المتعلقة بالاستعمال تشكل إلى حد كبير، الواقع الدلالي لعناصر اللغة"⁴. ولذلك

¹ -Ibid ,p106.

² - طه عبد الرحمان: التواصل والحجاج، ص 11.

³ -J. L. Austin: How to Do Things with Words ,p 107

⁴ - أوزفالد ديكر: الأفعال الكلامية من سوسير إلى فلسفة اللغة، ص153.

يؤكد " إن اكتشاف الملفوظات الإنجازية يظهر أن بعض الملفوظات لا يمكن أن توصف دلاليا دون الاستعانة ببعض آثار اللفظ"¹، فالفعل الإنجازي العمدة والركيزة في الكلام، فقد ركز عليه أوستين حتى أن نظرية أفعال الكلام سميت بالنظرية الإنجازية أو نظرية الفعل الإنجازي، وهذا الفعل يرتبط بمقصد المتكلم، وعلى السامع بذل مجهود في سبيل الوصول إليه، وعلى هذا الأساس يلعب قصد المتكلم الدور الرئيس في نظرية أفعال الكلام .

قدم أن ريبول وجاك موشلار مثالا يجلان فيه مستويات الفعل الكلامي عند أوستين كالتالي:

- يقول الأب لابنه : نظف أسنانك.

- يجيب الابن قائلا: "لا أشعر بالنعاس"².

إن الأب قام بإنجاز عمل قولي، وعمل متضمن في الوقت ذاته وهو أمر ابنه بتنظيف أسنانه، في حين ينجز الابن ثلاثة أفعال كلامية في جوابه " لا أشعر بالنعاس"، فالعمل الأول هو نطقه بالجملة، والعمل المتضمن في القول إخباره وإثباته عدم الرغبة في النوم، أما العمل الثالث فهو ينجز عملا تأثيريا حجاجيا يتمثل في إقناع أبيه بسبب إهماله لتنظيف أسنانه من خلال قوله أنه لا يشعر بالنعاس.

4.1. تصنيف الأفعال الكلامية: صنف أوستين جميع الأفعال اللغوية إلى

خمسة أصناف هي:

¹ - المصدر نفسه، ص 158.

² - أن ريبول وجاك موشلار :التداولية اليوم علم جديد للتواصل، ص 31-32

أ. الأفعال الكلامية الدالة على حكم (الحكميات): وهو مجموع الأحكام الصادرة عن مؤسسة تشريعية أو قضائية أو مؤسسة أخرى ذات صبغة قانونية، وهنا يتعلق الأمر بإصدار حكم بصدد واقعة معينة أو حول شيء ما، غير أنه ليس من الضروري أن تكون هذه القرارات نهائية.¹ أي أن هذا الصنف من الفعل الكلامي ينجز حكماً.

ب. الأفعال اللغوية الدالة على الممارسة أو القرارات (الإتفاقيات) (الفعل الكلامي التشريعي): وهو الممارسة التشريعية، يتعلق بممارسة السلطة والقانون والنفوذ، وأمثلة التعيين في المناصب والانتخابات، وإصدار الأوامر التفسيرية في المذكرات، وإعطاء التوجيهات التنفيذية القريبة من النصح والتحذير وغيرها، ومن العبارات الدالة على ذلك نجد: عين، أوفد، فصل، لقب، أمر، صوت، أوصى، فسخ²، إن الفعل الكلامي ينجز قراراً ويصدر أوامر حول موضوع ما.

ج. الأفعال الدالة على الوعد أو التعهد: (الوعديات)، ونموذجه هو إعطاء الوعد أو التكفل أو الضمان والتعهد في كل هذا يلتزم الإنسان أن يفعل شيئاً ما، وقد يندرج في هذا الباب التصريح وإعلان النية والقصد، وكلما تحقق الإفصاح عنها في الفعل المصرح به، ومن أمثله: وعدت، اتفقت مع، تعاقدت، التزم، قال كلمته، أقسم، حرض... الخ، ويتميز هذا الصنف عن بقية الأصناف الأخرى بأنه يتم من خلاله إفصاح المتكلم بقصده ونيته في خطابه، كما يتم من خلاله الإعلان والإفصاح عن الالتزام بمقتضى الكلام³. إن هذا الفعل ينجز وعوداً وتعهداتٍ ويظهر هذا الفعل من خلال إفصاح المتكلم عن قصده مباشرة.

¹ -J. L. Austin: How to Do Things with Words, p 151

² -Ibidem.

³ - Ibidem.

د.الأفعال الدالة على السلوك أو السيرة (السلوكيات): وهو الأوضاع السلوكية، وتختص بمجموعة كبيرة لا يمكن حصر أطرافها بسهولة، ولكنها كلها تتدرج تحت باب السلوك والأعراف المجتمعية وأمثلتها الاعتذارات، التهاني، التعازي، القسم...¹، إذ يشمل هذا النوع ردود الأفعال على سلوكيات الآخرين، أو ما يلاقيه المتكلم من نجاح أو فشل في مزاولته لنشاط ما أو سلوك معين، كما يشمل أيضا مختلف المواقف وضروب التعبير عن أوضاع سلوكية خاصة.

هـ.الأفعال الدالة على العرض أو الإيضاح: وهو كل فعل يؤتى به لتوضيح وجهة نظر أو بيان رأي، ذكر حجة، بمعنى هو الفعل الذي نصح من خلاله بتفسير وجهات نظرنا، فنسوق حججا ثم نوضح على ضوءها كيفية استعمالنا للكلمات. ومن أمثلتها: أيد، أنكر، أثبت، وصف، جادل، استنتج...².

تعد نظرية أوستين من البوادر الأساسية لظهور فكرة الحجاج عند ديكر، إذ أن الفعل الكلامي باختلاف أنواعه يقوم بإنجاز أعمال مختلفة، ومن بين هذه الأفعال الكلامية الفعل الحجاجي، فعندما نؤثر في المتلقي فنحن نحاجج غيرنا ونقوم بإقناعه، فلم تعد اللغة وظيفتها الإخبار والتواصل، بل أصبحت أداة للتأثير في العالم وتغيير سلوك المتلقي.

2.الأفعال الكلامية مع سورل:

انطلق جون سورل Searle John (1932 -)³ في نظريته الجديدة حول الأفعال الكلامية بناءً على الأسس التي وضعها أوستين، إذ أعاد صياغة أفكاره

¹ - Ibidem

² - Ibid ,p 163

³ - جون سورل: فيلسوف أمريكي معاصر تلميذ "أوستين"، واحدمن أبرز الفلاسفة الذين ينتمون لتيار الفلسفة التحليلية التي طورها "أوستين"، من أشهر أعماله العقل واللغة والمجتمع، التعبير والمعنى، القصصية.

وتجديدها، حيث مست هذه الأفكار شروط إنجاز الفعل الكلامي، وتصنيف الأفعال الكلامية، وهذا بدوره أدى إلى ظهور نظرية منتظمة لاستعمالات اللغة بمصطلحات الأفعال الكلامية، وتقوم هذه النظرية على مبدأ القصدية، إذ أن الكلام بحسبه محكوم بقواعد قصدية متصلة باللغة¹. وبالرغم من أن أوستين قام بتحديد المفاهيم الأساسية لنظرية أفعال الكلام وذلك من خلال تقسيمه لمستويات الفعل الكلامي وأصنافه، إلا أنه لم يستطع أن يحقق ما سعى إليه من وضع نظرية متكاملة، فلم يكن ما قدمه من تصور كافياً، ولهذا قام سورل² بتطوير هذه النظرية وشرح أسسها وتعديل بعض أخطائها. لهذا نتساءل ما الجديد الذي أضافه سورل لما جاء به أوستين حول أفعال الكلام؟ وكيف أثرت نظريته في تأسيس فكرة الحجاج عند ديكرو؟

1.2. مستويات الفعل الكلامي: لقد قام سيرل بتعديل التقسيم الذي قدمه أوستين لمستويات الفعل الكلامي فجعله أربعة أقسام مع الاحتفاظ بمستوى الفعل

¹ - محمود أحمد نحلة آفاق جديدة ، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 2002. ص 71.

² - ميز سورل بين اتجاهين مختلفين في فلسفة اللغة إذ يقول " يجب أن نميز ضمن الأعمال المعاصرة في فلسفة اللغة بين اتجاهين على الأقل ، اتجاه ينصب نظره على مسألة استعمال العبارات في مقامات التخاطب والآخر يهتم بدلالات الجمل، يتحدث أرياب الاتجاهين أحيانا كما لو كان الاتجاهين متنافرين، ويبدو أن هذا الموقف قد نفى جانبا من التشجيع بسبب أنه بين الاتجاهين ارتباطا تاريخيا بمواقف متنافرة بشأن الدلالة، وهكذا فقد تضمنت على سبيل المثال أعمال فتنجشتاين الأولى، وهي تنتمي إلى الاتجاه الثاني مواقف حول الدلالة تخلى عنها في أعماله التالية التي تنتمي إلى الاتجاه الأول "

ولكن بالرغم من أنه وقعت تاريخيا خصومات حادة بين أرياب الاتجاهين ، فإنه من المهم أن ننتبين أنهما إذا عدا مقاربتين بحثيتين لا نظريتين ، اتجاهاً متكاملان لا متنافسان تطرح المقاربة الثانية السؤال النمطي التالي : كيف تحدد دلالات العناصر في جملة ما دلالة الجملة برمتها ؟ في حين تطرح المقاربة الأولى هذا السؤال النمطي ؟ ماهي أصناف الأعمال اللغوية التي ينجزها المتكلمون حين يقولون عبارات ؟

إن الإجابة عن السؤالين كليهما ضرورية من أجل فلسفة كاملة للغة ، والأهم من ذلك أن السؤالين مترابطان لأنه ثمة لكل عمل لغوي محتمل مجموعة من الجمل سيتمثل إلفاؤها الحرفي في سياق معين انجاز لذلك العمل اللغوي" (الاعمال اللغوية 42-43).

التكلمي والفعل التكلمي أي بالقسم الإنجازي والتأثيري إلا أن الفعل الكلامي أي التلظي قسمه إلى قسمين هما الفعل النطقي والفعل القضوي، لذلك كان تقسيم مستوى الفعل اللغوي عند سورل كالتالي:

أ. **الفعل النطقي:** (العمل القولي) أي يتم من خلاله قول كلمات أو صرافم إذ يشمل الجوانب الصوتية والنحوية والمعجمية.

ب. **الفعل القضوي:** (الأعمال القضائية) ويشمل على فعلين هما الإحالة والحمل، أي الإحالة على شخص موجود بالعالم الخارجي، فالحمل هو أن أحمل ذلك الشخص الذي أحلت عليه فعل شيء ما¹.

ج. **الفعل الإنجازي:** (أعمال متضمنة في القول): ويسميه أيضا بالفعل التمريزي، وهو الفعل الذي يحقق القصد المعبر عنه في القول كالإثبات، الاستفهام، الأمر، الوعد.

د. **الفعل التأثيري:** (أعمال التأثير بالقول) يتمثل في النتائج والتأثيرات التي تحدثها الأفعال الإنجازية على أفكار المستمع، ومفهوم هذا الفعل يتطابق مع ما جاء به أوستين حوله².

2.2. الفعل الكلامي والقصدية: إن الجديد الذي قدمه سورل للفعل الكلامي هو فكرة القصدية، إذ بدأ اهتمام سورل بالحجاج من خلال حديثه عن القصدية التي تعتبر شرطا أساسيا في كل عملية كلامية، ذلك أن الأفعال الكلامية تحمل جوهريا إثباتا أو حجة تدل على قصد المتكلم مما يجعل الحجاج مرهونا بالقصدية. حيث يقول سورل في كتابه العقل واللغة والمجتمع: "ولذلك أعتقد أن تحليلنا للقصدية، إذا

¹ - جون سورل: الأعمال اللغوية، ترجمة: أميرة غنيم، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط1، 2015، ص 50.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فهم فهما، يكشف عن إمكانيات وتحديدات اللغة¹، وقد أكد طه عبد الرحمن ذلك بأن: "اللغة هي المكان الذي تتكشف فيه القصدية، فما دامت الحجة لا تفارق اللغة، فإنها تنطوي على أقوى مظاهر القصدية"²، إن طه عبد الرحمن يؤكد أن الحجاج في نظرية أفعال الكلام يشتغل بدور المتكلم في الفعالية الخطابية، فيركز على القصدية من جهة ارتباطها باللغة، وهذا ما يجعل الحجاج بنية دلالية موجهة.

فإذا كانت هذه هي التقسيمات الذي وضعها سورل لمستويات الفعل الكلامي، فإنه قام بتصنيف الأفعال الكلامية بحسب وظائفها أيضا، إلى أفعال إنجازية، مميّزا بينها وبين ما يترتب عنها، والتي أطلق عليها الأفعال التأثيرية، كالحث والإقناع والتوقع، وما يميز بينهما هو القصد، ذلك أنه لتحقيق فعل الوعد مثلا لا بد للقائل أن ينوي تبليغ مخاطبه بقصده، في حين لا يشترط ذلك في الأفعال التأثيرية لأنها نتيجة مترتبة عن الفعل اللغوي، لذلك ذهب سيرل إلى القول أن: "الفعل التمريري هو أصغر وحدة مكتملة في الاتصال اللغوي الإنساني، وحينما نتكلم أو نكتب لبعضنا فإننا نؤدي أفعالا تمريرية، أما الفعل التأثيري له علاقة بالنتائج الأخرى أو الآثار المترتبة عن أفعالنا، إن الأفعال التمريرية قصدية في الجوهر، بينما الأفعال التأثيرية قد تكون وقد لا تكون قصدية"³، فقد يقصد الشخص أن يعطي وعدا، أو أن يصدر حكما، في حين الأفعال التأثيرية لا يجب أن تؤدي قصدا بالضرورة، فقد تقوم بإقناع شخص آخر بشيء ما أو تدفعه إلى فعل شيء آخر، أو إزعاجه دون أن تقصد ذلك. و بناءً على ذلك يرتبط الفعل الكلامي

¹ - جون سورل : العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي ، ترجمة : سعد الغانمي، المركز الثقافي - المغرب ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006، ص222.

² - طه عبد الرحمن: التواصل والحجاج، ص 10.

³ - جون سورل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ص ص 202-203.

بالحجاج من خلال القصد، فالقصد هو أساس الفعل الكلامي الذي يعتبر أساسا لفعل الإنجاز.

لذلك يصرح سورل أنه " نحتاج أن نميز الأفعال التمريرية التي هي الغاية الخالصة من تحليلنا، عن الآثار والنتائج التي يمكن أن تسفر عنها الأفعال التمريرية في المستمعين "¹، فمثلا من خلال أن أمرك بأن تفعل شيئا، أذفكك إلى أن تقوم به، ومن خلال المجادلة معك، قد أتمكن من حثك، وحين أصدر حكما، قد أقتعك، ومن خلال رواية قصة، قد أذهلك. وفي هذه الأمثلة نتعرض لنوعين من الفعل الكلامي الأول منها فعل تمريري، أما الثاني فهو أثر ذلك الفعل على المستمع كالحث والإقناع، أو توقع أن يقوم شخص بشيء ما.

إذا كان أوستين أعطى أهمية كبيرة للأفعال التأثيرية فإن سورل اهتم بالأفعال التمريرية، إذ يقول: "الفعل التمريري هو الهدف الحقيقي من تحليلنا"²، وعليه يجب أن تؤدي الأفعال التمريرية قصديا إذا لم تقصد أن تعطي وعدا، أو تصدر حكما، إذن فأنت لم تطلق وعدا أو حكما، غير أن الأفعال التأثيرية لا يجب أن تؤدي قصديا بالضرورة، لذلك يجب التمييز على مستوى الفعل التمريري بين محتوى الفعل والنمط الذي يكون عليه الفعل .

ولتوضيح ذلك يقدم سورل مجموعة من الأمثلة هي :

- لتترك الغرفة رجاءً

- هل ستترك الغرفة رجاءً

- ستترك الغرفة

¹ - المرجع نفسه، ص202.

² - جون سورل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ص202

تتشترك هذه المنطوقات بشيء ما و هو تحديدا أن كلاهما ينطوي على تعبير عن قضية أو خبر، وهو أنك سنترك الغرفة، وفي كل منطوق، هناك شيء مختلف عن المنطوقين الآخرين، فالقصد الأول طلب، والقصد الثاني سؤال والقصد الثالث توقع، وهنا نحتاج أن نميز بين محتوى الفعل التمريزي والقوة التأثيرية التي يمتلكها¹.

طرح سورل سؤالا أساسيا هو : كيف ترتبط اللغة بالواقع؟ وأجاب عنه كالتالي: " ترتبط اللغة بالواقع بفضل المعنى، لكن المعنى هو خاصية تحول المنطوقات المجردة إلى أفعال تمريزية، والأفعال التمريزية ذات معنى بدلالة خاصة جدا للكلمة، وهذا النمط من المعنوية هو الذي يمكن اللغة من الارتباط بالواقع"²، وعليه ترتبط اللغة بالواقع من خلال فعل القصدية الذي ينطوي عليه الفعل التمريزي، وحتى يفرض المتكلم المعنى لأبد للكلام أن ينطوي على قصدية معينة، لذلك يصرح سورل " المعنى هو شكل قصدية مشتقة، والقصدية الأصلية أو الداخلية في فكر المتكلم تتحول إلى كلمات وجمل وعلامات ورموز... إلخ، إذا ما أحسن النطق بهذه الكلمات والجمل والعلامات والرموز، بحيث تكون ذات معنى فإنها تنطوي على قصدية مشتقة من أفكار المتكلم، فهي لا تنطوي على مجرد معنى لغوي تقليدي فحسب، بل على معنى يقصده المتكلم أيضا، ويمكن للمتكلم أن يستعمل القصدية التقليدية للكلمات والجمل في اللغة لتأدية فعل كلامي، وحين يؤدي المتكلم فعلا كلاميا، فإنه يفرض قصدية على هذه الرموز³، إذ أننا أثناء الاتصال بغيرنا قد نفلح في توليد فهم لديهم يجعلهم يتعرفون على قصدنا.

¹ - المرجع نفسه، ص 204.

² - المرجع نفسه، ص 205.

³ - المرجع نفسه، ص ص 207 - 208.

3.2. شروط الفعل الكلامي: وضع سورل مجموعة من القواعد التحضيرية للأفعال الكلامية ترتبط بسياقاتها، ذكرها في كتابه: "الأعمال اللغوية" تتمثل فيما يلي:

أ. قاعدة المحتوى القضوي: وتتحقق بأن يكون للكلام معنى قضوي، فالمحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضية، وأعطى سيرل مثالا بفعل الوعد فيجب أن يكون دالا على حدث في المستقبل يلزم المتكلم به نفسه¹.

ب. القاعدة التمهيدية: وهذه الشروط تتعلق بما يعرفه المتكلم عن قدرات و اعتقادات وإرادات المستمع، وعن طبيعة العلاقات القائمة بينهما².

ج. القاعدة الجوهرية: تعين هذه الشروط الغرض التواصلية من الفعل الكلامي، هذا الغرض الذي يلزم المتكلم بواجبات معينة.

د. قاعدة الإخلاص: وهي تحدد الحال الاعتقادي الذي ينبغي أن يقوم به المتكلم المؤدي لهذا الفعل التكلمي، ويطلق عليها سيرل اسم قاعدة صدق النية³.

ولتوضيح ما سبق نأخذ المثال التالي: إذا قال قائل: "منطقة الأوراس مهد الثورة التحريرية"، فقد قام بفعل الجزم، والشروط القضوي للجزم هو أنه حكم يحتاج إلى دليل، وشرطه الجوهرية هو أن المتكلم يتحمل إثبات الحكم الذي أصدره، وشرط الإخلاص هو أن المتكلم يعتقد أن المستمع لا يعلم بمضمون قوله وأن الإتيان بالدليل قد يحمله على التسليم بذلك.

¹ - جون سورل: الأعمال اللغوية، ص 113.

² - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر، ص 263.

³ - جون سيرل: الأعمال اللغوية، ص 113.

4.2. تصنيف الأفعال الكلامية: لاحظ سيرل عدم كفاية التصنيف الذي

وضعه أستاذه أوستين، فكان تصنيفه للأفعال الكلامية كالتالي:

أ. **الإثباتيات:** يكون الهدف منها تطويع المتكلم بالكلمات، ولكن يجب أن تتطابق الكلمات مع العالم، والحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى، مهما كانت درجة القوة، مثال سيأتي ذلك غدا¹، فالنقطة الأساسية لهذا الفعل الكلامي هو التعهد للمستمع بحقيقة الخبر.

ب. **التوجيهيات:** وتقوم هذه الأفعال بمحاولة جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل من تصرفه متلائماً مع المحتوى الخبري للتوجيه، وتتوفر النماذج على التوجيهيات والأوامر والنواهي والطلبات، وشرط الصدق النفسي المعبر عنه هو دائماً الرغبة، فكل توجيه هو تعبير عن رغبة المستمع بأن يقوم بالفعل الموجه². ومادامت التوجيهيات أوامر وطلبات فلا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، وعليه يجب أن تطاع أو ترفض.

ج. **الإلزاميات:** إذ أن الهدف منها أن تجعل المتكلم ملتزماً بإنجاز عمل، ويجب أن يطابق العالم الكلمات، وحيث الحالة النفسية الواجبة هي صدق النية، ومثال ذلك سوف آتي³، ويلاحظ أن سيرل أخذ هذا الصنف عن أوستين.

د. **التعبيريات:** تكون الغاية منها التعبير عن حالة نفسية، ولكن يجب أن تكون النية صادقة، ونماذج هذا الفعل الاعتذارات، التشكرات، التهاني، الترحيبات، ويعطي سورل المثال التالي: فإذا قلت أعتذر لضربك، أو تهانينا على فوزك

¹ - فليب بلانشيه: التداولية من أوسين إلى غوفمان، ص 66.

² - جون سورل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ص 218.

³ - فليب بلانشيه: التداولية من أوسين إلى غوفمان، ص 66.

الجائزة، فأننا أسلم تسليما بأنني ضربتك أو أنك فزت بالجائزة، لذلك أفترض قبلها وجود اقتران بين المحتوى الخبري والواقع،¹ لذلك يعد الاعتذار صادقا إذا كان المتكلم يشعر بالأسف فعلا عما يعتذر عنه، والتهاني صادقة فعلا إذا كان المتكلم يشعر ببهجة حقا حينما يهنئ المستمع.

هـ. التصريحيات: الخاصية المميزة لهذا الصنف من الأفعال الكلامية أن أداؤها الناجح في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، فإذا أديت فعل تعيينك رئيسا للوفد أداءً ناجحاً فأنت رئيس للوفد، وإذا رأيت أن فعل إعلان الحرب أداءً ناجحاً، فالجانب معلنة، وأهم ما يميز هذا الصنف أنه يحدث تغييراً في الوضع القائم.²

لقد اهتم سورل بالحجاج من خلال حديثه عن القصدية، إذ اعتبرها الشرط الأساسي لكل عملية كلامية وانطلاقاً منها قسم الأفعال الكلامية بحسب وظائفها إلى أفعال إنجازية وأفعال تأثيرية، وبناءً على ذلك يرتبط الفعل الكلامي بالحجاج من خلال الفعل الإنجازي، إذ يعتبر أنه فعل قصدي بالجوهر، ولقد لقيت آراء سيرل رواجاً وقبولاً كبيراً عند ديكر و خصوصاً عندما ربط فكرة الحجاج بالقصدية .

3. الفعل الكلامي غير المباشر عند بول غرايس وقواعد المحادثة:

انطلق بول غرايس Paul Grice (1913-1988)³ من نقطة أساسية هي أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، وبذلك حاول إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد،

¹ - جون سورل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ص 219.

² - محمود أحمد نحلة: آفاق في البحث اللغوي المعاصر، ص 80

³ - بول غرايس : فيلسوف لغة بريطاني، وتعد نظريته حول الاستلزام من أهم وأكثر المساهمات تأثيراً في علم التداوليات، عرف بقوانين المخاطبة.

فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه للسامع على نحو غير مباشر اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال. لهذا نتساءل كيف يستطيع المتكلم إيصال قصده للمخاطب؟

1.3. مبدأ التعاون وقوانين المحادثة:

أ. مبدأ التعاون *Principe De Coopération* : بحث غرايس في السؤال السابق الذي طرحه سورل : كيف يمكن للمتكلم أن يقول شيئا ما ويعني شيئا آخر؟ ثم كيف يكون ممكنا أيضا أن يسمع المخاطب شيئا ويفهم آخر؟¹ فإذا كانت إجابة سورل تتمثل في أن فكرة القصدية هي التي توصل إلى المعنى، فإن غرايس وجد حلا آخر لهذا الإشكال و سماه بمبدأ التعاون بين المتكلم والمخاطب وهو مبدأ حوارى عام، وعليه يرى غرايس أن " المحاور لا يمكن أن تقوم عادة على مجرد سلسلة من التعاليق المتفككة، فهي في هذه الحالة غير معقولة، ذلك أن المحاورات تمثل خصوصا ثمرة لجهود تعاون مبذولة، ويتعرف كل مشارك من خلالها على هدف مشترك، أو جملة من الأهداف، أو إنه يقر على الأقل ما ارتضاه بصفة مشتركة جميع المتحاورين، ويمكن منذ البداية ضبط هذا الهدف أو الوجهة². ويعتبر هذا المبدأ من أهم المبادئ التداولية للتحاور، حيث ورد نص لهذا المبدأ "مبدأ التعاون"، في اللسانيات الحديثة عند فيلسوف اللغة بول غرايس، إذ ذكره أول مرة في دروسه المعنونة بـ: "محاضرات في التحاور"، ومفاد هذا المبدأ، أنه على أطراف

¹ - محمود أحمد نحلة: آفاق في البحث اللغوي المعاصر، ص ص33-34.

² - بول غرايس : منطق المحادثة، ترجمة: سيف الدين دعفوس، مقال مترجم ضمن كتاب: إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن 20، إشراف وتنسيق : عزالدين مجدوب، بيت الحكمة، تونس، ط1، 2012، ص 618.

الحوار التعاون فيما بينهم لتحصيل المطلوب، بمعنى أنه يتوجب أن يتعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف من الحوار الذي دخلا فيه، وقد يكون هذا الهدف محددًا قبل دخولهما في الكلام، أو يحصل تحديده أثناء هذا الكلام.

وعليه قام غرايس بصياغة مبدأ تقريبي اجمالي توقع أنه في الغالب سيتم احترامه من طرف جميع المتحاورين و هو : " لتكن مساهمتك في المحادثة لملا يتطلبه مثلا -في المرحلة التي تجري فيها - ما تم ارتضائه من أهداف أو وجهة للمحاورة التي اشتركت فيها " ويمكن تسميته بمبدأ التعاون¹، وهذا المبدأ يفترض أن المتخاطبين المساهمين في محادثة مشتركة يحترمون التعاون بينهم، فالمشاركون يتوقعون أن يسهم كل واحد منهم في المحادثة بكيفية عقلانية ومتعاونة لتيسير تأويل أقواله²، فهذا المبدأ يهدف إلى تعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف المرجو من الخطاب، وقد يكون هذا الهدف محددًا قبل دخولهما في عملية التخاطب أو قد يحصل تحديده أثناء هذه العملية، وعليه فالعملية التواصلية قائمة أساسًا على مبدأ التعاون، لذلك لا بد أن تكون الجمل تامة الفائدة ومناسبة للمقام.

ب.قوانين المحادثة *Maximes Conversationnelles*: يصرح بول غرايس

من جديد بقوله: "وإذا افترضنا أن مبدأ عامًا من هذا القبيل مقبول فإننا نتوصل إلى تمييز أربع مقولات، ويتفرع عن هذه المقولة أو تلك عدد من القواعد أشد خصوصية، وعدد من القواعد الفرعية و اقتداءً بكانط أسمى هذه المقولات : الكم ، الكيف ، النسبة والطريقة"³، أي أن مبدأ التعاون تتدرج تحته أربعة قواعد أخرى هي:

¹ - المرجع نفسه، ص 618.

² - أن ريبول و جاك موشلار: التداولية اليوم عالم جديد للتواصل، ص 55

³ - Paul Grice :Logic and Conversation , Oxford University Press, New York ,1991 ,p160.

الكم: وتهتم مقولة الكم بكمية المعلومات التي ينبغي توفيرها وتتفرع عن صلبها قاعدتان أساسيتان:

- لتكن مساهمتك متوفرة على قدر من المعلومات يساوي ما هو مطلوب.
- لا تجعل مساهمتك متوفرة على قدر من المعلومات يفوق ما هو مطلوب¹.

فهذه المقولة تتعلق بمقدار المعلومات وكمها، لا بصدقها أو ملاءمتها، وعلى المتحاورين أن لا يزيدا ولا ينقصا من مقدار الفائدة المطلوبة، أي أن عملية التخاطب يجب أن تكون مفيدة، والخطاب لا بد أن يكون دالا على المطلوب، أي لا يفيد أكثر مما ينبغي، بمعنى أن المتكلم يبلغ أكبر عدد ممكن من الفوائد بأقل عدد ممكن من الجهود.

الكيف: وتحت مقولة الكيف توجد قاعدة عليا هي: " لتكن مساهمتك في هذا الموضوع صادقة".

وثمة قاعدتان أشد خصوصية هما:

- لا تقل ما تعتقد أنه كاذب.
- لا تقل ما تفتقر الحجة الكافية عليه²، إن هذه القاعدة تلزم المتحاوران أن تكون مساهمتها صادقة.

قاعدة النسبة أو الإضافة أو الملاءمة: ويجب أن يتلاءم الكلام مع الحوار، وفي هذا يقول غرايس: "وتحت مقولة النسبة أضع قاعدة وحيدة وأعني بها (قل ماله صلة بالموضوع)، وهذه القاعدة على إيجازها تخفي في صياغتها عددا من القضايا،

¹ - بول غرايس: منطق المحادثة، ص 619.

² - Paul Grice : Logic and Conversation ,p160.

وتتصل بمختلف ضروب المناسبة، ومواطنها وبكيفية نبذها أثناء المحاور، وبالكيفية التي نسمح بها فعلياً بتغيير مواضع المحادثة¹، أي أن المتكلمين لا بدلها من جعل كلامها مناسباً وإذا علاقة بالموضوع والمقام معاً، فهذا المبدأ يلح على ضرورة أن يكون الكلام مناسباً لموضوع الحوار وملائماً له، أي يكون الكلام ذا دلالات مباشرة وصريحة، وغرضه أن تحقق أجزاء الخطاب الواحد توافقاً دلاليّاً يحملها على عدم التعارض، فلا يكون الخطاب خطاباً حقيقياً، إذا كان أوله لا يشبه آخره.

قاعدة الطريقة: يضع غرايس تحت مقولة الطريقة قاعدة عليا: "فلتكن واضحة"، إضافة إلى قواعد أخرى:

- تجنب غموض العبارة
- تجنب اللبس
- أوجز (تجنب الإطناب)
- كن منظماً

ومن البديهي أن احترام بعض هذه القواعد يكون أقل إلحاحاً من احترام غيرها².

والملاحظ هنا أن هذه القواعد لها مبتغى واحد يتمثل في ضبط مسار الحوار بحيث يؤكد على أن احترام هذه القواعد، بالإضافة إلى المبدأ العام هو السبيل الكفيل بجعلنا نبلغ مقاصدنا، حيث يفضي كل خروج عنها إلى اختلال العملية الحوارية، وقد اعتبر غرايس أن مسألة القصد من الخصائص الأساسية للخطاب فكل حوار يتطلب استحضار المقاصد حتى يكون تعاوناً بين المتحاورين ويفهم كل

¹ - بول غرايس: منطق المحادثة، ص 619.

² - Paul Grice: Logic and Conversation, p161.

منهما الآخر، وما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن بول غرايس يتفق مع جون سيرل في فكرة القصدية، بمعنى أن كل حواراتنا وتواصلنا مع غيرنا مبني على فعل القصدية .

إن النظرية اللغوية الحوارية في اللغات الطبيعية لم تعد نظرية تحكمها الاعتباطية، بل هي عملية تقوم على معطيات عقلية، وخطط مضبوطة جعلت غرايس يشتق منها المبدأ التعاوني السالف الذكر¹، وفي هذا يقول طه عبد الرحمن: "لقد أريد بهذه القواعد التخاطبية أن تنزل منزلة الضوابط التي تضمن لكل مخاطبة إفادة تبلغ الغاية في الوضوح، بحيث تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم والمخاطب معاني صريحة وحقيقية، إلا أن المتخاطبين قد يخالفان بعض هذه القواعد، ولو أنهما يدومان على حفظ مبدأ التعاون"².

أكد غرايس أن هناك جملة من الخصائص المميزة التي تطبع عملية الحوار، وتعد قاسما مشتركا بالنسبة لمجموع التعاملات ذات الصبغة التعاونية وهي كالآتي:

- يجب أن يكون هناك هدف مشترك يجمع المشاركين في عملية التفاوض.
- يجب أن تكون إسهامات المشاركين متداخلة، ومتوقفا بعضها على بعض.
- يجب أن تستمر عملية التفاوض، وفق الأسلوب الملائم لها، إلا إذا تراضى الطرفان فوضعا حدًا³.

¹ - العياشي أدواي: الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، ص 99.

² - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، 239

³ - العياشي أدراوي: الاستلزام الحوارية في الدرس التداولي، ص 102.

إن الحوار لم يصبح شيئاً عشوائياً جزافياً يمشي بطريق الصدفة، بل أصبح عملية منظمة تحكمها قواعد مضبوطة.

2.3. الإلتزام الحوارية: *Implicature* : *conversationalnelle* : إن نظرية

الفعل الكلامي عند غرايس لم تقف عند حدود المحتوى القضوي، أي على معناها الحرفي والقوة الإنجازية الملازمة لها، لكن تجاوزت ذلك إلى ما يسمى بالإلتزام الحوارية، إذ اعتبر أن الجمل في اللغات الطبيعية يمكن أن تدل في بعض السياقات على معان أخرى ضمنية غير المعنى القضوي¹، وعليه نتساءل ماهي الآليات التي يتم بها الانتقال من الفعل اللغوي المباشر إلى الفعل اللغوي غير المباشر؟

أجاب غرايس على السؤال السابق بتصنيف المعنى الموجود في العبارات اللغوية إلى صنفين هما : معان صريحة وأخرى ضمنية.

المعاني الصريحة: وهي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها، وهي نوعان:

- المحتوى القضوي: ويتمثل في مفردات الجمل، إذ يرتبط بعضها ببعض في سياق تركيبية.

- القوة الإنجازية الحرفية: إذ تؤشر عليها بعض الصيغ مثل الاستفهام، الأمر وغيرها...²

أما المعاني الضمنية: وهي التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخل في تحديدها، وهي نوعان:

¹ - عبد الله بريمي: بين تداوليات سورل وتفكيكية دريدا، مقال ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم: حافظ اسماعيل علوي، الم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2014، ص 266 .

² - عبد الله بريمي: بين تداوليات سورل وتفكيكية دريدا، ص266.

- معان عرفية: ترتبط بجملة ارتباطا يجعلها لا تتغير بتغير السياقات.
- معان حوارية (سياقية): تولد بحسب السياق الذي تتجز فيه الجملة، وهي معان ترتبط بالتخاطب¹.

ويمكن الاستدلال بالمثال التالي:

أ- ألا تزورني الليلة؟

ب - سأمتحن في صباح غد.

فالفعل الإنجازي "سأمتحن صباح غد" لا يعتبر جوابا مباشرا عن الطلب، إذ يفهم منه أمران، المعنى الأول مباشر أو حرفي وهو الإخبار بموعد الامتحان، والثاني غير مباشر أي غير حرفي وهو الاعتذار عن عدم تلبية الدعوى²، وعليه فالفعل الإنجازي غير المباشر بنوعيه ناتج عن الفعل الإنجازي المباشر، لذلك فالفعل الإنجازي غير المباشر يتضمن الفعل الإنجازي المباشر وليس العكس.

من خلال ما سبق لاحظ غرايس أن بعض الأقوال تبلغ أكثر مما تدل عليه الكلمات التي تتشكل منها الجمل، لذلك يسمى هذا الجزء الذي ينأى عن شروط حقيقة الجملة تضمينا، ويفهم إما من خلال ارتباط الجملة بالتعبير اللساني، أو من خلال العلاقة بين القول والسياق، فكل قول يثير جزئيا أقوالا أخرى يضمها داخل نظام دائري، حيث الكل متماسك³، فالتواصل بغير ما هو ضمني و خفي مستحيل، كما أن التصريح بكل شيء في رسالة بسيطة يتحول إلى دائرة مغلقة ليست لها نهاية، لذلك لا يمكن أن يقال كل شيء.

¹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - محمود أحمد نحلة: آفاق في البحث اللغوي المعاصر، ص 84.

³ - عبد السلام عشير: عندما نتواصل بغير، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2012، ص47.

لقد عالج غرايس إشكالية الاستلزام الحوارية انطلاقاً من مبدأ الحوار أو "التعاون" الذي سبق ذكره، فالحوار الفعال يجعل المتحاورين يقبلون ويتتبعون بعض القواعد الاستلزامية الضرورية للقيام بعملية التواصل، إذ لا حظنا أن هذا المبدأ تنفرع عنه أربع قواعد، وهي ضرورية لكل تواصل إنساني، إن هذه القواعد تستهدف غاية واحدة تتمثل في تنظيم مسار الحوار، بحيث يؤكد غرايس على أن احترام هذه القواعد بالإضافة إلى المبدأ العام هو السبيل الكفيل بجعلنا نبلغ مقاصدنا حيث يفضي كل خروج عنها أو إحداها إلى اختلال العملية الحوارية، وفي هذه الحالة يستلزم على المحاور أن ينقل كلام مخاطبه من معناه الظاهر أو الحرفي إلى المعنى الخفي أو غير المباشر الذي يقتضيه المقام، وهذا هو الاستلزام الحوارية.

القصد والسياق وعلاقتها بالاستلزام الحوارية: إن السياق Le Contexte
هو مسألة سيكولوجية أو معرفية، إذ تتفاعل فيه عدة معارف منطقية ثقافية، نفسية، موضوعية، علمية¹. وعليه يؤكد ديكرو أن كل خطاب أو نص يعكس بشكل ضمني المعتقدات العميقة للعصر².

ومثال ذلك :

- إنها الثانية عشر ليلاً.

من خلال هذا المثال نجد أن الدلالة اللسانية له لا تقدم كل شيء، إذ تشير فقط إلى الساعة وهذا هو معناها الإخباري إذا تعلق الأمر بقصد إخباري إذا تعلق الأمر بسائل ومجيب، فإذا تعلق الأمر بشيء آخر يحدده السياق، فإن القصد الإخباري يرتبط بقصد آخر غير القصد الإخباري، كالتحذير، أو الانتهاء من

¹ - عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، ص 49.

² - Oswald Ducrot : Dire et ne pas dire , Herman Paris, 1972,p13.

العمل، وعليه بتعدد السياق تتعدد المعاني الضمنية أو المستلزمة التي تستنتج من الدلالة اللسانية والسياق الذي وردت فيه¹. ولهذا لا بد أن يتلاءم الملفوظ مع السياق، وعليه يتضح أن مدلول العبارة قد يتجاوز المعنى الحرفي لمجموع ألفاظها، وقد يولد المعنى لدى المخاطب قبل أن ينتهي المتكلم من التلفظ بالعبارة، دون أن يكتمل معناها بعد لدى المخاطب، وكل هذا يكتشف على أن المعنى الحرفي والمصرح به، ليس سوى جزء صغير من المعنى، أما الجزء المتبقي فيتوقف على كل من المتكلم والمخاطب.

أما القصد *L'intention* فهو تمثيل ذهني تبنى عليه مقارنة غرايس الاستدلالية والذي لا ينحصر في القصد الإخباري الذي حدده هو نفسه، بل يتجاوز إلى أنواع أخرى من المقاصد،² ولذلك فالتواصل الإنساني يجب أن يكون قصديا فالقصد يعتبر من الخصائص الأساسية للخطاب، إذ أن كل حوار يتطلب استحضار المقاصد حتى يقوم تعاون بين المتحاورين ويفهم كل منهما الآخر.

وعليه فإنه على المتكلم احترام جملة من الشروط المقتضاة، منها أن يظهر قصده للمخاطب حتى لا يفهم من القول خلاف القصد، ولهذا اتخذ مبدأ التعاون شرطا أساسيا لتحقيق الأهداف المطلوبة بشكل يتطلب تبادل المقاصد فيما بينها، فالمقاصد منها ما هو صريح و ما هو ضمني، مما يتيح الحديث عن المقاصد وعن مقاصد المقاصد. وعليه فالمتكلم عند تلفظه بجملة ما قاصدا معنى جملة أخرى، يجب أن يلتزم بالشروط الآتية، لتحقيق فحوى الاستلزام:

- يجب ألا يترك مجال للاعتقاد بأنه لم يتم احترام مبدأ التعاون.

¹ - عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، ص 49.

² - المرجع نفسه، ص 54.

- يجب افتراض أن الشخص المعنى بالأمر يدرك أن المعنى غير الحرفي ضروري لكي لا يقع تناقض بين المعنى الحرفي وبين ما نص عليه في الشرط الأول¹.

إن بول غرايس اهتم بالفعل الكلامي غير المباشر، وبين أنه محور العملية الحوارية، كما أعطى لهذه العملية مجموعة من القواعد تحكمها انطلاقاً من المبدأ الأساسي العام " مبدأ التعاون"، فالحوار أصبح عملية عقلانية منظمة، كما أكد غرايس أن المعنى نوعان الأول مصرح به و الثاني ضمني أو مستلزم من الحوار ويرتبط بالقصد والسياق، إذ يعتبرهما ضرورين للوصول إلى المعنى، ولقد كان لهذه المفاهيم أثر كبير في صياغة ديكر و لنظرية الحجاج، إذ سيستثمر الفعل الكلامي غير المباشر ويصبح فعلاً حجاجياً بالضرورة، كما أن تقسيمه لهذا الأخير سيكون انطلاقاً من تقسيم غرايس، إضافة إلى أن ديكر و سيقدم قوانين للتخاطب بصورة جديدة انطلاقاً من قواعد المحادثة الغرايسية.

خلاصة لما سبق يمكن أن نقول إن اللغة حسب نظرية أفعال الكلام ليست أداة للتعبير عن الواقع أو مجرد وسيلة للتواصل والتخاطب فقط، وإنما أصبحت وسيلة للتأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني، فغايتها أصبحت الإقناع وهذا هو هدف الفعل الحجاجي، لذا عمل ديكر و على تطوير آراء كل من أوستين وسيرل وأضاف إلى الأفعال الكلامية فعل الحجاج، كما طور كذلك أفكار بول غرايس وقدم قوانين جديدة للتخاطب.

ثانياً: نظرية التلطف La Théorie de l'Enonciation :

¹ - بول غرايس: منطق المحادثة، ص 625.

تعد نظرية التلفظ من أهم النظريات التي اهتمت بمجال اللغة، ولقد ظهرت هذه النظرية مع إيميل بنفست، إذ أصبحت تهتم بفعل التلفظ وما يحيط به من سياقات، ولم تعد تهتم بدراسة بنية اللغة في حد ذاتها، وهذه النظرية لها أثر كبير على نظرية الحجاج في اللغة.

1. مفهوم التلفظ l'Enonciation :

تناول بنفست مفهوم التلفظ في كتابه مشكلات في الدروس اللسانية العامة بأنه: "هو الفعل الذاتي في استعمال اللغة، إنه فعل حيوي في إنتاج نص ما كمقابل للمفوض باعتباره الموضوع اللغوي المنجز والمتعلق والمستقل عن الذات الذي أنجزته وهكذا ينتج التلفظ دراسة الكلام ضمن مركزية نظرية التواصل ووظائف اللغة"¹، ثم يعرج قائلا: "إن العملية التلفظية هي حيث يوظف اللسان بواسطة فعل الاستعمال، وإن اللسان قبل الاستعمال لا يمثل إمكانية للسان"²، فالتلفظ مصطلح أصبح مستعملا في اللسانيات، ويمثل قطب العلاقة بين اللسان والعالم، وهو يسمح من جهة لتمثيل الوقائع في المفوض، ولكنه من جهة أخرى يمثل في حد ذاته واقعة وحدئا فريدا في الزمان والمكان، ويتمثل في أنه تشغيل اللسان بفعل فردي، في مقابل المفوض مقابلة الفعل المتميز عن منتوجه، إن اللغة بوصفها نظاما مجردا أو طاقة كامنة في ذهن الإنسان لا تتحول إلى كلام حقيقي، أو إلى نص أو خطاب إلا بواسطة عملية القول أو التلفظ وهي عملية فريدة من نوعها وتميز الفرد وحده وذلك في كل الظروف و الأحوال.

¹ -Emile Benveniste : problèmes de linguistique générale, Tome1, Gallimard, Paris 1966, p70 .

² - Ibid, pp 80-81.

لذلك يمكن تحديد التلفظ بالنسبة للغة بوصفه وحدات امتلاك اللغة، فالمتكلم يمتلك الجهاز الصوري للغة، ويعلن عن موقعه كمتكلم من خلال ضمائر المتكلم، ولكن بمجرد أن يقوم بذلك في الوقت ذاته بتتصيب الآخر أمامه أيا كانت درجة الحضور التي يخولها له¹، إن التلفظ هو نظرية تتناول بالدراسة بعض العناصر اللغوية التي لا تعرف دلالتها المرجعية إلا من خلال السياق، وتمثل الآلية وعملية تحول اللغة إلى خطاب، وتتحقق بتوافر ضمائر الشخص، التي تمكن المتكلم من إسناد اللغة لصالحه بمجرد نطقه بلفظة "أنا" وتتصيبه شخصا آخر أمامه يمثل مخاطبه²، لذلك يؤكد ديكرو أن "التلفظ هو فعل اللسان الذي ينجزه المتكلم"³ كما يذهب إلى أن "التلفظ هو الحدث التاريخي الذي يتكون من عبارة تم إنتاجها، أي من جملة تم إنجازها، ويمكن أن ندرسها باحثين عن الشروط الاجتماعية والنفسية التي تحدد هذا الإنتاج..، ولكن يمكننا أن ندرسها أيضا من الإشارات التي تصطنعها العبارة إزاء التلفظ، وهي إشارات تشكل جزءاً من معنى العبارة نفسه، وذلك بما أن كل اللغات تحتوي على كلمات والتي يقتضي تأويلها بالضرورة⁴، يعتبر المتكلم والسامع جزأين من الوضعية التلفظية، حيث يقيم المتكلم علاقة مع مخاطبه وكذلك مع ملفوظه، ويتجسد ذلك في الأحداث الكلامية والشيء الغالب في هذه الأحداث أنها تسمح للمتكلم بأن يخص نفسه بالحديث، لذلك فالتلفظ يهتم بالفعل الفردي للمتكلم وبظروف حدوث هذا الفعل.

¹ - ذهبية الحاج حمو: من اللسانيات إلى اللسانيات التداولية في إشكالية التحول والتطور، مقال ضمن كتاب: التداوليات وتحليل الخطاب، اشراف: حافظ اسماعيل علوي، كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2014، ص159.

² - ذهبية الحاج حمو: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة، الجزائر، ط1، 2012، ص 97.

³ - أوزفالد ديكرو وجان ماري سشايفر: القانون الموسوعي الجديد لعلم اللسان، ترجمة: منذر العياشي، المركز الثقافي العربي، المغرب، دط، دت، ص 648.

⁴ - المصدر نفسه، ص 646.

2. نقد بنفنست لدي سوسير:

لقد كانت الانتقادات التي قدمها بنفنست لدي سوسير نقطة البداية الأساسية التي انطلق منها ديكرو في نظريته للحجاج اللغوي، إذ تميزت الدراسات اللغوية التي قدمها دي سوسير Ferdinand de Saussure (1857-1913) بحصر وظيفة اللغة الأساسية في التواصل والاهتمام بدراسة اللغة كبنية أساسية، لذلك يقول ديكرو: "فسوسير يسمي القابل للملاحظة كلام (Parole) ويسمي النظام لسانا (Langue)، إن اختيار كلمة كلام، كثيرا ما يقصد بكلمة استعمال، أما اللسان فهو يتألف من سنن مقرر بوصفه توافقا بين الحقيقة الصوتية والحقيقة النفسية التي يعبر بهما ويتواصل"¹، اهتم دي سوسير بدراسة اللسان، باعتباره يشكل موضوعا أساسيا للدراسة العلمية الموضوعية، وأهمل الكلام باعتباره الجانب الفردي للاستعمال يتغير من فرد لآخر، كما أن وظيفة اللغة الأساسية حسبته هي التواصل والإخبار لأن التواصل هو عملية يتم فيها نقل المعلومات والأخبار بين مرسل ومرسل إليه، حيث يتولى الطرف الأول إمداد الطرف الثاني بمعرفة لم يكن يتوفر عليها من قبل، وبهذا الاعتبار لا يعود ممكنا الحديث عن التواصل في غير الحالة التي يتم فيها إيصال شيء ما، إذن فعل الإخبار هو الفعل الأساسي للغة حسب سوسير.

فالسانيات النبوية انطلقت من مسلمتين أساسيتين سمحتا بتحديد موضعها

تحديدا علميا هما:

¹ - أوزفالد ديكرو: التلفظ: تر: صابر الحباشة، ضمن كتاب لسانيات الخطاب، دار الحوار، سورية، ط 1، 2010، ص 23-24.

✘ استقلال الشكل بالنظر إلى المادة، أي الشكل اللغوي هو نظام من

الارتباطات الداخلية القائمة بذاتها.

✘ استقلالية اللغة عن الواقع، فالعلامة اللسانية لا تهدف إلى ربط عبارة

بشيء من الأشياء الموجودة في العالم، وإنما تقوم بربط الدال

بمدلوله¹، أي الاسم بمعناه.

وترتب عن هذين المسلمتين نتيجة أساسية تتمثل في جعل دراسة اللغة مستقلة تماما عن كل تفكير نفسي أو فلسفي، وعليه أصبحت كل القضايا التقليدية المرتبطة بعلاقة اللغة بالفكر، وكذلك قضية العلاقة بين اللغة والواقع قضايا غير علمية. وكان من نتائج هذا التصور البنيوي للغة إخراج كل الظواهر المتعلقة بالقول والخطاب من ميدان اللسانيات، وذلك من خلال المقابلة بين اللسان والكلام، وهذا ما تم رفضه من قبل إيميل بنفست *Émile Benveniste* (1902-1975) ²، وعليه يؤكد بنفست: "أن اللغة تعرض إمكانيات، تجعلها قادرة على أن تكون أداة تواصل، إنها تحتل بث ما نعهد به إليها: أمرا، سؤالا، إعلانا، وهي تثير كل مرة في المخاطب سلوكا مناسباً"³. وعليه يقول ديكرو: "خلافاً للنظرية السوسيرية، لم يعد بالإمكان اعتبار قيمة الكلمة أو الجملة في النشاط اللغوي كنتيجة لمعنى سابق مسجل بمعزل عن كل استعمال، وذلك الكنز هو اللغة"⁴، فالجانب الاستعمالي أصبح ضرورياً وهو يشير إلى البعد التداولي من الظاهرة اللغوية،

¹ - جاك موشلارو آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص 85.

² - إيميل بنفست: لساني فرنسي، اهتم بالنحو المقارن، ناقش بعض نظريات دي سوسير من أهم مؤلفاته: مسائل في اللسانيات العامة. (ينظر: نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، ط1، 2003، ص 85).

³ - إيميل بنفست: عن ذاتية اللغة، تر: صابر الحباشة، (مقال) ضمن كتاب تلوين الخطاب فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط1، 2007، ص 105.

⁴ - أوزفالد ديكرو: نظرية الأفعال الكلامية، ص 152-153.

وعليه فالمنطلق اللساني منذ سوسير كان يستهدف وصف اللسان في ذاته ومن أجل ذاته، بمعزل عن كل العوامل التي تتعدى مجال التداول اللفظي.

إن كل واقعة من وقائع القول مرتبطة بإلقائه لا تتعلق باللسان وإنما بالكلام، وبما أن المقابلة بين اللسان والكلام توافق المقابلة بين النظام والاستعمال، لذلك يفترض الخطاب باعتباره تحيينا لوحدات لغوية داخل عملية التواصل أن يأخذ المرء بعين الاعتبار مقاييس خارجية عن اللسان تتفاعل معها الوحدات اللغوية، إذ أن الخطاب يقتضي أن يقوم الجانب غير اللغوي أي الخارجي وعلى الجانب اللغوي أي الداخلي¹، وهنا دحض بنفست التصور البنيوي للغة، وبين حقيقة العلاقة التي تربط بين البنية اللغوية، وعملية التلفظ .

لذلك يقول ديكرو: "إن اكتشاف الإنجازيات بين ضعف الثنائية السويسرية القاضية بوجوب وصف الملفوظات بمعزل عن فعل التلفظ، إذ نجد عند بعض اللغويين وعند بنفست خاصة ملاحظات ذات أهمية، متعلقة بالقدرة المرجعية التامة لبعض عبارات اللغة"²، وهنا وقف بنفست موقفا سلبيا من اللسانيات البنيوية التي جاء بها دي سوسير، كما أننا نجد بنفست يتفق مع نظرية أفعال الكلام في ربطه المعنى بالسياق والتداول، كما رفض فصل المدلولات أو المعاني عن فعل التلفظ، كما اهتم بجميع أنواع الجمل، فلم يقتصر في دراسته على الجمل الخبرية وحدها.

إن الدراسات اللغوية السابقة للسانيات التلفظ ونقصد هنا اللسانيات البنيوية، جعلت من اللغة موضوعها الخالص، لقد كانت تهتم بها لذاتها ولأجل ذاتها، ولكن مع تطور البحث قامت الحاجة إلى دراسة اللغة باعتبارها واقعة تحكمها حيوية

¹ - جاك موشلارو آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية ، ص86.

² - أوزفالد ديكرو: نظرية الأفعال الكلامية ، ص148.

الاستعمال، وهنا يظهر أثر بنفست على ديكرود، إذ اهتم هذا الأخير بفعل التلفظ واعتبر أن وظيفته تتمثل في الحجاج، يقول ديكرود في كتابه السلميات الحجاجية: "منذ ظهور مقالات بنفست حول الذاتية في اللغة، تطور اتجاه كامل ضمن الدلالات اللغوية، تهدف إلى إدراج عدة ظواهر مرتبطة بالتلفظ كانت مصنفة سابقا ضمن الكلام، وتتدرج الفرضيات المقدمة هنا في هذا الاتجاه من ملاحظة مبتدئة من أن كثير من أفعال التلفظ لها وظيفة حجاجية"¹، اهتم ديكرود بدراسة اللغة في استعمالها من خلال فعل التلفظ الذي يظهر من خلال الكلام، واعتبر أنه يحمل في طياته طابعا حجاجيا.

3. الذاتية في اللغة: La Subjectivité Dans Le Langage

بين بنفست الإمكانيات التي تمنحها لنا اللغة وذلك من خلال استعمالاتها، باهتمامه بمسألة الذاتية إذ يعتبر من الفلاسفة واللسانيين الأوائل الذين أثاروا هذه المسألة في مقال عنونه ب " الذاتية في اللغة "، وذلك من خلال توجيه اهتمامه بالانتقال من اللسان إلى الخطاب أو الكلام، كما أدرك أن الذاتية تحدد المرجعية الكلامية، فكانت الانطلاقة الأولى له من فكرة بنية الضمائر في اللغة، من خلال التمييز بين المتكلم والمخاطب والغائب، إذ لاحظ وجود هذه الفكرة في عدة لغات.

لقد بين بنفست عند تحليله لمقولة الشخص حدود المقابلة بين البيئة اللغوية وعملية إلقاء القول، إذ ميز بين الشخص الأول والثاني وهو ما يصطلح عليه بضمائر الحضور وبين الشخص الثالث أو ما يسمى بضمير الغائب، وعليه يصرح بقوله: "إن النظرية اللسانية في الضمير المتصل بالفعل لا يمكن أن تبنى إلا على أساس التقابلات التي تميز الشخص بعضها من بعض، وهي ستختزل كلها في

¹ - أوزفالد ديكرود: السلميات الحجاجية، ترجمة: أبو بكر العزاوي، مطبعة وراقة بلال، المغرب، ط1، 2020، ص55.

بنية هذه التقابلات، ويمكن من أجل استخراج هذه البنية، الانطلاق من التعريفات التي استخدمها النحاة العرب، فالشخص الأول عندهم هو المتكلم أي من " من يتكلم " والثاني المخاطب أي من يتجه إليه بالخطاب، ولكن الثالث هو الغائب"¹، لذلك يؤكد ديكرو أن: "بنفست يرتكز على أمر متعارف عليه، وهو أن ضمائر المتكلم والمخاطب تصلح على التوالي، لتحديد الكائن الذي بصدد الكلام، والكائن الذي يكلم، وينتج عن ذلك أننا باستعمالنا أحد الضمائر، إنما نحيل دائماً على كلامه الخاص بإلحاح من المخاطب الذي استعمل ذلك الضمير في نطاقه"²، وعليه أصبحت الذاتية هي الميزة الجوهرية للغة، فلا يمكن تصور لغة دون الفاعل المتكلم في مقابل المخاطب، وهذا ما أكدته بنفست بقوله: " ينتمي الزوج "أنا - أنت " في ذاته تعالق خاص سنسميه تعالق الذاتية، إن ما يميز " أنا " من " أنت"، هو في المقام الأول حقيقة أنه يكون أنا داخلياً بالنسبة إلى القول وخارجياً بالنسبة إلى " أنت"، ولكنه خارجي على صورة لا تلغي حقيقة الحوار الإنسانية"³، ثم يتساءل بنفست: "فعلام يحيل " أنا " إذن؟ إنه يحيل على أمر متفرد، لساني بصفة خاصة: أنا يحيل على عمل خطابي، والعمل الخطابي هو الذي يعين المتكلم به، إنه لفظ لا يتحدد إلا فيما نسميه وضعا خطابياً، وهو لفظ ليست له من إحالة إلا راهنيتها، والواقع الذي يتجه إليه هو واقع الخطاب"⁴، إن "أنا" تعين المتكلم في القسم الخطابي المتكلم بوصفه ذاتاً، و بذلك يصبح اعتبار أن أساس الذاتية يقع في

¹ - إميل بنفست: بنية علاقات الشخص في نظام الفعل، ترجمة: منصور الميغري، مقال مترجم ضمن كتاب: إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن 20، إشراف وتنسيق: عزالدين مجدوب، بيت الحكمة، تونس، ط1، 2012، ص 534.

² - أوزفالد ديكرو: التلغظ، ص 24.

³ - إميل بنفست، بنية علاقات الشخص في نظام الفعل، ص 542.

⁴ - إميل بنفست، عن الذاتية في اللغة، ص 140.

ممارسة اللسان حرفياً، فلا نستطيع معرفة هوية الذات إلا من خلال ما تعطيه الذات عن نفسها بنفسها.

أعطى بنفسه أهمية كبيرة للجانب الاستعمالي في اللغة، «فاللغة إذن هي إمكان الذاتية بحيث أنها تحتوي دائماً أشكالاً لسانية تناسب التعبير عنها و الخطاب هو الذي يسبب انبثاق الذاتية من جهة كونه يتكون من أوضاع خفية، إن اللغة تقترح بوجه من الوجوه أشكالاً فارغة مناسبة لكل متكلم يمارس الخطاب، يعلقها بشخصه معرفاً نفسه بوصفه أنا ومعرفاً شريكاً له في الوقت ذاته بوصفه " أنت" وهكذا فإن الوضع الخطابي يشتمل جميع المعطيات التي تحدد الذات"¹، وعليه يمكن القول أن بنفسه رفض فكرة انفصال اللغة عن استعمالها، وبين طبيعة العلاقة التي تربط بينهما وذلك من خلال معالجته لفكرة الضمائر المنفصلة التي تحيل على الأفراد (أنا، انت، هو...) في اللغات الطبيعية، وتوصل إلى أن قيمتها لا تقتصر على أداء وظيفة اختصاريه، بمعنى تقوم مقام التصريح بالاسم، بل إن وظيفتها أكثر تعقيداً، فهي تفيد أن الناطق بها يتمسك بحقه في توظيف الكلمة نفسها التي يستعملها مخاطبه، من أجل التأكيد على التناظر والتكافؤ بين الذات المتخاطبة، والاعتراف المتبادل بين الأطراف المتواصلة، إن الضمائر المنفصلة حسب بنفسه تعبيراً عن التذوات داخل اللغة ذاتها، بمعنى عناصر تشير إلى عناصر تنتمي إلى البعد التداولي من الظاهرة اللغوية.

نخلص أن نظرية التلفظ عند بنفسه لا تهتم بدراسة اللغة في ذاتها، بل أصبحت تهتم بفعل التلفظ الذي يمثل الجانب الفردي للكلام وما يتعلق بهذا الفعل من الحدث نفسه ومن السياق المقامي له، كما اهتمت كذلك بدراسة الذاتية

¹ - المرجع نفسه، ص 142.

الموجودة في اللغة، حيث درست أهمية الضمائر في تجسيد هذا الجانب الذاتي للمتكلم، وقد كانت نظرية الحجاج في اللغة امتدادا لنظرية التلطف في فلسفة اللغة، لأن الكثير من أفعال التلطف تتميز بوظيفة حجاجية.

ثالثا: نظرية التعدد الصوتي: *La théorie de la Polyphonie*

تعد نظرية التعدد الصوتي من بين النظريات التي ساهمت كذلك في تطوير نظرية الحجاج في اللغة في مراحلها المتأخرة، إذ أدت إلى بلورة تصورات جديدة حول هذه النظرية، لهذا لا بد من الوقوف على أهم المفاهيم التي تعتمد عليها نظرية التعدد الصوتي.

1. مفهوم التعدد الصوتي :

1.1. لغة: ورد مفهوم *la polyphonie* في القاموس الفرنسي *La rousse* بأنه: "اسم مؤنث ينشق إلى كلمتين *Poly* وتعني التعدد و *Phonie* وتعني الصوت¹، فالبيوليفونية هي تعدد للأصوات.

¹ -La Rouse, Dictionnaire de français, 1ed , Paris, 1997, p326.

1.2. إصطلاحاً: يعتبر ميخائيل باختين* أول من بلور فكرة التعدد الصوتي في فلسفة اللغة، إذ عرّف في كتابه "شعرية دويسنفسكي**" البوليفونية بـ: "الرواية المتعددة الأصوات ذات طابع حوارى على نطاق واسع، وبين جميع عناصر البنية الروائية، توجد دائماً علاقات حوارية، أي أنّ هذه العناصر جرى وضع بعضها في مواجهة البعض الآخر، مثلما يحدث عند المزج بين مختلف الألحان في عمل موسيقي"¹، إذ يؤكد أن الروايات تحمل طابعاً صوتياً متعددًا، أي أنها مجموعة من الحوارات بين مختلف الأبطال والشخصيات تواجه بعضها البعض، تمتزج فيما بينها لتشكيل الرواية مثلما تمتزج الأصوات لتشكيل القطعة الموسيقية.

اعتبر باختين أن البوليفونية لا تشمل الروايات فقط بل هي موجودة في حياتنا اليومية مع علاقاتنا بالآخر، وهذا ما أكده بقوله: "إنها ظاهرة شاملة تقريباً، تتخلل كل الحديث البشري وكل علاقات وظواهر الحياة الإنسانية، تتخلل تقريباً كل ماله فكرة ومعنى"²، وعليه فالحوارات اليومية دائماً ما تحتوي على تعدد في الأصوات.

* **ميخائيل باختين:** (1895 . 1975) فيلسوف ولغوي ومنظر أدبي روسي ، ولد في مدينة أريول، درس فقه اللغة وتخرج عام 1918، وعمل في سلك التعليم، ومن أهم مؤلفاته: شعرية دويسنفسكي، الفن والمسؤولية.

** فيودور دويسنفسكي(1821-1881) هو روائي وكاتب قصص قصيرة وصحفي روسي. وهو واحد من أشهر الكتاب والمؤلفين حول العالم، رواياته تحوي فهماً عميقاً للنفس البشرية كما تقدم تحليلاً ثاقباً للحالة السياسية والاجتماعية والروحية لروسيا في القرن التاسع عشر، وتتعامل مع مجموعة متنوعة من المواضيع الفلسفية والدينية، وأكثر أعماله شهرة هي: الإخوة كارامازوف، والجريمة والعقاب، والأبله، والشياطين.

¹ - ميخائيل باختين: شعرية دويسنفسكي، ترجمة: الدكتور جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986، ص59.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2. الرواية الكلاسيكية والرواية متعددة الأصوات:

استعير مصطلح تعدد الأصوات من الموسيقى، فهو من المفاهيم المتداولة على نحو معتاد من أدبياتها، وجاء ترحيل المصطلح إلى حقل الدراسات الأدبية، ليحيل على تصور أساسي مفاده أن النصوص تحمل الكثير من وجهات النظر المختلفة، ويستطيع الكاتب أن ينطق أصواتا عديدة خلال نصه¹، وهنا أعطى باختين في كتابه حول دويستفسكي معنى جديد للرواية، انطلاقا من دراسته للعلاقات المتبادلة بين المؤلف والبطل، إذ أصبحت الرواية تحمل حوارا داخليا منسجما.

اعتبر باختين أن دويستفسكي هو من أوجد هذا الصنف الجديد من الروايات إذ يقول: "إن دويستفسكي هو خالق رواية متعددة الأصوات، لقد أوجد صنفا روائيا جديدا بصورة جوهرية، ولهذا السبب بالذات فإن أعماله الإبداعية لا يمكن حشرها داخل أطر محددة من أي نوع، وهي لا تدعن لأي من تلك القوالب الأدبية التي وجدت عبر التاريخ والتي اعتدنا تطبيقها على مختلف ظواهر الرواية الأوروبية"²، إن هذا النوع من الرواية كما قدمه دويستفسكي جديد لأنه يحمل خصائص مختلفة عن الروايات السابقة، "ففي أعماله يظهر البطل الذي بنى صورته بطريقة تشبه بناء صوت المؤلف نفسه في رواية ذات نمط اعتيادي، إن كل كلمة يتلفظ بها البطل حول نفسه هو بالذات، وحول العالم تكون هي الأخرى كاملة الأهمية تماما مثل كلمة المؤلف الاعتيادية، إنها لا تخضع للصورة الموضوعية الخالصة بالبطل

¹ - باتريك شارودو ودومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، ص 432.

² - ميخائيل باختين: شعرية دويستفسكي، ص 11.

بوصفها سمة من سماته"¹، أي أن الرواية أصبحت تحمل عدة أصوات أي وجهات نظر متفاوتة فيما بينها كالقطعة الموسيقية يعلو أحيانا صوتٌ على آخر.

كما اشتهر باختين بتطويره لمفهوم الأصواتية والحوارية، فقد أكد في سياق حديثه عن الأدب الشعبي أو الكرنفالي مقابل ما يسميه بالأدب الكلاسيكي الدوغمائي، أن هناك العديد من النصوص وخاصة النصوص الأدبية لا يمكن مقاربتها بشكل ملائم إلا بأن نفترض تعدد الأصوات فيها، فكل نص إنما هو تأليف لكثرة من الأصوات تصدر عنه في آن واحد.² وهذا ما أكده ديكرو بقوله في كتابه القول والمقول: " يوجد حسب باختين صنف كامل من النصوص الأدبية، التي يجب أن نعترف في شأنها بأن فيها عديدا من الأصوات والأحداث بصفة متزامنة، دون أن يكون أحدهما غالبا على الأصوات الأخرى وحاكما فيها، ويتعلق الأمر بما يسميه الأدب الشعبي أو كذلك الكرنفالي، وبصفة أحيانا مقتّع، قاصدا بذلك أن المؤلف يتخذ فيه مجموعة من الألقنة المختلفة، وهذا في مقابل الأدب الكلاسيكي أو الدوغمائي"³، وفي هذا الصدد يقول باختين: "جميع عناصر البنية الروائية عند دويستفسكي ذات خصوصية كبيرة جدا فمهمتها بناء عالم متعدد الأصوات إلى جانب تحطيم الأشكال القائمة للرواية الأوروبية المونولوجية المتجانسة Homophone"⁴، وهكذا تتقابل الرواية البوليفونية مع الرواية المونولوجية القائمة على الصوت الواحد، وسيطرة السارد، والدفاع عن إيديولوجية البطل، كما أن الرواية البوليفونية تتميز بتعدد النصوص داخل النص الواحد، واستثمار الحوار

¹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - رشيد الراضي: المظاهر اللغوية للحجاج، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2017، ص ص146-147.

³ - أوزفالد ديكرو: القول والمقول، ترجمة: بسمة رحومة الشكلي، دار محمد علي، تونس، ط1، 2019، ص176.

⁴ - باختين: شعرية دويستفسكي، ص 12.

فيها، إن الخطاب في الرواية الكلاسيكية المنولوجية مجرد نسق مغلق تتحكم فيه سلطة الكلمة، انطلاقاً من سياقها الداخلي الذي يخضع للمعيارية الجاهزة، ولكن أصبح في الرواية المعاصرة المتعددة الأصوات ينظر إليه كامتدادٍ للخطابات السابقة واللاحقة في الوقت نفسه.

3. التعدد اللغوي Le Plurilinguisme :

اشتغل باختين أساساً بالمسائل اللسانية والأدبية، لكن مع ميله الظاهر إلى الأدب، فالمجال المفضل للحوارية عنده هو النص الأدبي، فقد أثار مسألة التعدد اللغوي في الرواية من خلال مسألة التكوثر اللغوي في مستوى اللغة، فاللغة الروائية تقدم صورة عن اللغة أكثر منه صورة عن الإنسان¹.

ألح وأكد باختين على دراسة النص الذي اعتبره الموضوع الأساسي في العلوم الإنسانية، إذ يصرح قائلاً: "هو الواقع الفعلي، واقع الفكر والتجارب، تتشكل بداخله كل هذه الميادين، فأين لا يوجد نص لا يوجد موضوع للبحث والتفكير"²، واعتمد باختين على اللغة في بناء نظريته حول الرواية، واعتبرها ليست نسقاً ثابتاً وجامداً فهي "التنوع الاجتماعي للغات وأحياناً للغات والأصوات الفردية تنوعاً منظماً أدبياً"³

إن المفهوم الذي يؤسس له باختين يتجاوز الرؤية التقليدية الذي يقوم بقطع الصلة بين الكلمة والكلمات الأخرى، ويكون مألها الجمود، إذ يؤكد هذا بقوله: "إن فلسفة اللغة والألسنية التي ولدت في مجرى الاتجاهات المركزة في حياة اللغة

¹ - آن ريبول وجاك موشار: القاموس الموسوعي للتداولية، ص 348.

² - Mikhaïl Bakhtine : Esthétique et Théorie du roman, Ed. Tel, Gallimard, Paris, 2004, p 331.

³ - ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1987، ص39.

ونشأت فيه، تجاهلت هذا التنوع الكلامي الحوارى المسجد للقوى النابذة في حياة اللغة، وكانت أعجز من أن تدرك الحوارية اللغوية التي شاعها وحكمها صراع وجهات النظر الاجتماعية وليس داخل اللغة ذاتها بين إرادات الأفراد أو التناقضات المنطقية¹، وعليه هذا التعدد تجسد في اللغة وفي الوعي الاجتماعى للأفراد، لهذا أعطى باختين للكلمة -كجزء أساسى من اللغة -معنى جديداً إذ يقول: "إن الكلمة تعيش خارج ذاتها في توجهها الحى إلى الموضوع، فإذا غفلنا عن هذا التوجه حتى النهاية لن يبقى بين أيدينا إلا جثة الكلمة عارية لا نستطيع أن نعرف منها شيئاً لا عن وضع الكلمة الاجتماعى، ولا عن مصير حياتها"²، فلا وجود لكلمة في ذاتها، بل هي مرتبطة بسياقاتها واستعمالاتها، فالكلمة تحمل دلالات ومعان تختلف باختلاف الإيديولوجيات والاستعمال الخاص بها، إن تعدد الكلمة يثبت بالضرورة فكرة التعدد اللغوى.

إن النصوص تنتمي إلى حوار مستمر يتكون من سلاسل سابقة لأخذ الكلمة، وسلاسل استباقية افتراضية لاحقة، ويمكن تلخيص مفهوم الحوارية حسب الطرح الباختينى بأنه: "كل خطاب، عن قصد أو غير قصد يقيم حواراً مع الخطابات السابقة له، التي تشترك معه في الموضوع نفسه، كما يقيم أيضاً حوارات مع الخطابات التي ستأتى، والتي يتنبأ بها ويحدث ردود فعلها"³، فالخطاب يكون ذاتياً وجماعياً، أي أنه يكون بين المتكلم والمتلقى والسياق، أي أنه "يولد داخل الحوار مثلما تولد إجابته الحيوية، ويتكون داخل فعل حوارى متبادل مع كلمة الآخر

¹ - ميخائيل باختين: الكلمة في الرواية، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، ط1، 1998، ص 25.

² - المرجع نفسه، ص11.

³ - تزفتان تودروف: ميخائيل باختين، المبدأ الحوارى، ترجمة: فخري صالح، دار الفاس، الأردن، ط2، 1996، ص16.

بداخل الموضوع، فالخطاب يفهم موضوعه بفضل الحوار¹، فلا وجود لخطاب خالص غير متأثر بالخطابات السابقة والخطابات اللاحقة، إن باختين كذلك انتقد لسانيات دي سوسير، بتجاوزه دراسة النظام المجرد للسان واهتم بمفهوم الكلام وبعده النفسي، فهو الجانب الاجتماعي للغة، كما اهتم كذلك بالسياق الذي ورد فيه النص.

نستنتج أن دراسة تعدد الأصوات عند باختين انطلقت من تحليل النصوص الروائية، ثم بيّن أنها ظاهرة عامة موجودة في جميع الأنواع الأخرى من النصوص انطلاقاً من أن كل نص يحمل في طياته المبدأ الحوارى، فكل نص هو في حوار مضمّر مستمر، كما أن كل كلمة لها علاقة بكلمات سابقة وأخرى لاحقة، وبالتالي هذا التعدد في الأصوات الموجود في النصوص والكلمات، يجعلنا نؤمن بتعدد المعاني حسب سياق كل نص وكل كلمة، وهذه النظرية كان لها الأثر المباشر في تغيير فكر ديكرو حول الحجاج في مراحل تطور نظريته المتأخرة، وهذا ما سنتناوله لاحقاً بالتفصيل.

¹ - ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ص 46.

المبحث الثاني: الحجاج ومنطق اللغة

أولاً: مفهوم الحجاج اللساني عند ديكرو

انبثقت نظرية الحجاج عند ديكرو من الآثار الواضحة لنظرية الأفعال اللغوية التي جاء بها أقطاب الفلسفة التحليلية وخاصة مؤسسها أوستين، ورأديها جون سيرل وبول غرايس، كما انبثقت من رحم الانتقادات الواضحة التي وجهها بنفست للنزعة الصورية في الدراسات اللغوية، حيث انطلقت نظرية الحجاج في اللغة من امكانات اللغات الطبيعية التي تكون لدى المتكلم، وذلك من أجل توجيه خطابه وجهة حجاجية، وهذه النظرية تنطلق من فكرة أساسية هي: "إننا نتكلم عامة بقصد التأثير"¹، إن الخلاصة التي انتهت إليها نظرية الأفعال الكلامية شكات المنطلق الأساسي في أعمال ديكرو لبناء نظريته الحجاجية، ويظهر ذلك بجلاء خصوصاً في التقسيم الذي وضعه أوستين للفعل اللغوي حيث قسمه إلى ثلاثة أقسام سبق وأن ذكرناها (الفعل الكلامي، الفعل التكلمي، الفعل التكليمي). لقد اعتبر ديكرو أن الملفوظ عموماً والملفوظ الحجاجي خصوصاً، ما هو إلا إنجاز لمظهر مخصوص من الأفعال الكلامية وهو الفعل التكلمي من حيث هو إنجاز قولي مصحوب بقصدية معينة، وهذا ما اصطلح عليه ديكرو بالقول، فالقول أو التلفظ إذن هو فعل يقوم به المتكلم فتعكس آثاره واضحة في المقول أو الملفوظ الذي ينتجه هذا الفعل، لذا يقول ديكرو: " القول منطبع في المقول"²، وهذه الفكرة كذلك استلهمها ديكرو من خلال أبحاث بنفست.

¹ - أبويكر العزاوي: الحجاج والمعنى الحجاجي، ضمن كتاب الحجاج مفهومه، مجالاته، ج1، تنسيق: حمو النقاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 2006، ص57.

² -Oswald Ducrot:le Dire et le dit, Les Éditions de Minuit, Paris, 1984, p. 8

إن أثر جون سيرل في نظرية الحجاج واضح أيضا بجلاء من خلال فعل القصدية، فالفعل الحجاجي (L'Acte argumentatif) لا بد أن ينطلق من قصد معين، لذلك فاللغة تؤدي وظيفة حجاجية وليست الوظيفة الإخبارية فقط، وهذا ما يؤكد على أن الحجاج مسجل في بنية اللغة ذاتها وليس مرتبطاً بالمحتوى الخبري للقول، لهذا يقول ديكرود: "إن التسلسلات الحجاجية في الخطاب ترتبط ببنية اللغة لا بمحتواها الخبري"¹، أي أنه يؤكد أن الجملة تحمل في طياتها قصدا حجاجيا وليس خبريا.

إن الحجاج اللغوي يرفض رفضا تاما إظهار معنى قول ما دون الرجوع إلى مقاصد التلفظ، فلا نصل إلى المعنى ما لم نهتم بمظاهر التلفظ لذلك يقول ديكرود: "وحسب هذه النظرية فإنه من المستحيل عزل جزء من المعنى، لم يكن مؤشرا له بواسطة الوظيفة التلفظية: إن فعل القول le dire مسجل في القول"²

لكن من جهة ثانية لاحظ ديكرود أن نظرية الفعل اللغوي عند أوستين و سيرل واجهتها عدة صعوبات، ومن بينها عدم كفاية التصنيفات المقترحة للأفعال اللغوية، وأضاف إليها الفعل الحجاجي، لذلك قام ديكرود بإعادة تعريف مفهوم الفعل التكليمي، إذ اعتبر أنه فعل حجاجي بالأساس، إذ عرفه كالتالي: "هو فعل لغوي موجه لإحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية، أي مجموعة من الحقوق والواجبات، وعليه ففعل الحجاج يلزم المخاطب بنمط من الاستنتاجات، لأنه الاتجاه الوحيد

¹ -Oswald Ducrot et Jaune – Claude Anscomber: argumentation dans la langue ,Mardaga, Belgique, 3 éd .1989, p 07 .

² -أوزفالد ديكرود: السلميات الحجاجية، ص 45

الذي يسير عليه الحوار، والقيمة الحجاجية لقول ما هي إلا نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي يجب على الخطاب أن يسلكها"¹.

يفرق ديكرو بين معنيين للحجاج هما: المعنى العادي والمعنى الفني.

1. المعنى العادي: يعني في هذا الإطار:

"طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع فيكون بذلك الخطاب ناجحا وفعالاً"²، كما تجدر الإشارة إلى أنه لا يجب إهمال السامع أو المتلقي المستهدف، لأن نجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه، زيادة على استثمار الجانب النفسي من أجل تحقيق التأثير المرغوب فيه، وهنا يظهر أثر بول غرايس على ديكرو الذي أكد أن السامع والمتلقي لابد أن يتعاونوا أثناء الحوار، كما أن هذا المعنى يتفق مع المعنى الذي قدمه بيرلمان للحجاج.

2. المعنى الفني :

يصرح ديكرو أن: "الكثير من الأفعال القولية لها وظيفة حجاجية تتمظهر في بنية الجمل، وتحمل الجمل مؤشرات تحدد قيمتها التداولية داخل البنية التركيبية، باستقلال عن المحتوى القضوي"³، فالحجاج عنده يتمثل في تحقيق عمليتين اثنتين هما فعل التصريح بالحجة من جهة، وفعل النتيجة من جهة أخرى، سواء كانت النتيجة مصرحا بها أو مفهومة من طرف ق1، علما أن ق1 تمثل حجة ينبغي أن

¹– Oswald Ducrot: Dire et Ne Pas Dire ,p286.

²– Oswald Ducrot et Jaune – Claude Anscomber: argumentation dans la langue,p1.

³–Ibid,p11.

تؤدي إلى ظهور ق2 هذا قولاً صريحاً لا ضمناً¹، وهذا هو المفهوم الجديد الذي أعطاه ديكرو للحجاج، إذن فالحجاج اللغوي هو عبارة عن خطاب يكون من طرف المتكلم، مشروط بطرح مجموعة من الحجج متعلقة بمجموعة من القضايا تؤدي في الأخير إلى التسليم بالنتائج المتوصل إليها، كما أنه مرتبط ببنية الجملة في حد ذاتها.

ومن الأمثلة التي قدمها ديكرو في هذا الصدد نجد: "إذا قلنا هيا بنا للنزهة لأن الطقس جميل"، أو قلنا "الطقس جميل فلنخرج للنزهة"، فتكون النتيجة ق1 "الطقس جميل"، والحجة ق2 "فلنخرج للنزهة"، فالنتيجة الضمنية غير مصرح بها هي ق2، شريطة أن يكون التوصل إلى هذه النتيجة سهلاً يسير المنال، ويتمثل ذلك في الحوار الآتي: السؤال: هل ترافقني لمشاهدة هذا الشريط السينمائي؟ الجواب: لقد شاهدته. فالجواب المصرح به: "لقد شاهدته" يعتبر دليلاً كافياً مؤدياً بالضرورة إلى الجواب الضمني لا². إن موضوع الحجاج عند ديكرو هو بيان قوة القول الحجاجية، التي تمثل مكوناً أساسياً لا ينفصل عن معناه، وهذا ما يجعل المتكلم أثناء كلامه يوجه قوله وجهة حجاجية.

وكما سبق الذكر أن ديكرو أضاف إلى نظرية الأفعال الكلامية فعلاً جديداً، وهو الفعل الحجاجي، وهذا الفعل بدوره ينقسم إلى قسمين هما: فعل الاقتضاء l'acte de présupposer، وفعل مضمّر l'acte de sous-entendu، وهما فعلا لغويان غير مباشرين، وفي هذا الصدد يقول ديكرو: "إن كل قول يحمل معنى صريحاً وآخر ضمناً، فالأول يتعلق بدلالة القول مستقلاً عن سياقه، أما

¹-Ibidem.

²- Oswald Ducrot et Jaune – Claude Anscomber: argumentation dans la langue, p163 .

الثاني فيرتبط بالظروف والأحوال والسياقات التي يتم بها نطق الملفوظ¹، ففعل الاقتضاء ليس رهين المخاطبة وظروف المقام وملابساته وتفاعل الذوات المتخاطبة أثناء استعمال اللغة، بل يمكن القول إنه مندرج في مستوى المكون اللغوي، فالمتكلم أثناء تقديمه لفعل الاقتضاء فإنه يسهل قبوله من طرف المخاطب لأنه شيء مشترك بينهما، وما يلاحظ أن فعل الاقتضاء مستوحى من المعنى الصريح للقول عند بول غرايس.

إن الاقتضاء هو قول مسجل في بنية اللغة يحدد عادة بواسطة اختباري النفي والاستفهام، ذلك أن النفي والاستفهام إن غيرا قوة الجملة الإنجازية فإنهما يحافظان على محتواها القضي².

ويمكن توضيح ذلك بالمثال التالي:

الإثبات: كف زيد عن التدخين

بتحويله إلى الاستفهام يصبح:

هل انقطع زيد عن التدخين؟

وبإدخال النفي عليه يصبح :

لم ينقطع زيد عن التدخين.

وهذا ما يجعلنا نستنتج أن زيد كان يدخن وهذا هو فعل الاقتضاء.

¹ - Ducrot Oswald. Présupposés et sous-entendus. In: Langue française. N°4, 1969. P32.

² - شكري المبخوث: نظرية الحجاج في اللغة، (مقال) ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، اشراف: حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، تونس، دط، دت، ص 372.

أما القسم الثاني من الفعل الحجاجي فهو الفعل المضمر فيؤكد ديكرو أنه: "ما يستنتج من الملفوظ، فهو حدث بلاغي مرتبط بمقام القول وسياقه، ويأتي دائما من قبيل لم قال المتكلم هذا القول؟ و ما الذي جعله يقوله؟"¹، فالقول المضمر يتعلق بمجهود المخاطب وقدرته على التأويل والفهم والاستنتاج، وهذا ما يسميه غرايس بالمعنى الضمني المستلزم عن الخطاب، فالقول المضمر من طبيعة غير لسانية، عكس المقترضى الذي هو مسجل في بنية اللغة ذاتها لأنه مكون لساني محض.

نخلص مما سبق أن ديكرو أضاف صنفا جديدا للأفعال الكلامية يتمثل في الفعل الحجاجي، إذ أكد أن جميع أفعال التلفظ تحمل طابعا حجاجيا، لذلك قسم هذا الفعل إلى قسمين هما: القسم الأول هو فعل الاقتضاء ويتعلق ببنية اللغة وهذا ما يتفق فيه ديكرو مع اللسانيات البنيوية في دراسة اللغة كبنية في حد ذاتها، كما استلهم ديكرو فكرة الاقتضاء من فكرة الاستلزام كما سبق وأن لاحظناها عند غرايس، أما القسم الثاني من الفعل الحجاجي هو الفعل المضمر ويتعلق بالمعنى الضمني للتلفظ وبفهم من سياق الكلام وظروف التلفظ، كما أعطى أهمية لقصدية المتلفظ.

إن اللغة عند ديكرو لم تعد وظيفتها تقتصر على الإخبار أي نقل المعلومات من متكلم إلى مستقبل، بل تعدت ذلك إلى البعد الحجاجي التأثيري الذي نستطيع من خلاله الإقناع، وعليه أصبحت الأقوال في تتابع مستمر فيكون بعضها حجة والآخر أصبح نتيجة، كما أصبح الحجاج كامنا في بنية اللغة الداخلية من جهة، ومن جهة أخرى نابعا من السلطة الخارجية التي يتطلبها الحجاج والتي تظهر من

¹ Ducrot Oswald: Présupposés et sous-entendus. In: Langue française. N°4, 1969. P35

خلال فرضها الاهتمام بسياق الكلام والظروف التي أنشأت هذا الفعل، لذلك جمع الحجاج بين التداولية كمبحث يهتم بالمجال الاستعمالي للكلام إضافة إلى اللسانيات التي تهتم ببنية اللغة في حد ذاتها، وعلى هذا الأساس سميت هذه المقاربة الحجاجية بالتداولية البنيوية، أو التداولية اللسانية، كما سميت بالحجاج اللساني أو الحجاج اللغوي.

ثانياً: الفرق بين الحجاج L'Argumentation والاستدلال La Démonstration:

ليتوضح مفهوم الحجاج أكثر عند ديكرود قام بالتمييز بين الحجاج والاستدلال وهذا ما يؤكد بقوله: "ينتمي كل من الاستدلال والحجاج إلى نظامين مختلفين تماماً، نظام نسميه عادة " المنطق" ونظام نسميه " الخطاب"¹، فالخطاب الطبيعي ليس خطابياً برهانياً بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو لا يقدم براهين وأدلة منطقية، ولا يقوم بمبادئ الاستنتاج المنطقي²، وهنا اعتبر ديكرود أن الحجاج ينتمي إلى اللغات الطبيعية أي اللغات العادية المتداولة وليست اللغات الصورية أو كما يسميها باللغات الإصطناعية.

إن البرهان المنطقي يجب أن يكون منفصلاً عن اللغات الطبيعية، وذلك من أجل تفادي الغموض والالتباس، فكانت جهود المناطقة تحاول ترميز مختلف قضايا البرهان رغم أنها أحياناً يتم التعبير عنها بلغة طبيعية³. وعليه فالبرهان المنطقي يمكن التعبير عنه باللغة العادية وكذلك بلغة الرموز.

إن الاستدلال يختلف عن الحجاج لأنه تدخل فيه اعتبارات أخرى تكون خارج الخطاب، فهو لا يقوم على الملفوظات ذاتها، بل على القضايا التي تمثلها هذه الملفوظات، أي على وقائع العلم وأحواله، وقد تم إفراغها في قضايا منطقية موضوعية، حقيقية أو مفترضة⁴ لذلك يقول ديكرود " لا يشكل الاستدلال كالمقياس مثلاً خطاباً بالمعنى القوي الذي أمنحه لهذا المصطلح، إن الأقوال التي يتكون منها استدلال ما، مستقل بعضها عن بعض بحيث أنه من المفترض، أن يعبر كل

¹ - ديكرود: السلمات الحجاجية ، ص47.

² - العزاوي أبويكر: اللغة والحجاج، ص ص 14-15.

³ - رشيد الراضي : المظاهر اللغوية للحجاج، ص ص 79_80.

⁴ - شكري المبخوث: نظرية الحجاج في اللغة، ص ص 362-363.

منها عن قضية معينة، ولذلك لا يكون تسلسل الأقوال في الاستدلال، مؤسساً على الأقوال نفسها، ولكن على القضايا التي تتضمنها، فإذا استنتجنا القول (أ) من القول (ب)، فلأنهما يعبران على التوالي عن وضعين (ص) و(س)، وأن وضع (س) تجعل وضع (ص) ضرورياً أو ممكناً¹، إذن فالاستدلال المنطقي يعبر عن قضية معينة نستنتج منها قضية أخرى حقيقية أو مفترضة.

وعلى العكس من ذلك نجد الحجاج مرتبطاً ببنية الخطاب من خلال ربط الحجة بالنتيجة والتي لا تخرج عن حيز الخطاب ونظامه، ولذلك يصرح ديكرو: "إن الوضع مختلف تماماً عندما يتعلق الأمر بالخطاب، فتسلسل الأقوال هنا له مصدر داخلي، إذ أنه مؤسس على طبيعة القول نفسه أو على الأفضل، على معناه وليس على وضع العالم الذي يحيل إليه"²، ومعنى هذا أن العلاقة الحجاجية التي نجدها في الخطاب مبنية على الملفوظات ذاتها ولا علاقة لها بالعالم الخارجي، أي أنها مبنية على فعل التلفظ الذي ينجزه المتكلم، وليس تصويراً للعالم كما هو في الاستدلال المنطقي.

ولكي يتوضح الفرق بينهما نأخذ المثالين التاليين:

كل التلاميذ حاضرون

محمد تلميذ

إذن محمد حاضر

إن استنتاج حضور محمد هو نتيجة حتمية وضرورية لأسباب منطقية، وهي أنه لا أحد يرفض القاعدة القائلة بأن الحكم إذا انطبق على الكل فإنه سينطبق على

¹ - أوزفالد ديكرو: السلمات الحجاجية، ص48.

² - المصدر نفسه، ص49.

كل أجزائه حتماً، كما أنه يستمد مشروعيته من خلال تطابق القضية التي يشير إليها مع العالم (التلاميذ، محمد، فعل الحضور، إسناده إليها)¹.

أما المثال الثاني:

لقد كانت التساقطات وافرة هذه السنة، وقد عمت جميع أرجاء البلاد، أبشر إذن بموسم فلاحى جيد، خصوصاً أن وزارة الفلاحة بدورها أكدت هذا الأمر².

إن النتيجة في هذا المثال لا تستنتج على نحو ضروري أي ليست حتمية، فليس هناك لزوم في الانتقال من المقدمات إلى النتيجة كما هو في المثال الأول، لكن الانتقال في المثال الثاني يتم بالأساس استناداً إلى مدلول الحجج المعروضة في هذا الملفوظ، فهذه الحجج تقدم لنا مبررات تجيز توقع نتيجة معينة كما في هذا المثال موسم فلاحى جيد، لكن هذه الحجج رغم تعلقها بوقائع في العالم إلا أن هذه الوقائع تتحول إلى ملفوظات وتلمح إلى فعل التلطف، أي مقاصد المتكلم وآرائه الخاصة، إذ تستمد منه قيمتها الحجاجية، ولا ترجع إلى المنطق الذي يحكم تأليف القضايا وترابطها، لذلك لا يمكن الاستغناء عن تحليل المضمون في تقدير قيمتها، يقول ديكرو " إن الموضوع المركزي في نظرية الحجاج هو كون معنى قول ما، يتضمن إشارة إلى تنتمه المحتملة، فمن الأساس بالنسبة إليه، أن يستدعي هذا النمط أو ذلك من المتواليات، وأن يفرض توجيه الخطاب الموالي في هذا الاتجاه أو ذلك، فإذا كان القول حجاجياً، فليس بموجب ما يقوله عن العالم فحسب، ولكن بما هو عليه، إذا نظرنا إليه في حد ذاته طبعاً"³، إن المثال الأول يتعلق بالبرهان أو القياس المنطقي، في حين أن المثال الثاني، فهو استدلال حجاجي، طبيعي غير

¹ - رشيد الراضي: المظاهر اللغوية للحجاج، ص 81

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - أوزفالد ديكرو: السلّمات الحجاجية، ص 49.

برهاني ومن هذا المنطلق يصرح ديكر ما يلي: "تتبع دراسة الحجاج إلى البحث عن "منطق اللغة"، أي قواعد داخلية للخطاب، تتحكم في تسلسله، وفي المقابل تتبع دراسة الاستدلالات، إلى مجموعة أخرى من الأبحاث، ممكنة ومشروعة أيضا تتعلق بموضوع "المنطق واللغة"¹، فالهدف من الحجاج هو البحث عن المنطق داخل اللغة بينما الاستدلال ينتمي إلى دراسة علاقة اللغة بالمنطق.

كما أنه في الاستدلال المنطقي تكفي مقدمة واحدة لإثبات نتيجة معينة، لكن في الملفوظ الحجاجي يعتبر تعدد الحجج ميزة أساسية له².

مثال:

- لقد تأخرت كثيرا ، لكنني مع ذلك سأحتسي معكم كوبا من الشاي.

إذا حللنا العبارة الآنف الذكر تحليلا منطقيًا يتبين لنا أنها تحتوي على تناقض، فنحن أمام احتمالين لا ثالث لهما، فالثالث دائما مرفوع وهذا استنادا إلى مبادئ العقل الأرسطية، فهذه العبارة تحتوي على تناقض حسب هذا المنطق لأن هناك احتمالين هما :

- الاحتمال الأول: هو أن المتكلم ليس لديه ما يكفي من الوقت، لذلك فهو لا يحتسي الشاي مع مخاطبيه.

وهذا يعني أن القضية الثانية كاذبة.

- الاحتمال الثاني: أن المتكلم لديه ما يكفي من الوقت ومن ثم سيحتسي الشاي معهم.

وهذا ما يستلزم أن القضية الأولى كاذبة.

¹- ديكر: السلمات الحجاجية ، ص52.

²- رشيد الراضي: المظاهر اللغوية للحجاج، ص82.

وهذا التحليل غير كاف ولا يصلح لهذا النوع من الملفوظات .

وإذا حللنا العبارة السابقة تحليلا حجاجيا فسنشرح ها كالتالي:

إن المتكلم في هذا الملفوظ أورد حجة هي: "لقد تأخرت كثيرا"، والتي من المفترض أن تساند وتؤيد النتيجة المضمرة "سأنصرف فورا"، لكن مع ذلك المتكلم يهونها حجاجيا، اعتمادا على الرابط الحجاجي "لكن"، متبوعا بالنتيجة: "سأحتسي معكم كوبا من الشاي"¹. إن هذا الوصف والتحليل يراعي معطيات السياق التداولي من جهة، والاستراتيجية التلفظية للمتكلم خصوصا ومقاصده المضمرة.

وخلافا لهذا اعتبر ديكرو أن التحليل المنطقي عاجز عن وصف هذا الملفوظ، لأن هناك مستوى آخر يتفاعل فيه في اللغة وهو المستوى التداولي، وهذا المستوى موصول بمقام الخطاب وأغراض المتكلم ومقاصده من جهة، ومن جهة أخرى انتظارات السامع، إضافة إلى المعارف المشتركة بين المتكلم والسامع، وتعتبر هذه المعطيات ضرورية لفهم الملفوظات فهما صحيحا ومكتملا²، ولذلك فالتحليل المنطقي عندما يغفل هذه الوقائع يظل عاجزا عن وصف وتفسير الظواهر المتفرعة عنها، ومن هنا يأتي التصور التداولي بمختلف اتجاهاته ليصح هذه النظرة الضيقة.

ولذلك يطلق ديكرو على الحجاج الخطابى اسم الحجاج داخل اللغة، وبعبارة أخرى الأمر هنا يتعلق بحجاج اعتبره ديكرو منطقا للكلام، بمعنى تلك القواعد الداخلية للخطاب التي تتحكم في ترابطه وتسلسله.³

¹ - رشيد الراضي: المبادئ النظرية والمنهجية للحجاجيات اللسانية، مجلة مؤمنون بلا حدود، الرباط، ص 14.

² - المرجع نفسه، ص 13.

³ - الحبيب أعرب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص 105.

إذن نخلص أن الفرق بين الحجاج والاستدلال، وهو أن الأول ينتمي إلى نظام الخطاب، مؤسس على بنية الأقوال اللغوية، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب، في حين أن الاستدلال ينتمي إلى المنطق، وبهذا المعنى تتصل النظرية الحجاجية ببلاغة المواضع الأرسطية أو الطوبيقا كما ترجمها العرب القدامى، وهي تقوم على حسن توظيف الأساليب المتعلقة بأهداف المتكلم، وبما يراه مناسباً للمقام من اختياره الحجج الفعالة والملائمة والتي تتضمن تأثيره في الجمهور المستهدف، وليست تلك الحجج من قبيل البرهنة المنطقية، بل هي تقوم على أدلة ظنية، ولها أهداف واقعية وكأمثلة على ذلك تأثير القاضي أثناء مرافعة ما، أو التأثير في الناخبين أثناء خطبة يلقيها المترشحون في الانتخابات، وهذا ما نجده في قول ديكرو: "ترتبط النظرية الحجاجية أيضاً ببلاغة المواضع الأرسطية، لقد وضع أرسطو لائحة مسارات تبدو استنتاجية دون أن تكون مطابقة لمعايير الاستدلال المنطقي، يتعلق الأمر بعلاقات موجودة بين الأقوال، علاقات يعتبرها الحس السليم لحقبة معينة محتملة، يمكن أن تؤثر على قضاياها"¹، وعليه ترتبط نظرية ديكرو ببلاغة أرسطو إضافة إلى تصورات بيرلمان حول الحجاج، إذ أن هدف الحجاج هو التأثير في الغير واستمالته.

كما أن العلاقات في هذه الأقوال ليست مبنية على أسس عقلانية خارجية، بل تبنى على الأقوال ذاتها إذ يصرح بقوله: "إن هذه العلاقات، ليست مؤسسة على عقلانية خارجية، فإنه يمكن اعتبارها تأسيسية بالنسبة للأقوال التي تربط بينها، تتحدد بعض الأقوال في مجتمع معين بما لها من سلطة معترف بها، لتوجهنا نحو

¹ - أوزفالد ديكرو : السلميات الحجاجية ، ص 50.

أقوال أخرى¹، كما أكد ديكرو على الاهتمام ببنية الجمل والأقوال أي ببنية التلغظات واعتبر أن لها طابعا توجيهيا.

نستنتج إذن أن الاستدلال المنطقي يختلف عن الخطاب الحجاجي، فالبرهان المنطقي هو استتباط يهدف إلى الاستدلال على مصداقية النتيجة أو كذبها، وذلك انطلاقا من مقدمات معينة، في حين الحجاج يراد به الإقناع والإثبات، كما أن البرهان المنطقي يكتفي بدليل واحد لتكون النتيجة صادقة أو كاذبة، إلا أن الاستدلال الحجاجي يتألف من عدد لا محدود من الحجج، فقد يكتفي الشخص بإيراد حجة واحدة أو عدة حجج، لذلك فالحجاج لا تلزم عنه النتيجة بصورة ضرورية مثل ما نجد في البرهان، كما أن البرهان يستعمل اللغة الاصطناعية، في حين الحجاج يعتمد على اللغة الطبيعية .

ثالثا: الفرق بين اللغة الطبيعية *La langue naturelle* واللغة الصورية *La langue formelle*

:formelle

لقد تناولنا فيما سبق الفرق بين الاستدلال المنطقي والفعل الحجاجي عند أوزفالد ديكرو، وتبين لنا أن الفعل الحجاجي يعتمد على اللغات الطبيعية ، بيد أن الاستدلال المنطقي يعتمد على اللغات الصورية ، لذلك يقول ديكرو: "لم يعد الأمر هنا متعلقا بدراسة داخلية للغة، ولكن بمواجهة بين اللغة الطبيعية، اللغات الإصطناعية التي سبق أن طورها علماء المنطق"²، إن الدراسات الصورية مختلفة عن الدراسات الحجاجية لذلك كل منهما يعتمد على لغة معينة.

¹ - أوزفالد ديكرو : السلميات الحجاجية ، ص 50.

² - المصدر نفسه ، ص 52.

إن الحجاج عند ديكرو ليس مجالاً تتفاعل فيه الأدلة، كما تتفاعل في النسق المنطقي، أي وفق قوانين صورية صارمة لأنه يعتمد على اللغة الطبيعية، وبالتالي فاستدلالات الحجاج، تتميز بالترجيح والاحتمال، وهذا الأمر لم يعتبره ديكرو مظهر نقص في هذه اللغة، بل على العكس من ذلك فهي تمنحه مرونة وقدرة على التغلغل في الواقع الإنساني.¹ ومن هنا نطرح السؤال التالي: ما الفرق بين اللغات الطبيعية واللغات الاصطناعية؟

إن المقارنة بين اللغة الطبيعية واللغة الاصطناعية نتج عنه جدل واسع بين المناطقة والفلاسفة اللغويين، و ترتب عن هذا الجدل موقفان متضاربان هما:

الموقف الأول: يُسَلَّم بأنه لا وجود لفرق بين هذين النمطين من اللغات، وهذا الموقف يمثلُه المنطقي ريتشارد مونتغيو*، حيث دافع في أبحاثه عن الفرضية التي تقول بعدم وجود اختلافات جوهرية بين اللغات الصورية واللغات الطبيعية، فاللغة الصورية تقتضي استحضار التعابير المستعارة من المنطق واستحضار التعابير الموجودة في اللغة الطبيعية، وهذا ما يثبت عدم وجود اختلاف بينهما². كما أن هذين النمطين من اللغات لهما خصائص متماثلة، إذ أنه بالإمكان أن ندرسهما بطريقة واحدة ومتماثلة، أي يمكن وصفهما بنفس الآليات والأدوات المعتمدة³، فاللغة الصورية نستعين بها لوصف اللغة الطبيعية، إذ يقول في كتابه الفلسفة

¹ - رشيد الراضي، المبادئ النظرية والمنهجية للحجاجيات اللسانية، ص 13.

* ريتشارد مونتغيو: Richard Montague (1930-1971) فيلسوف لغة أمريكي، انصبت أبحاثه واهتماماته على علاقة اللغة بالمنطق وعلى نظرية المجموعات، أسس لنهج منطقي يتعامل مع اللغة الطبيعية في محاولة لمعالجتها على نحو صوري، وهذا ما أصبح يعرف فيما بعد، بنحو مونتغيو، نال درجة الدكتوراه سنة 1957 بعنوان: اسهامات في الأسس المسلمانية لنظرية المجموعات. ينظر: www.wikipedia.org.

² Richard Montague: Formal Philosophy, Yale University Press, London, 1974, P188.

³ - أوبكر العزاوي: اللغة والمنطق مدخل نظري، طوب بريس، الرباط - المغرب، ط 1، 2014، ص 24.

الصورية:" أنا أرفض الزعم القائل بأن هناك فرق موجود بين اللغات الصورية واللغات الطبيعية"¹، وهذا الرأي يستند أساسا على المسلمة التي تعتبر الصورية المرجع الأساسي لكل الأبحاث العلمية، فهي أساس الضبط والدقة والموضوعية .

أما الموقف الثاني: فيدافع عن مسلمة الاختلاف والتباين بين اللغات الطبيعية واللغات الاصطناعية، وهذا هو الموقف الذي تبناه أوزفالد ديكرو وأكدده الفيلسوف اللغوي السويسري جان بليز غريز (Jean-Blaise Grize 1912-2013)، إذ يقول هذا الأخير: "من الضروري أن نأخذ على مجمل الجد حقيقة ما يسميه ديكرو منطق اللغة الذي لا يتطابق مع المنطق الرياضي، وهذا راجع أساسا إلى تميز اللغات الطبيعية عن اللغات الصورية"²، إذ قدم هذا الاتجاه مجموعة من الخصائص، لإظهار الاختلاف الموجود بين اللغات الطبيعية واللغات الاصطناعية نذكرها كالتالي:

خصائص اللغات الصورية:

- أنها وضعت من أجل تلبية الحاجات والضرورات العلمية وهناك طريقتان هما: الأكسيوماتيكية والحساب.
- كل ما ينتمي إلى اللغة الصورية له طابع مغلق.
- البرهنة الصورية هي مجرد حساب يمكن أن تقوم به الآلة، وليس استدلالا بالمعنى الدقيق للكلمة، وهذا ما يؤكد غياب الذات الفاعلة، فهي مستقلة عن الذات والمقام وغيرهما³.

¹ - Richard Montague : Formal Philosophy, P188 .

² -Grize Jean-Blaise: Logique et discours pratique. In: Communications, N 20, 1973, Le sociologique et le linguistique , p 95.

³ - حسان الباهي : المنطق واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 2000، ص72.

- موضوعات اللغة الصورية محددة بشكل مسبق منذ البداية.
- إن اللغات الصورية دوما في حاجة إلى اللغات الطبيعية.
- المعنى والدلالة شيء واحد.¹

أما خصائص اللغات الطبيعية فيمكن إيجازها كما يلي:

- اللغة الطبيعية تتجاوز إلى حد بعيد الفئات الشكلية التي درسها المناطق.
- تأخذ بالبيانات الظرفية والسياقية كأمر مسلم به.²
- أنها وسيلة لإبداع وتمثيل المعارف.
- أنها وسيلة للحوار بين المتخاطبين، بمعنى أن كل فعل لغوي هو حوار بين شخصين، لكل منهما وضع محدد، ودور معين، فالمتكلم في مقابل المخاطب.
- تعتبر ظاهرة اجتماعية فنفس الكلمات تختلف معانيها باختلاف المجتمعات والثقافات، ولا يمكن دراستها بالاستقلال عن الذات والمقام وعن زمان ومكان.
- هناك اختلاف بين المعنى و الدلالة .
- الموضوعات يتم انشاؤها بشكل متنامٍ وتدرجي.
- تتوفر اللغة الطبيعية على بنيات متعددة تجعلها تؤدي مجموعة من الوظائف التي تتفرد بها وبشكل يستلزم أساليب متعددة للفهم والتأويل،

¹- أوبكر العزاوي : اللغة والمنطق، ص ص26-27.

²- Grize Jean-Blaise : Logique et discours pratique. In: Communications, 20, 1973. Le sociologique et le linguistique. P97

خلفا للغة الصورية التي تعتمد فقط على ما هو ظاهري وصريح¹. ولذلك ظهرت الفلسفة اللغوية كرد فعل على الصعوبات التي واجهتها التجريبية المنطقية، وخاصة أثناء دعوتها لبناء لغات صورية أو اصطناعية، إذ يرى فلاسفة اللغة، أن اللغة العادية صالحة للتعبير والاستعمال، لكن بشرط أن تستعمل استعمالا صحيحا، والاستعمال الصحيح عندهم هو الاستعمال العادي.

ونتيجة لهذه الخلافات أقر ديكرو باستحالة رد اللغة الطبيعية إلى الدلالة التأويلية للأنساق الصورية، فمن الصعب في نظر ديكرو الاحاطة بكل المكونات التي توفرها اللغة الطبيعية باعتماد الأنساق الصورية، فلا يمكن لأي نسق صوري أن يمثل العملية المنطقية للغة الطبيعية²، إذ يقول: "يجب علينا التخلص من فكرة البحث عن علاقة المنطق باللغة واستبدالها بالبحث عن منطق للغة لأن هناك علاقة لغوية بحتة لكل كلمة وملفوظ"³، وعليه إن الفعل الحجاجي عند ديكرو هو علاقة بين حجة ونتيجة ومختلف عن عمل الاستدلال، فالمحاجة علاقة بين فعلين لغويين لا بين قضيتين، وهذه الخاصية هي التي تجعله مرتبطاً باللغة الطبيعية، وليس ناتجا عن منطق صوري.

إن اللغة الصورية تجسد في البرهان، في حين اللغة الطبيعية تبرز وتظهر في الحجاج وعليه فاللغة الصورية قابلة لأن توصف وصفا كاملا ودقيقا، بينما يصعب القيام بذلك فيما يخص اللغة الطبيعية، إن صورة ظواهر اللغة الطبيعية لا يضمن بالضرورة رفع الغموض والالتباس عن تعابيرها، وهذا الوضع يعود في

¹ - حسان الباهي: المنطق واللغة ، ص 72.

² - المرجع نفسه ، ص 74.

³ - Ducrot: Logique et linguistique. In: Langages, 1e année, n°2, 1966. p15.

أصله إلى طبيعة بنية هذه اللغة ذاتها، وكذا الآليات التي نوظفها في تمثيلها وبنائها¹. وعليه فاللغة الصورية لا تصلح للتحليل الحجاجي الذي يهتم بظروف المتكلم وسياقات الكلام، لذلك فاللغة الطبيعية هي من يزيل ويرفع الغموض في مجال الحجاج.

نستنتج مما سبق أن الغموض الدلالي للغة الطبيعية، إضافة إلى عدم التحديد الذي يطبعها ينتج عنه استحالة وصفها وتمثيلها بواسطة الأنساق الصورية، ذلك أن عملية فهم الخطاب الطبيعي تقتضي قراءات متعددة، ولذا لا بد من الانطلاق من منطق للغة يحاول استخراج صيغة معينة تأخذ بعين الاعتبار خصائص اللغة الطبيعية .

رابعاً: مقاربات المنطق واللغة

إنّ الاختلاف الموجود بين اللغات الصورية واللغات الطبيعية أدى بدوره إلى وجود اختلاف في العلاقات الموجودة بين المنطق واللغة، وهذا ما أدى بدوره إلى ظهور عدة مقاربات لتبين طبيعة العلاقة الموجودة بينهما نذكر أهمها:

1- المقاربة الاختزالية: *L'Approche Réductionniste*

وهذه المقاربة اعتبرت الرياضيات والمنطق النموذج الأعلى لكل العلوم، وعلّة ذلك أن الرياضيين يعتبرون أن النماذج الرياضية تتحقق بشكل كبير في جميع المجالات²، إذ تعتبر أن النسق المنطقي والرياضي هو الذي يشكل البنية العميقة لجميع اللغات بما فيها اللغة الطبيعية، لذلك فهي تقوم بإعادة تركيب

¹ - حسان الباهي: المنطق واللغة، ص ص 72 - 73.

² - Ducrot Oswald: Langue et pensée formelle. In: Langue française, n°12, 1971. Linguistique et mathématique. p3.

وتكوين المعطيات اللغوية انطلاقاً من نظرية منطقية ورياضية معينة، إذ تعمل على اختزال أو رد اللغة إلى النموذج المنطقي والرياضي.

إن هذه المقاربة هدفها جعل الظاهرة اللغوية موضوعية انطلاقاً مما يلي:

- اعتبار اللغة أداة صناعية يستخدمها اللساني في تنظيم الظاهر.
- أن الترميز فيها يساعد على استبعاد الغموض والالتباس.
- يجب وصفها بنية متأصلة في اللغة ذاتها¹.

وهذه المقاربة يمثلها منطقة بور رويال Port Royal* الذين يؤكدون أن القواعد المتكئة في بناء الأقوال في اللغات الطبيعية، تستجيب لضرورات الفكر المنطقي، وهذا الموقف يستوجب تصور أن كل الوحدات الدالة في اللغة تطابق عناصر ذهنية في المنطق، وعليه فالعلاقات داخل الجمل والأقوال هي نفسها القوانين المنطقية التي تحكم الربط بين العناصر الذهنية في حكم ما². إن هذه المقاربة تسلّم بأن اللغة الطبيعية يمكن اختزالها في النموذج المنطقي و الرياضي.

يرى ديكر أن المقاربة الاختزالية تبنت هذا الموقف انطلاقاً من تصورهما لنمط العلاقة بين اللغة والمنطق، حيث اعتبروا اللغة تعبيراً عن الفكر وتمثيلاً له، بل هي صورة له فتتظيم الجملة هو تنظيم الفكرة وهو صورة لها، والجملة تشبه الفكرة المعبر عنها، وهي لوحة مصغرة لها، ولذلك يقول ديكر " إن النزعة

¹ - حسان الباهي: المنطق واللغة ، ص48.

* جماعة بورت رويال: ينتمون إلى حركة دينية اجتماعية ، تقوم على أساس تعاليم اللاهوتي كورنيليس جانسين، وقد كانت بورت رويال مركزاً كبيراً لحركة التنوير في فرنسا في القرن 17، أهم كتبهم : " المنطق الشهير " من تأليف أرنوبير نيكول ، حيث كتب على نمط المذهب العقلي الديكارتي ، واحتوى على تصنيف مفصل للقضايا. (ينظر: روزنتال يودين: الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، مراجعة: صادق جلال العظم وجورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، دط ، دت ، ص207).

² - أبويكر العزاوي : اللغة والمنطق، ص 10.

الاختزالية تسعى إلى اختزال اللغة في الرياضيات والمنطق وهذه المحاولة قامت بها جماعة بور رويال، حيث استخدموا المنطق في اللغة، ونحن نرفض هذه المحاولة التي تجعل من اللغة مضبوطة منطقياً، ونستدل في ذلك بحجتين الأولى أن للغة طبيعتها الخاصة، والحجة الثانية أن اللغة ليست لها وظيفة واحدة هي المنطقية وإنما هناك وظائف أخرى¹.

بين ديكرو رفضه لهذه المقاربة فأعطى لنا مثالا بالرابط اللغوي "إذا" والذي يقابله بالفرنسية "Si" من خلال مقارنته بالرابط المنطقي "الاستلزام"، وسيتوضح الفرق من خلال المثال التالي:

إذا نزل المطر فالأرض مبللة.

إن هذا المثال مماثل للاستلزام المنطقي، بدليل أنه يقبل أن نطبق عليه عكس النقيض، والذي مفاده: "نفي التالي يستلزم عنه نفي المقدم"، ويرمز له بـ:
إذا "أ" فإن "ب".

لكن: لا "ب" إذن لا "أ".

إذا طبقنا قانون عكس النقيض على المثال السابق نجد ما يلي:

إذا لم تكن الأرض مبللة فإن المطر لم ينزل.²

لكن في الواقع هذا الرابط اللغوي "إذا" لا يحمل القيمة المنطقية ذاتها ولا يخضع لقانون عكس النقيض، وكدليل على هذا نأخذ المثال الثاني:

إذا كنت جائعاً فالطعام على المائدة .

¹ -Oswald Ducrot : Langue et pensée formelle, p 04.

² - أبو بكر العزاوي: المنطق واللغة، ص ص14-15.

إذا حضر عمر، فلن استقبله.

إن الرابط "إذا" الموجود في المثالين السابقين، لا يتضمن القيمة المنطقية المتضمنة في الرابط المنطقي الاستلزام "<" الذي ينتمي إلى منطق القضايا، فالمثالان المذكوران أنفاً، لا يقبلان عكس النقيض، فلا يمكن أن نقول:

إذا لم يكن الطعام على المائدة، فلأنك لست جائعاً.

و إذا لم تكن جائعاً، فالطعام لا يوجد على المائدة.

كما أنه لا يمكن القول اطلاقاً:

إذا لم أستقبل زيداً، فلأنه حضر.

إذا استقبلت زيداً فلأنه لم يحضر.

وعليه فالرابط اللغوي "إذا" لا يؤدي وظيفة واحدة فقط تتمثل في الاستلزام المنطقي فقط، بل له وظائف أخرى تتمثل في الربط بين بنيات الخطاب، ومعناه يكون ضمن سياق التخاطب، لذلك يؤكد ديكرو أنه: "إذا ما أردنا تطبيق قوانين الاستدلال المنطقي على عبارات اللغة الطبيعية سنجد نتائج متناقضة"¹

إن المقاربة الاختزالية تميز بين صنفين أو فئتين من أقوال اللغة الطبيعية، الأولى هي الأقوال المركزية الأساسية، وهي التي تستجيب لمتعضيات الفكر المنطقي، أما الثانية فهي الأقوال الهامشية أو الثانوية والتي هي لا منطقية، وهذا ما يؤدي بهم إلى التمييز بين أصناف الروابط اللغوية والبحث عن ما يطابقها في المنطق²، فمثلاً الرابط "إذا"، يؤدي عدة وظائف تعتبر هامشية والوظيفة الأساسية

¹- Ducrot : Quelques « illogismes » du langage. In: Langages, 1e année, n°3, 1966. p128.

²- أبو بكر العزاوي: اللغة والمنطق، ص 17

له هي الاستلزام، أي أن هذه المقاربة تقوم باختزال الرابط اللغوي في الرابط المنطقي وتتجاهل الوظائف الأخرى لهذا الرابط.

يرى ديكرو أن المقاربة الاختزالية تهدف إلى جعل النسق الرياضي والمنطقي النموذج العميق لبنية اللغة وهذا ما يؤثر سلبا عليها، إذ يؤدي إلى وصف الحقائق اللغوية وفق مخططات محددة مسبقا، وهذا بدوره ما يؤدي إلى تزييفها، لذلك يقول: "نحن نرفض إضفاء الصورية على الحقائق اللغوية"¹.

إن الأنساق الصورية عاجزة عن تمثيل الخطاب الطبيعي الذي يحتل وضعا متميزا بالنسبة لقضايا المنطق، في الوقت الذي تجد فيه المنطق يفرغ قضاياها من كل محتوى، نجد الخطاب الطبيعي يستدعي استحضار كل الاعتبارات الممكنة، لذلك لا يمكن وصف الظواهر اللغوية الطبيعية باتخاذ الأنساق الصورية²، وفي هذا الصدد يقول ديكرو: "تتكون اللغة بشكل غير قابل للاختزال، من قاموس كامل للعلاقات البيّناتية، ككل مجموعة من الأدوار التي يمكن للمتحدث أن يختارها لنفسه ويفرضها على المخاطب، كما أنها لا تختزل وظيفتها في نقل المعلومات، إن اللغة لم تعد المكان الذي يلتقي فيه الأفراد، لكنها أصبحت تفرض أشكالا محددة جيدا لهذا الالتقاء، فلم تعد مجرد شرط من شروط الحياة الاجتماعية بل أصبحت طريقة للحياة الاجتماعية"³، وعليه رفض ديكرو رفضا قاطعا اختزال اللغة في

¹– Oswald Ducrot: Pensée et logique formelle, p4.

²– حسان الباهي: المنطق واللغة، ص 67

³– Oswald Ducrot : Dire et Ne Pas Dire ,p4.

النسق المنطقي الذي يهمل السياق والقصد، لذلك يقول: "من المستحيل ردّ و اختزال اللغة الطبيعية في اللغة الاصطناعية"¹.

أكد ديكرو أن اللغة عدة وظائف وهذا ما يستلزم عدم حصرها في الجانب المنطقي وحده، يقول ديكرو: "اللغة عدة وظائف، فليست الوظيفة المنطقية هي الوحيدة، ففعل التلطف يؤدي وظائف أخرى لا تظهر في الملفوظ مرتبطة بالسياق، تعتمد على موقف التحدث، وهي ما يسميها أوستين الفعل التكليمي لها علاقة بالحجاج كالوعد، الأمر، والقواعد التي تحكم هذه الأفعال ليست لها علاقة بالمنطق باعتباره فن التفكير"²، كما أنه رفض هذه المقاربة التي اختزلت وظيفة اللغة في الوظيفة المنطقية، بل أصبح فعل التلطف أو فعل القول ينجز أفعالاً حجاجية، لذلك أصبحت وظيفة اللغة حجاجية بالأساس.

يؤكد ديكرو أن محاولة بعض المناطق إلى ترجمة اللغة الطبيعية في عبارات واضحة تماماً بردها إلى اللغة المنطقية، من خلال وضع لغات اصطناعية مكافئة لها، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل، لأنه من المستحيل الحديث عن بنية نهائية وثابتة للغة الاصطناعية نعبّر بها عن اللغة الطبيعية³، ولذلك لا يمكن اختزال اللغة الطبيعية في النموذج المنطقي والرياضي، لذلك يجب البحث عن نموذج آخر.

2- مقارنة منطق اللغة:

يرى ديكرو أنه بدل أن تختزل اللغة الطبيعية في هذا النموذج المنطقي، أو ذاك النسق الرياضي، فإننا نقوم بإجراء مقابلة أو مقارنة بين النسق المنطقي

¹ -Ibid, p50.

² Oswald Ducrot, Langue et pensée formelle, p5.

³ - Ducrot : Quelques « illogismes » du langage, P126

والرياضي والمعطيات اللغوية¹، وهذه المقاربة سماها ديكرو منطق اللغة، وهذا ما أكده ديكرو بقوله: "بمجرد التخلص من فكرة إيجاد علاقة بين المنطق واللغة، يبقى من الممكن إيجاد منطق للغة"²، حيث تقوم على مبدأ أساسي وهو أن اللغة منطقتها الخاص الذي يختلف عن المنطق الصوري الذي تحكمه ثنائية الصدق والكذب.

وليؤكد ديكرو موقفه قام بتحديد أهم الفروقات بين الروابط اللغوية والروابط المنطقية:

في المنطق نجد رابطاً واحداً فقط لإفادة الربط هو الوصل، ونفس الأمر بالنسبة للفصل، وهناك رابط وحيد للاستلزام وكذلك للنفي، فالروابط المنطقية تتميز بالمحدودية، أما الروابط اللغوية فالوصل فيها يمكن أن نعبر عنه بأدوات عديدة منها: الواو، حتى، الفاء، ثم، بل، لكن.....الخ، أما الفصل فيمكن التعبير عنه بواسطة روابط لغوية مختلفة مثل: أو، إما.....وغير ذلك.

فالروابط اللغوية متعددة ومختلفة فقد تكون:

- أدوات وحروف عطف مثل: الواو، الفاء، أو، لكن، بل .
- الظروف: طبعاً، بالتأكيد، دائماً، هكذا، أخيراً.
- أدوات التبعية والتعليق: بما أن، لأن، إذا.³

وقد اعتبر العزاوي أن هذا الموقف هو أحد الاجتهادات الأصيلة في أبحاث ديكرو فمن خلال المقارنة التي أجراها ديكرو خلص أن وظيفة اللغة ليست منطقية

¹ - نقلا عن: أبو بكر العزاوي: اللغة والمنطق، ص18.

² Ducrot : logique et linguistique, p13.

³ - أبو بكر العزاوي: اللغة والمنطق، ص 53.

فقط وإنما تحكمها وظائف أخرى متعددة: كالوظيفة التواصلية، النفسية، الاجتماعية و الحجاجية¹.

إذن اعتبر ديكرو أن الوظيفة المنطقية للغة مهمة، لكن لا يجب اعتبارها الوظيفة الوحيدة والأساسية والمركزية لها، كما أن ديكرو رفض أن تكون بنية اللغة منطقية والمنطق المشار إليه هنا هو المنطق الصوري أو الرياضي، فخصائص اللغات الطبيعية تختلف عن خصائص اللغات الصورية، إذ يؤكد ذلك بقوله: "اللغة الطبيعية تؤدي إلى التعرف على أكبر عدد ممكن من النماذج لأن هناك سياقات مختلفة، أما اللغات المنطقية تتطلب سوى عدد قليل من السياقات"²، ثم يعرج قائلاً: "لا يجب تحليل اللغة الطبيعية وإرجاعها إلى المنطق، لقد استنفدت اللغة الاصطناعية إمكانياتها، لذلك يجب الالتزام بتحليل أعمق للغة الطبيعية"³، ونتيجة للتعدد الموجود في الروابط اللغوية والتداولية واختلافها عن الروابط المنطقية، إضافة إلى اختلاف سياقات استعمال اللغة، دعت الضرورة إلى تأسيس منطق خاص باللغة يختلف عن المنطق الصوري سماه ديكرو "منطق اللغة" يراعي خصوصية الظاهرة اللغوية من جهة والسياق التداولي للمتلفظ من جهة أخرى، وهذا الموقف الذي اتخذه ديكرو من الدراسات اللغوية والمنطقية السابقة، جعلته يبني نظرية جديدة في فلسفة اللغة سماها الحجاج في اللغة أو التداولية المدمجة، مبينا القوانين اللغوية التي تحكمها.

أكد ديكرو أن نظرية الحجاج في اللغة تتعلق بالخطاب البنيوي المثالي الذي يهتم بالقوانين التي تتحكم في الخطاب أو ما يعرف بالتداولية المدمجة لهذا يقول:

¹ - المرجع نفسه، ص21.

² - Ducrot : Quelques « illogismes » du langage, P129

³ - Ibid, p127.

وهنا ترتبط النظرية الحجاجية بما أسمته بنيوية الخطاب المثالي، والتي بموجبها، فإن كل وحدة لغوية، تستمد حقيقتها من الخطاب الذي تتموقع فيه، وليس من الخطاب الذي أدرجت فيه بشكل تجريبي، ولكن من الخطاب الذي تفرضه أو تتطلبه، وهذه المطالبة هي التي تكون الوحدة¹.

إن منطق اللغة له عدة مظاهر منها وجود علاقات لغوية بحتة بين الأقوال، قابلة لأن توصف وصفا نسقيا، وهذه العلاقات لا توجد في الخطاب بمحض الصدفة، فهذا المنطق نجده في بنية القول نفسه²، لهذا يقول ديكرو: "إن الموضوع المركزي في نظرية الحجاج هو كون معنى قول ما، يتضمن إشارة إلى تتمته المحتملة، فمن الأساس بالنسبة إليه، أن يستدعي هذا النمط أو ذلك من المتواليات، وأن يفرض توجيه الخطاب الموالي في هذا الاتجاه أو ذلك، فإذا كان القول حجاجيا، فليس بموجب ما يقوله عن العالم فحسب ولكن بما هو عليه³، وعليه فالحجاج متضمن في بنية اللغة كما يتعلق بسياقها.

3. أسس منطق اللغة :

-إنه منطق يقتضي وجود الذات المتكلمة الفاعلة، وهذا ما نجده غائبا في النزعات الصورية.

-إنه منطق للموضوعات والأشياء عكس موضوعات المنطق التي قد تكون فارغة أو محددة منذ البداية، إذ أن موضوعات اللغة الطبيعية تختلف فيما بينها، إذ أن كل موضوع له خصائصه ومميزاته.

¹ - أوزفالد ديكرو: السلطات الحجاجية، ص 50.

² - حسان الباهي: المنطق واللغة، ص 33.

³ - أوزفالد ديكرو: السلطات الحجاجية، ص 49.

-إنه منطق للحجاج¹. إن هذا المنطق مختلف عن المنطق الصوري يتعلق باللغة الطبيعية ويصلح للحجاج.

نستنتج أن ديكر و أضاف للأفعال الكلامية فعلا جديدا يتمثل في الفعل الحجاجي، وبين أن له معنيين الأول بيّنه من خلال هدفه ويتمثل في استمالة المتلقي والتأثير فيه، والمعنى الثاني بين فيه أن الفعل الحجاجي مجموعة من المتواليات بعضها حجج تهدف للوصول إلى نتائج، كما بيّن أنه ينقسم إلى المقتضى وهو ما يوجد في بنية اللغة والمضمر ما يفهم من سياق الكلام، كما ميز ديكر و بين الفعل الحجاجي وبين البرهان أو الاستدلال المنطقي، فكل منهما مجاله الخاص، وبذلك لم يختزل الحجاج في النموذج المنطقي وقدم منطقا جديدا له هو منطق اللغة أو ما سماه ديكر و بالتداولية المدمجة.

¹ - أبو بكر العزاوي: اللغة والمنطق، ص ص31-32.

نتائج الفصل:

- من خلال ماسبق نستنتج أن نظرية الحجاج اللغوي لديكرو لم تبدأ من عدم، بل إن لها أصولاً ساهمت في بلورتها، إذ انبثقت من نظرية أفعال الكلام، إضافة إلى أفكار بنفست حول التلفظ والذاتية في اللغة، كما استلهم أفكاره من نظرية تعدد الأصوات .

- ظهرت نظرية الحجاج في اللغة عند ديكرو نتيجة تأثرها بما قدمته نظرية أفعال الكلام خصوصاً مع رائديها أوستين وسيرل وغرايس، إذ استلهم مفهوم الفعل التكملي كما طرحه أوستين، واهتم بفكرة القصدية كما قدمها سيرل، كما اهتم بمبادئ الحوار عند بول غرايس، واعتبر ديكرو أن الفعل الحجاجي قصدي بالأساس، كما تأثر بمفهوم التلفظ من خلال الأعمال التي قدمها بنفست.

- من بين النظريات التي كان لها أثر مباشر في تطوير نظرية الحجاج في اللغة، نجد نظرية تعدد الأصوات كما أسسها ميخائيل باختين التي آمنت بالتعدد الصوتي في الرواية، فكل النصوص تحمل تعدداً في الأصوات، حتى إن الكلمة في حد ذاتها لا تحمل معنى واحداً في ذاته، بل يتغير معناها بتغير السياقات.

- أضاف ديكرو الوظيفة الحجاجية واعتبرها وظيفة جوهرية في اللغة، وأضاف صنف جديد للأفعال الكلامية وهو الفعل الحجاجي.

- ميز ديكرو بين مفهوم الاستدلال ومفهوم الحجاج وبين أنهما ينتميان إلى مجالين مختلفين الأول مجال المنطق، والثاني مجال الخطاب، وعلى هذا الأساس رفض اختزال هذا المجال في النموذج المنطقي الرياضي الصوري وأكد على ضرورة البحث عن منطق جديد يدرس الحجاج ويتمثل في منطق اللغة أو ما سماه بالتداولية المدمجة.

الفصل الثالث

آليات الحجاج اللغوي

المبحث الأول : التداولية المدمجة ونظرية السلالم الحجاجية

المبحث الثاني: نظرية المواضع ونظرية التعدد الصوتي

تمهيد:

تعد نظرية الحجاج اللغوي التي جاء بها أوزفالد ديكر و نظرية جديدة في مجال اللسانيات، ظهرت من داخل نظرية الأفعال اللغوية لأوستين وسيرل وغرابيس، كما اهتمت بجهود بنفست في مجال اللسانيات، إذ أكدت أن اللغة تحمل في جوهرها بعدا حجاجيا وهي لا ترى أن الوظيفة الإخبارية هي الأساس بل إن الوظيفة الحجاجية من أهم وظائفها، تهدف إلى إقناع المتلقي والتأثير فيه، وبما أن وظيفة اللغة وطبيعتها حجاجية فلا بد أن تهتم بالوسائل اللغوية التي يتوفر عليها المتكلم قصد توجيه خطابه وجهة حجاجية، وهذا لا يتحقق إلا من خلال جملة من الآليات والتقنيات الحجاجية التي لها دور في تحديد قيمة الأقوال وخلق اتساق وانسجام بين مكونات الخطاب الحجاجي، وكانت لهذه النظرية وجهة جديدة حول علاقة اللغة بالدراسات المنطقية، وبينت أن اللغة مبحثا خاصا بها إذ اندرج مشروع ديكر و اللساني ضمن ما يسمى بالتداولية المدمجة التي تشمل نظريته في الحجاج.

لهذا نتساءل :

ما الجديد الذي قدمه ديكر و في البحوث التداولية؟ وماهي التقنيات التي اعتمدها في التحليل الحجاجي؟ وكيف تغير تصوره لهذه الآليات من مرحلة إلى أخرى؟

المبحث الأول: التداولية المدمجة *La Pragmatique Intégrée*

لاحظنا سابقا أن الدارس لعلم اللغة الحديث يلاحظ أن هناك اتجاهين مختلفين في دراسة اللغة، الأول يتجه إلى دراستها دراسة شكلية معزولة ومفصولة عن كل سياق ثقافي أو اجتماعي مركزا على دراسة النظام اللغوي وعلاقة بعضها ببعض، فاللغة حسبهم لا تدرس بوصفها نظاما مجردا، ويمثل هذا الاتجاه فرديناند دي سوسير، أما الثاني فيهتم بدراسة الاستعمال اللغوي، ودراسة الضوابط التي تحكم هذا الاستخدام، ودور المقام أو السياق غير اللغوي في التواصل الإنساني¹، إذ يهتم بالمتكلم والسامع والعلاقة بينهما، وبيئة الحدث، وقدرة السامع على فهم مقاصد المتكلم ومدى استجابته لهذه المقاصد وما يتطلبه التواصل من معانٍ مقامية، كما لا يهمل بنية اللغة، وهذا الاتجاه يمثل أصحاب اللسانيات التداولية. ويعتبر ديكرود من أنصار الاتجاه الثاني لأنه يهتم بدراسة اللغة كبنية مستقلة ويضيف إلى دراستها دور السياق والمقام الذي يتعلق بالحديث، إذ ألح ديكرود على ضرورة البحث عن منطق خاص يبحث في اللغة يتناسب مع طبيعتها يتمثل في التداولية المدمجة، والتي تشتمل على مشروع ديكرود الحجاجي ككل في مراحل تطور نظريته المتقدمة.

أولا: مفهوم التداولية المدمجة و مراحلها:

يعرف ديكرود التداولية بأنها: "دراسة لهيمنة المقام على معنى العبارة، إنها تداولية مكونات الوصف اللساني"²، أما التداولية المدمجة عنده فهي: "تبحث عن القوانين التي تحكم الخطاب داخليا لاكتشاف منطق اللغة"³، وقد جاءت هذه

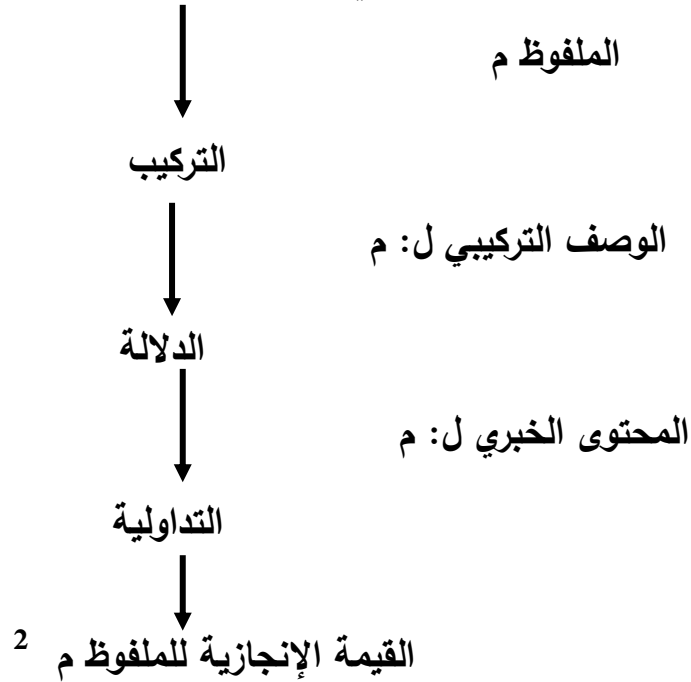
¹ - محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 57.

² - أوزفالد ديكرود وجان ماري سشايفر: القانون الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص 677.

³ - شكري المبخوث: نظرية الحجاج في اللغة، ص 352.

النظرية كرد على نظرية التداولية* الخطية *La pragmatique Cognitive* التي تتحدر من تقاليد الوضعية الجديدة ذات النزعة المنطقية في تحليل اللغة، مع أهم أقطابها الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس، وتذهب التداولية الخطية إلى أن "أي نظام من العلامات قائم على المكونات التالية: التركيب وموضوعه دراسة العلاقات بين العلامات، والدلالة وتعنى بالعلاقات بين العلامات والمسميات، أما التداولية فموضوعها دراسة العلاقات بين العلامات ومؤولياتها"¹، فالتداولية الخطية تفصل بين الدلالة والتداول أي أنها تفصل بين المعنى والسياق.

وقد مثلها ديكرو بالمخطط التالي:



* التداولية Pragmatic مؤسسها الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس ، الذي ميز في كتابه "أسس نظرية الرموز بين ثلاثة عناصر تدخل في تحديد الرمزية ، فالرمز من حيث هو علامة (التركيب)، والرمز من حيث هو دلالة (الدلالة) ، والرمز من حيث هو محل للتأويل (التداولية) ، فهناك انفصال بين الدلالة والتداول.(ينظر:

Ronald Borchert :Encyclopedia of philosophy, Thomson gale, USA, 2005, P738)

¹ - أن ربول وجاك موشلار: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الباحثين، اشراف: عزالدين مجدوب، دار سناترا، تونس، دط، 2010، ص 40.

² _ Oswald Ducrot et Anecssember: Argumentation dans la langue,p6.

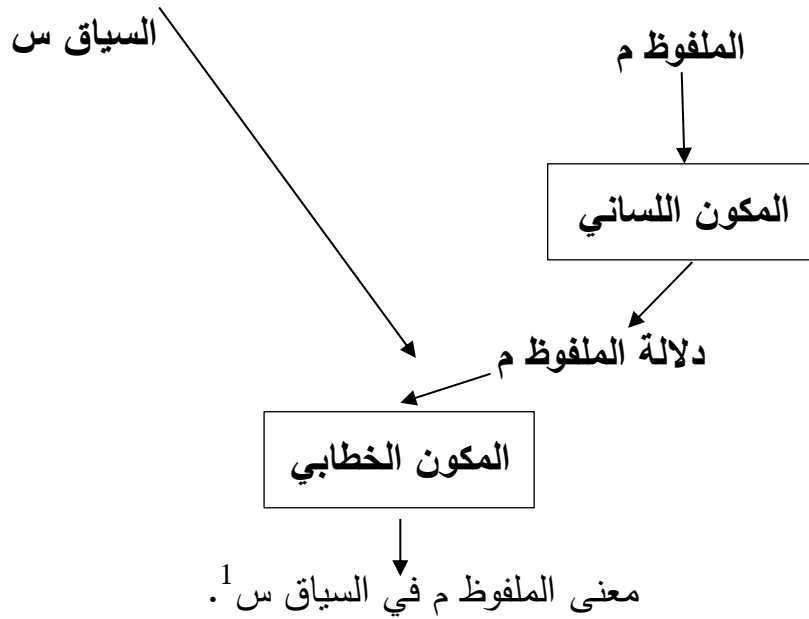
إن الوصف التركيبي ل: "م" هو نتاج المعالجة التركيبية، ويتحدد المستوى الخبري بشروط الصدق المسندة إلى القضية التي يعبر عنها "م"، وأخيراً مفاد قيمة "م" العملية هو إسناد قوة متضمنة في الملفوظ م، فكل ملفوظ يوافق إنجاز عمل لغوي واحد فقط¹. إن التداولية الخطية تؤكد أن كل ملفوظ يترتب عنه إنجاز عمل لغوي واحد، كما أنها لا تهتم بعلاقة المتكلم بسياقه الكلامي.

لاحظ ديكرو أن النموذج الخطي عاجز عن رصد بعض النواحي التداولية التي تظهر في المكون التركيبي، ولذا عمل على تأسيس مشروع دلالي للخطاب المثالي الذي يهتم بالبحث في السياق الكلامي المتعلق بدلالة الجملة²، فالعجز الموجود في التداولية الخطية والمتمثل في إهمالها السياق والمقام الكلامي، دفع ديكرو إلى البحث عن نموذج جديد يهتم بالمتكلم وعلاقته بفعل التكلم وفعل الحجاج وهو نموذج التداولية المدمجة.

إن النموذج الجديد الذي أتى به ديكرو يهتم بالجوانب الاستعمالية للغة، فهذه الأخيرة لم تعد وظيفتها الإخبار فقط، وإنما تحقق العديد من الأفعال الكلامية. ويرمز لها ديكرو بالخطاطة التالية:

¹ - آن ربول وجاك موشلار: القاموس الموسوعي للتداولية، ص42.

² - Oswald Ducrot, Dire et ne pas dire, P 24.



ارتكز ديكرود بحثه حول الحجاج على الوصف الدلالي للمفوضات، إذ حاول تفسير بعض الوقائع الدلالية استناداً إلى دواعي حاجية، إذ انطلق من تصور أساسي يتمثل في البحث عن علاقة بنية اللغة وأوجه استعمالها الممكنة وهذا ما تهتم به التداولية المدمجة.

إن التداولية المدمجة تقدم نفسها كبديل للمعالجة الدلالية الكلاسيكية مع الوضعية المنطقية، وينصب الرهان في هذا المجال على إدماج الظواهر التداولية في صميم الدراسة اللسانية، لذلك أصبح النظر إلى التلفظ كعنصر ينتمي إلى نسق اللغة وبنيتها². وفي هذا التصور يتفق ديكرود مع بنفسه الذي ربط فعل التلفظ بالتداولية أي باستعماله وسياقه، لكن الجديد الذي أضافه ديكرود أن هذا الفعل ينتمي إلى بنية اللغة ومسجل فيها.

إن التداولية المدمجة تعتمد على مراحل ثلاث هي:

¹ -Oswald Ducrot : Dire et ne pas dire ,P21.

² -رشيد الراضي: المظاهر اللغوية للحجاج، ص 36.

التركيب: ويعنى بقواعد التوليف بين المكونات اللغوية لتحديد نحويتها، أما الدلالة فتعنى بالعلاقات بين العلامات ومراجعتها والحكم على الجملة بالصدق والكذب، انطلاقاً من مراعاتها شروط الصدق، في حين التداول يعنى باستعمال الجمل في التخاطب للبحث في مدى مناسبتها للمقام، أو خروجها عن الموضوع، وتحديد العمل القولي المتحقق، فهل تسمح ظروف التخاطب إنجازها؟ وما التأثير الذي يسعى إليه المتكلم من خلال ذلك القول؟¹، فالتداولية المدمجة تربط دلالة القول بسياقه، حيث تدخل اعتبارات التخاطب بين المتكلم ومخاطبه، ومكان القول وزمانه وجميع المعطيات المقامية، إذ يعرف ديكرود المقام بقوله: "إننا نسمي مقام الخطاب مجموع الظروف التي ينشأ التعبير في وسطها، ويجب أن نفهم هذا المحيط المادي والاجتماعي الذي يأخذ الظرف فيه مكانه، والصورة التي تكون للمتخاطبين عنه، وهوية هؤلاء والفكرة التي يصطنعها كل واحد عن الآخر والأحداث التي سبقت التعبير"². إن المقام له دور كبير لفهم الجملة و المعنى المقصود منها.

يرى ديكرود أنه لا يجب التفريق بين الدلالة والتداولية، فليست القيمة الموضوعية الملفوظة مستقلة عن مضمونها الإخباري، بل إنه بإمكانها تحديد هذا المضمون، وهذا سبب آخر لصالح عدم التفريق بين الدلالة التي تخص مفاهيم الحقيقة والقيمة الاخبارية والتداولية التي تخص الأثر وبالضبط التأثير الموضوعي الذي يدعي الكلام امتلاكه³، وهذا ما أكده ديكرود بقوله: "إن القيمة الحجاجية لقول ما، وهذا على نطاق واسع ليست مستقلة عن محتواه الإخباري فحسب، بل إنها قابلة لأن تحدد هذا المحتوى جزئياً، مما يؤدي إلى رفض الفصل بين الدلالة التي

¹ - شكري المبحوث: نظرية الحجاج في اللغة ، ص 353.

² - أوزفالد ديكرود وجان ماري سشايفر: القانون الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص 677.

³ - فرانسوا أرمنيكو: المقاربة التداولية، ص 58.

ستكون مخصصة لمفهومي الصدق والقيمة الإخبارية و التداوليات المتعلقة بالتأثير، ولا سيما التأثير الحجاجي الذي يمتلكه الكلام¹، ولهذا أصر ديكرود إلى عدم الفصل بين معنى الدلالة والتداول، أي بين المعنى والاستعمال، لأن قيمة الملفوظ الإخبارية المسجلة في بنية الجملة متعلقة بسياق القول.

ولكي يتضح الفرق بين التداولية المدمجة والتداولية الخطية نأخذ المثال الذي قدمه شكري المبخوث:

أنا صائم .

إن التداولية الخطية تقوم بالتحليل التركيبي للقول على أساس نسبة المحمول صائم إلى الموضوع أنا، ونصل فيه إلى مدى سلامة واستقامة الجملة والعلاقات الداخلية بين مكوناتها، أما التحليل الدلالي فهو يتعلق بصدق القول ومدى مطابقته لحالة الأشياء في الكون، والكذب هو انعدام هذه المطابقة، بينما التحليل التداولي يتعلق بالنشاط الخطابى الذي قام به المتكلم، و ما الذى جعله فى هذا المقام يقول هذه الجملة هل هو يتكلم مثبتاً أم معترضاً أم متعجباً؟²، لقد اعترض ديكرود على التحليل الذى تعتمد عليه التداولية الخطية، إذ أنه يؤكد أن هناك ظواهرًا تداولية عديدة تبرز فى المستوى التركيبى الأول، ففى هذه الجملة يوجد ضمير المتكلم الذى لا يتحدد إلا مقامياً، وهو مسجل فى بنية اللغة وسابق للاستعمال فى مقام محدد، كما أن هذه الجملة تحتوى على الإثبات باعتباره يعبر عن اعتقاد المتكلم، متزامن مع المحتوى القضوي وليس مضافاً إليه، وهذا ما أكده ديكرود فى قوله: "إنه فى أكثر

¹ - أوزفالد ديكرود : السلميات الحجاجية، ص 175.

² - شكري المبخوث: نظرية الحجج فى اللغة، ص 353.

الأقوال بعض السمات التي تتحدد قيمتها التداولية غير مستقلة عن محتواها الخبري"¹، وعليه يجب إدماج المستوى التداولي في الجانب الدلالي للجملة.

تقوم التداولية المدمجة بالدفاع عن أطروحتين هما :

إن الأطروحة الأولى للتداولية المدمجة تؤكد على الدفاع عن تصور لا وصفي، إذ تعتبر أن الأقوال لا تقوم بالتبليغ عن حالات أشياء في الكون بل تبلغ أعمالا لغوية مختلفة كالأمر، الوعد، التمني والحجاج². وهنا يتضح أن اللغة هي إنجاز لأعمال أكثر منها وصف لحالات.

أما الأطروحة الثانية للتداولية المدمجة فهي أطروحة الإحالة الانعكاسية للمعنى والتي تلخص فيما يلي: "إن معنى قول ما هو صورة من عملية إلقاء"³، بمعنى أن فهم قول ما، هو فهم لدواعي إلقاءه، فوصف معنى قول ما هو وصف لنمط العمل الذي من المفروض أن ينجزه هذا القول، فالفعل الحجاجي عبارة عن نظام متجسد في صميم الخطابات اللغوية وقوانينها الداخلية، وهذا النظام يتحقق من خلال التأسيس لتداولية تدمج المكون التداولي في البنية الدلالية، وتسد إليه دورا محوريا لفهم الملفوظات.

قام ديكرود برفض التصور القائم على الفصل بين الدلالة والتداولية، فقد شكل التقاء الدلالات بالتداوليات مجالا لبحثه في اللغة، وهو البحث في الجزء التداولي المدمج في الدلالة .

¹ - Oswald Ducrot et Anecssember : Argumentation dans la langue,p18 .

² - آن ريبول وجاك موشلر : القاموس الموسوعي للتداولية ،ص 35

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ثانياً: أهداف التداولية المدمجة وأسسها:

يؤكد ديكرو مهام التداولية المدمجة في عبارة بنيوية الخطاب المثالي إذ يصرح قائلاً: "ومن هنا ترتبط النظرية الحجاجية بما أسميناه ببنيوية الخطاب المثالي، والتي بموجبها فإن كل وحدة لغوية، تستمد حقيقتها من الخطاب الذي تتموقع فيه، وليس من الخطاب الذي أدرجت فيه بشكل تجريبي، ولكن من الخطاب الذي تفرضه أو تتطلبه، وهذه المطالبة هي التي تكون الوحدة"¹، وهذا يعني:

- أن التداولية باعتبارها قريبة من علم الدلالة ومشابهة له يجب أن تكون بنيوية بمعنى أن تكون مستقلة.

- يتجلى الخطاب من جهة على صعيد بنية مجردة مثالية، ومن جهة ثانية يكون على مستوى القيود التي تحكم تعاقب وحدات الخطاب².

إن تحليل قول ما يتطلب وصفا مستقلا، وهنا ستكون هذه العملية بنيوية ومستقلة، إضافة إلى ذلك أن كل عمل قولي له إحالة ذاتية ترتبط بسياق معين، فلا مجال للحديث عن دلالات لسانية غير بنيوية، كما أنه لا مجال للحديث عن لسانيات بنيوية لا تقيم اعتبار للوقائع التلفظية³، ويؤكد ديكرو ذلك بقوله: "إن مفهوم فعل التلفظ الذي أوظفه لا علاقة بعلم النفس...إننا نؤكد أن هذا الملفوظ له وظيفة دلالية محض"⁴، وهنا أراد ديكرو أن يصف الفعل الحجاجي بنيويا من جهة كما أنه لا يهمل وقائعه التداولية.

كما أن الخطاب لابد أن يكون محكوما بقواعد تضبط حسن تأليفه وتكوينه، لذلك فالقول "أ" ضمن متواليه من الأقوال تتكون من "أ" و"ب"، يفرض قيودا على

¹ - أوزفالد ديكرو: السلميات الحجاجية ، ص ص 49 - 50.

² - آن ريبول وجاك موشلار: القاموس الموسوعي للتداولية، ص 88.

³ - رشيد الراضي: الحجاجيات اللسانية والمبادئ البنيوية، ص 82.

⁴ - Oswald Ducrot :les mot du discours, Les Éditions de Minuit ,Paris, 1980, p 3.

"ب"1. إن هذا التطويع البنيوي للدلالات اللسانية، في سياق العمل بمبدأ المحاينة² كان سببا في ظهور التداولية المدمجة، ويمكن تلخيص مضمونها في العبارة التالية: "إن التداولية يجب إدماجها في الوصف الدلالي وليس فقط إضافتها إليه، فالتداولية المدمجة يمكن اعتبارها إطارا نظريا بديلا للمعاجة الدلالية الكلاسيكية، وللنسخة التحليلية الانجليزية للتداوليات، فالرهان في التداولية المدمجة يرتكز على إدماج الظواهر التداولية في صميم الدراسة اللسانية، ومن ثم يتعين على الدارس النظر إلى التلفظ - مادام يمثل معطى تداوليا - كعنصر ينتمي إلى نسق اللغة وبنيتها، لأن القول منطبع في المقول أصلا"³، ونتيجة لهذا التصور الجديد حول علاقة المكون اللساني بالمكون التداولي اقترح ديكر و فصل بعض المفاهيم عن بعضها البعض، حتى لا تظل ملتبسة ببعضها البعض وتستعمل بمعنى واحد مثل :

الجملة والقول La Phrase et L'Enoncé:

يقول ديكر و: "يتعين علينا التذكير بادئ ذي بدء بالتمييز بين الجملة التي تعتبر كيانا لغويا مجردا يظل هو هو في مختلف توارداته، وبين القول الذي يعتبر استعمالا مخصوصا للجملة وإنجازا لها الآن وهنا"⁴، فالقول هو العمل الذي أنتجه قائل معين اختار استخدام جملة ما، إنه فعل التلفظ الذي يتمثل في إنجاز قول، أي هو الذي جعل الجملة تتحقق كإنجاز ملموس، أما الجملة فهي معطى لساني مجرد خارجة عن الاستعمال وقابلة للتحقق.

¹ - آن ريبول و جاك موشلار: القاموس الموسوعي للتداولية، ص 88.

² - مبدأ المحاينة: مبدأ جوهرى في اللسانيات البنيوية السوسيرية، يتمثل في قطع الصلة بين اللغة وما يرتبط بها من شروط خارجية متنوعة.

³ - رشيد الراضى: الحاجيات اللسانية والمبادئ البنيوية ، ص 83.

⁴ - أوزفالد ديكر و: قوانين الخطاب مقال ضمن كتاب اطلالة على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ج 2، اشراف عزالدين مجدوب، بيت الحكمة ، تونس، ط 1، 2012، ص 563.

الدلالة و المعنى: Le Sens et La Signification

يقول ديكرو: " إنني أريد ب " الدلالة " قيمة دلالية مرتبطة بالجملة ، وأريد ب " المعنى " قيمة دلالية مرتبطة بالقول، أي مجموع الأعمال اللغوية التي يدعي المتلفظ إنجازها بواسطة تلفظه"¹، فالدلالة هي القيمة الدلالية التي تعبر عنها الجملة وفق القوانين اللسانية، أما المعنى فهو القيمة الدلالية ضمن سياق كلامي محدد، إنها مجموع الأفعال الكلامية التي يقوم المتكلم بإنجازها أثناء تلفظه، وهذا يعني أن لكل ملفوظ عدة معانٍ تتحدد من خلال سياق الكلام.

من خلال التحليل السابق للتداولية المدمجة نجد أن تصور ديكرو للحجاج يختلف عن التصور الكلاسيكي للحجاج والخطابة عموماً مع أرسطو، كما أنه يختلف مع مفهوم الحجاج مع بيرلمان وتولمين الذين يؤكدان أن الحجاج ليست له علاقة بالبنية التركيبية للغة، وإنما يتعلق بآثار الكلام، بينما ديكرو فهو يؤكد أن الحجاج يتجسد في بنية الأقوال .

ثالثاً: منهج التداولية المدمجة:

إن الحجاج اللساني عند ديكرو يهدف بالأساس إلى القيام بإدماج مبحث الحجاج ضمن الدراسات اللغوية المحكمة، ولأجل هذا الغرض وقع الاختيار على العمل بمنهج النمذجة، ذلك أن الممارسة العلمية الحديثة في مختلف المجالات تقوم على بناء النماذج النظرية التي تحاكي الظواهر الواقعية من خلال بناء تمثيلات مصطنعة لهذه الظواهر يتم فيها إدراج مختلف المعطيات التي يتم الكشف عنها²، وظل هذا المنهج يحكم مجموع النشاط العلمي منذ ديكارت، ذلك أن الدراسات العلمية تعتمد أساساً على المنهج العلمي الذي يعطيها صفة الدقة و الموضوعية.

¹ - المصدر نفسه، ص ص 563- 564.

² - رشيد الراضي: المظاهر اللغوية للحجاج، ص 51.

يقول ديكرو في كتابه كلمات الخطاب: "إنني أصف البحث العلمي الذي يحاول أثناء تفسيره للظواهر الملاحظة في الطبيعة تمثيلا اصطناعيا للكيفية التي تنتج بها الظواهر"¹، فالطريقة العلمية الكفيلة بجعل الدلالة اللغوية في علاقتها بتحليل الخطاب قادرة على إثراء التأويل هي طريقة تفسير الظواهر الموجودة اعتمادا على طريقة تكونها بصفة اصطناعية². ولذا قام ديكرو بالبحث عن القوانين التي تحكم التخاطب بين الأفراد.

لقد وضع ديكرو مجموعة من المبادئ المنهجية وهي بمثابة قواعد ضرورية يجب الرجوع إليها أثناء عملية التحليل الحججي لفهم معنى الظواهر اللغوية، لهذا يقول ديكرو: " إنه يتعين من جهة، الأخذ في الحسبان المعنى الذي يعتبر معطى فعليا، يدرك من خلال فرضيات تسمى " خارجية " مختلفة عن الفرضيات الداخلية التي تستخدم للتكهن به"³، إن هذه النظرية بحاجة إلى نوعين من الفرضيات كي يدمج مبحث الحجج في الدراسات اللغوية المحكمة، وتنقسم هذه الفرضيات إلى نوعين:

1 - الفرضيات خارجية *Hypotheses Externes*:

وهي المرتبطة بمرحلة ما قبل النموذج المصطنع، ويتم خلال هذه المرحلة تعيين اختيار الوقائع التي سيتم ملاحظتها ذلك أن المتكلمين بلغة معينة لهم القدرة على منح معنى للمفوضات التي يتم إنجازها من خلال هذه اللغة⁴.

¹ - Oswald Ducrot : Les mots du discours, p 51.

² - شكري المبخوث: نظرية الحجج في اللغة، ص 358.

³ - أوزفالد ديكرو: قوانين الخطاب، ص 571-572.

⁴ - Oswald Ducrot :le Dire et le dit, Les Éditions de Minuit, 1980, 54.

فكل سامع قادر على أن يسند من خلال اللغة معنى ما إلى قول من الأقوال، ولذلك فالمعطى الأساسي الذي يعتبر موضوع للملاحظة في التداولية المدمجة هو الطريقة التي توجد بها الأقوال في مختلف السياقات التي توجد فيها، والمثال التالي يوضح ذلك:

1- نسيت - كما العادة - أين وضعت مفاتيح السيارة.

2- زيد ذكي.

3- زيد ذكي ، لكنه مهمل¹.

أن المتكلم في الملفوظ (1) ينجز فعل الاستخبار، في حين المتكلم في الملفوظ (2) ينجز حجاجا لصالح زيد، أما المتكلم في الملفوظ (3)، فهو ينجز حجاجا في غير صالح زيد، إذن فمنهج البحث في التداولية المدمجة يبحث في كيفية إسناد معنى الاستخبار للملفوظ (1) ومعنى الحجاج الموجب في الملفوظ (2)، ومعنى الحجاج السالب في الملفوظ (3).

2- الفرضيات الداخلية *Hypothèses Internes*:

وهي مجموعة من البديهيات والمسلمات والقواعد الاستتباطية التي تستخدم في حساب الدلالة، وكلما كانت هذه الفرضيات قادرة على التكهّن بمعنى الجملة كلما كانت أنجح وأنجع، فالفرضية حول دلالة "لكن" مثلا فهي قادرة على توجيه القول الذي توجد فيه توجيهها حجاجيا سلبيا². وعلى هذا يكون التفسير بناءً على الفرضية الداخلية الخاصة بالرابط "لكن" ينتج دائما حجاجا ذا توجهه سالب أي في

¹ - رشيد الراضي: المبادئ النظرية للحجاجيات اللسانية، ص 33.

² - شكري المبخوث: نظرية الحجاج في اللغة ، ص 359.

غير صالح النتيجة¹، فالاستدلال بالرابط " لكن " يوجه دائما دلالة القول كله إلى سلب نتيجة مضمون الجمل المستدركة.

رابعا: التوجيهات الحجاجية وقوانين الخطاب

1- التوجيهات الحجاجية: *l'orientation argumentative*

يعرف ديكرو التوجيهات الحجاجية بأنها " مجموعة من الإرشادات التي تقدمها الجملة للذين يهتمون بتأويل ملفوظاتها وتطالبهم بالبحث في وضعية الخطاب عن المعطيات التي تفيد بصورة ما في إعادة بناء المعنى المقصود من المتكلم " ²، فإرشاد الجملة وتوجيهها هو دلالتها، لذا نتساءل ما علاقة التوجيهات بوصفها عنصر دلالي لساني بالوظيفة الحجاجية التي يعتبرها الوظيفة الأساسية للغة؟

إن مفهوم التوجيهات هو حلقة الوصل بين نظرية الدلالة ونظرية الحجاج، ذلك أن هذا الأخير ينبثق من اللغة في صورة إرشادات أو توجيهات، تحمل بدورها القيم الحجاجية، وتعتبر الضامن لجميع صور التأليف داخل التسلسلات الحجاجية.

وقد ورد في القاموس الموسوعي للتداولية تعريف الوجهة الحجاجية كالتالي: "هي الاتجاه الذين يعين للقول قصد الوصول إلى هذا القسم من الاستنتاجات وإلى غيره، إن الوجهة الحجاجية هي خاصية من خصائص الجملة، موضوع أداء القول وهي التي تحدد معنى القول"³، إن الإرشادات الحجاجية عند ديكرو تتيح للمتكلم أن يقوم بتوجيه المخاطب إلى الوجه الذي يتعين عليه أن يؤوله الملفوظ، وفي هذا السياق تحدث ديكرو عن فعل التوجيه الحجاجي، ويقصد ديكرو بالتوجيه هو

¹- أوزفالد ديكرو: السلميات الحجاجية، ص185

² - Oswald Ducrot : Les mots du discours, p12.

³-جاك موشر وأن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص337.

الانتقال من وضع أول معلوم إلى وضع ثان قد يكون معلومًا أي صريحًا أو غير معلوم (ضمني) وهو النتيجة التي يروم الباث (المتحدث) إذعان المتقبل لها (المستقبل).

فمثلا:

- ق: السيارة جاهزة = فعل التوجيه
- ق1: لنذهب إلى النزهة.
- ق2: احمل أباك إلى المشفى .
- ق3: لنزر صديقنا عليا.
- ق4: دعها في المستودع¹.

فالقول "ق" يمكن اعتباره كمقدمة تم توجيهها إلى الباث ليحقق بها المستقبل ما كان ينتظره، بل إن التوجيه خضع له الملفوظ أولاً بالإخبار أن السيارة جاهزة، وهذا الملفوظ هو الذي يوجه المستقبل بحسب مقتضيات المقام أو السياق².

إن القيمة الحجاجية للكلمة هي بمقتضى تعريفها الوجهة التي تحددها للخطاب هذه الكلمة، أي أن التوجيه الحجاجي يطابق للكلمة معناها، وهكذا فالمعنى اللغوي لكلمة ذكي لا ينبغي البحث عنه في قيمته الوصفية لقدرة تقاس بحاصل الذكاء، وإنما في الإتجاه الذي يفرضه استعمالها في ملفوظ على خطاب لاحق، مثال ذلك: "زيد ذكي يمكن له أن يحل هذا المشكل" وهو يقابل التسلسل الذي يشعر المرء بتنافره: "زيد ذكي لا يستطيع حل هذا المشكل"³، ففعل التوجيه بمثابة مقدمة للفعل الحجاجي ويفهم إلا من خلال السياق.

¹ - عزالدين الناجح: العوامل الحجاجية، مكتبة علاء الدين ، تونس ، ط1 ، 2011 ، ص28.

² - المرجع نفسه، ص29.

³ - دومينيك مونغنو وباتريك شارودو: معجم تحليل الخطاب ، ص ص399 - 400.

لذلك يقول ديكرود: "عندما يقدم "ق1" كحجة تقتضي وتقود إلى التسليم بـ"ق2"، لا تكفي بذلك أن تكون ق1 من الحجج التي تتضمن التسليم بـ"ق2"، وإنما البنية اللغوية (ق1)، يجب أن تنهض بشروط من شأنها أن تؤهله لكي يكون حجة تقود إلى "ق2"،¹ فالمقصود بالتوجيه أن الحجة تكتسي بالنسبة إلى النتيجة قيمة معينة، إذ أنها تساندها أو تعاندها بمقادير متفاوتة.

وإذا كان بإمكان الملفوظ أن يتألف من أكثر من حجة، فإن هذه الحجج تتسق فيما بينها اتساقا حجاجيا، وهي في اتساقها هذا إما أن تشترك في توجيهها مساندة أو معاندة، وإما أن تتباين، فيكون بعضها مسانداً، وبعضها الآخر معانداً أي أنه في هذه الحالة يكون مسانداً للنتيجة المتعارضة مع النتيجة الأولى وعلى هذا الأساس يمكننا التمييز بين نوعين من الحجج، فتكون الإرشادات والتوجيهات الحجاجية على نوعين هما:

1.1. التوجيه نحو نفس الاتجاه: *Co-orientation Argumentative* نقول

عن حجتين أنهما متساندتان، إذا تم سوقهما لمساندة النتيجة نفسها ومثالها "هذا الكتاب مفيد، وثنه مناسب، اشتره الآن"، فنحن في هذا المثال أمام حجتين متساندتين في إسناد النتيجة نفسها، وهذا يعني أن التوجيه يكون نحو نفس الاتجاه، عندما تمنح الحجتان أو أكثر النتيجة نفسها². أي أن الحجة تعمل على تأكيد النتيجة لأن لهما اتجاهاً واحداً سواءً الإثبات أو النفي.

2.1. التوجيه المتضاد: *Anti-Orientation Argumentative* يكون

التوجيه متضاداً، إذا اتجهت الحجتان، إلى نتيجتين متضادتين، أي إذا سيقا لتعزيز

¹ -Oswald Ducrot et Anecssember : Argumentation dans la langue,p81.

² - رشيد الراضي: المظاهر اللغوية للحجاج، ص 91.

نتيجتين متعارضيتين، أي أن كل حجة تساند نتيجة هي نقيض النتيجة التي تساندها الحجة الأخرى، ومثالها "هذا الكتاب مفيد، لكن ثمنه باهض".

النتيجة المضمرة: لا تشتتره إذن

إن هذه الحجة تعاند النتيجة تقديرها: لا تشتتر هذا الكتاب¹، ومعنى هذا أن الحجة تسير في وجهة معارضة للنتيجة فالأولى غرضها الاثبات والثانية تصل إلى النفي أو العكس.

خامسا: قوانين الخطاب: "Lois du discours":

1. تعريف قوانين الخطاب:

عرف ديكرو قوانين الخطاب كالتالي: "هي مجموعة معايير مفروضة على التلطف، أي على استعمال الجمل ولا ينتج عن هذا منطقيا أن الوقائع الدلالية السابقة لعمل قوانين الخطاب لا تتضمن بعد قرائن متعلقة بما يمكن لنا القيام به عندما ننجز تلفظا، إذ لا يوجد تناقض بالفعل عندما نسلم في الآن نفسه بأن إنجاز تلفظ تتجز عنه قيم جديدة ناشئة عن قوانين الخطاب، وبما أن المادة اللغوية المستعملة قد لا تتحدد إلا بالنسبة إلى تلفظها الافتراضي"²، فإنّ الفعل الحجاجي لكي يصل إلى هدفه لا بد له من مجموعة من القوانين، إذ يصرح ديكرو في كتابه القول والمقول أن: "المجموعة اللسانية التي تتم فيها عملية التواصل تفرض على عمل التلطف بعض المعايير أسميها "قوانين الخطاب"³، فقوانين الخطاب⁴ ضرورية

¹ - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

² - أوزفالد ديكرو: قوانين الخطاب ، ص ص 572-573.

³ - Oswald Ducrot : le Dire et le dit, p100.

⁴ - تجدر الإشارة أن هذه القوانين تم الأخذ بها في المراحل الأولى لنظرية الحجاج اللغوي وسبب ذلك الوفاء الكبير لنظرية أفعال الكلام الأنجلوساكسونية وخاصة نظرية الإستلزام الخطابى لغرايس، لكن في بداية السبعينيات كان هناك نوع من

للتواصل متعلقة بعمل التلفظ أو فعل القول، فإذا كان بول غرايس يرى أن إنجاز الفعل الكلامي محكوم بمجموعة من قوانين لغوية يشدها مبدأ أساسي يتمثل في مبدأ التعاون، فإن ديكرو كذلك وضع مجموعة من قوانين جديدة تحكم الخطاب، لذلك ألح بوجود تداولية مندمجة تؤكد أن فهم المقاصد يكون بتأويل الأقوال، قاعدته تحديد دلالة الجملة انطلاقاً من الوصف الدلالي لها، أي انطلاقاً من بنيتها، ولكن هذا الوصف لا يكفي بل لا بد من إدماج العناصر والاعتبارات غير اللغوية، أي البعد التداولي من أجل فهم الملفوظات وهذا هو دور قوانين الخطاب، لقد سبق وأن تناولنا مفهوم الحجاج ووجدنا أن هذا الفعل ينقسم إلى قسمين، الأول الاقتضاء ويتعلق باشتقاق المعنى من بنية الجملة ودلالاتها، أما المعنى المضمر وهو المعنى الثاني فتعد قوانين الخطاب الإطار الأفضل لفهمه وتأويله.

2. أنواعها:

لقد وضع ديكرو مجموعة من القوانين التي تحكم الخطاب وهي كالتالي:

1.2. قانون الإخبارية: ¹Loi d'informativité: ومفاده أن كل ملفوظ "أ"

إذا قدم بوصفه مصدراً للمعلومات، يستلزم قولاً مضمرًا بأن المخاطب يجهل "أ" وبالأحرى احتمال أنه لا يتوقع "أ"².

ونوضح هذا القانون بالمثال التالي:

الكتاب مفيد، لكن ثمنه باهض

التساهل في الأخذ بهذا المفهوم، إذ تم التركيز على القرائن الداخلية تماشياً مع الفرضية البنوية التي تؤكد أن نسق اللغة مكثف بذاته وليس بحاجة إلى إقحام عناصر خارجية. (رشيد الراضي: المظاهر اللغوية للحجاج، ص 71)

¹ - ترجم قانون الإخبارية إلى قانون الإبلاغية في القاموس الموسوعي للتدالية لأن ريبول وجاك موشر ص 233، وقانون الإقرار في مقال قوانين الخطاب ترجمة سيف الدين دغونس، ص 570.

² - Oswald Ducrot : Dire et ne pas dire, p 5

فهذا المثال يمكن أن ننظر إليه مصدر معلومات يجهلها المخاطب وهي عدم رغبة المتكلم في شراء الكتاب رغم أنه مفيد، فكانت جملة " ثمناه باهض"، بمثابة حجة محتملة، تفسر عدم رغبة المتكلم في شراء الكتاب، لذلك فإن متضمنات القول تتأسس على استدلال منطقي يقدم عليه المخاطب حول الملفوظ ذاته وأحوال سياقات التلفظ¹. فالفكرة الأساسية في هذا القانون أن الملفوظ هدفه الاخبار بشيء مجهول لإقناع المخاطب ومحاجته في قضية ما.

2.2. قانون الشمول: loi d'exhaustivité* : والذي يعني على المتكلم في

أمر من الأمور أن يقدم في هذا الأمر و هذا القانون يوافق تقريبا قاعدة الكم عند غرايس²، وهذا ما أكده ديكرود بقوله: " نسلم أنه من بين المجتمعات الحديثة، الغربي منها عندما نقوم بتقديم معلومات للمخاطب حول موضوع معين ينبغي أن نقدم له من بين ما لدينا من المعلومات أكثرها أهمية، وهذا ما أسميه قانون الشمول الذي يوافق تقريبا قاعدة الكم عند غرايس"³، أي أن المعلومة المعطاة ينبغي أن تكون في حدها الأقصى، بمعنى أن المعلومات التي نملكها ينبغي إعطاء تلك التي نعتبرها أهم معلومة بالنسبة للمستمع، لأن المخاطب يهتم فقط بما يهمه .

ويوضح ديكرود هذا القانون بالمثال التالي:

لتكن لافتة مكتوبًا عليها مفتوح يوم الثلاثاء موضوعة على باب أحد المخازن، فالذي يؤول هذا الملفوظ يكون بحسب السياقات كما يلي: "مفتوح حتى

¹ -Ibid ,p.8

* ترجم مصطلح loi d'exhaustivité في اللغة العربية إلى:

قانون الشمول ترجمة: عزالدين المجذوب ، ينظر أن ربول وجاك موشلار : القاموس الموسوعي للتداولية، ص234.

وقانون الإغناء ،ينظر إلى ترجمة: رشيد الراضي في مقال المبادئ النظرية والمنهجية للحجاجيات اللسانية، ص43.

² - أوزفالد ديكرود: قوانين الخطاب، ص 568.

³ - Oswald Ducrot : le Dire et le dit,p100

يوم الثلاثاء" أو "مفتوح يوم الثلاثاء فقط"، فإذا كانت المخازن تفتح عادة يوم الثلاثاء تم ترجيح التأويل "مفتوح فقط يوم الثلاثاء"، في حين إذا كانت المخازن تغلق يوم الثلاثاء يتم تأويل الملفوظ "تفتح حتى يوم الثلاثاء"¹.

تهدف قوانين الخطاب إلى ضبط العملية الخطابية، وهذا ما صرح به ديكرود: "إنه توجد بالفعل نزعة إلى جعل قوانين الخطاب قدر الإمكان مسؤولة عما هو تداولي في المعنى"²، إن أهمية هذه القوانين تعود إلى السياق والمقام الكلامي للمتكلم، فهي تساعد على تنظيم الحوار بين المتخاطبين، ومادام السياق مهم جدا في العملية الخطابية، فإن الحجج المعتمدة فيها تتميز بالمرونة والنسبية والتدرجية، لذلك يمكن ترتيب هذه الحجج بحسب قوتها وضعفها في سلم و هو ما يسمى بالسلم الحجاجي.

ثانيا : نظرية السلم الحجاجية *La Théorie des Échelles Argumentatives*

لقد اهتم ديكرود بنظرية السلم الحجاجية، وقد خصها بمصنف كامل وهو كتاب: "السلم الحجاجية"، أو كما ترجمه أبو بكر العزاوي باسم "السلميات الحجاجية"، وتعتبر هذه النظرية من أهم المفاهيم التي أفرزتها الدراسات اللسانية في حقل الحجاج، وقد تنوعت أسماؤها حسب تنوع اختصاصات الدارسين لها، فالمفكر طه عبد الرحمن تناولها تحت عنوان: "مراتب الحجاج" حيث يقول: "واعلم أن الاهتمام بمسألة مراتب الحجاج أو المدارج، باعتبارها ظاهرة لغوية طبيعية اتخذت صبغة خاصة مع انبعاث الدراسات اللسانية ومباحث فلسفة اللغة، ويكفي شاهد على ذلك تنوع اختصاصات الدارسين الذين اشتغلوا بهذه المسألة اللغوية، فوجد من

¹ - Oswald Ducrot : Dire et ne pas dire p,136-137.

² - أوزفالد ديكرود: قوانين الخطاب، ص ص 572-573.

بينهم اللساني والمنطقي والرياضي والمتفلسف¹، فالتدرج من أبرز الأسس التي يقوم عليها الإقناع فعن طريقه يستقبل الإنسان الرسالة على مراحل تتوافق مع إمكاناته وملكاته ومع ما يتناسب مع طاقاته وقدراته، كما أن هذه النظرية أساسها اللغة الطبيعية ونظرا لأهميتها اهتم بها المفكرون في مختلف المجالات*.

¹ - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 273.

* ذكر طه عبد الرحمن أشهر من اهتم بنظرية السلام الحجاجية على اختلاف تخصصاتهم:

- اللساني ادوارد سابير Edward Sapir في مقاله " التدرج - دراسة في الدلائل -

- الفيلسوف الأمريكي تشارلز كاتون Charles Caton في مقاله " في البنية العامة للوصف المعرفي للمعاني المبلغة بالغة الانجليزية .

- اللساني الأمريكي لورانس هورن Lawrence Horn في أطروحته : "في الخصائص الدلالية للعوامل المنطقية في الانجليزية".

- اللساني والمنطقي الفرنسي جيل فوكينيي Gilles fauconnier في كتابه "المراتب التداولية والبنية المنطقية" (ينظر: المرجع نفسه، ص ص 273-274).

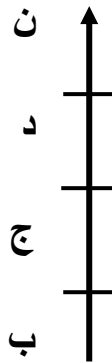
1. مفهوم السلم الحجاجي: L'Échelle Argumentative

يؤكد ديكرود أن "السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج المنتمية إلى فئة حجاجية واحدة، بحسب القوة الحجاجية لكل حجة، ومعلوم أن الحجج اللغوية متفاوتة في قوتها الحجاجية، فهناك الحجة الضعيفة والحجة الأضعف، وهناك الحجة القوية والحجة الأقوى، أي من الأضعف إلى الأقوى صعوداً، ومن الأقوى إلى الأضعف نزولاً، ويكون الترتيب هكذا من الأضعف إلى الضعيف إلى الأقوى"¹

فالسلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالتالي:

ن = النتيجة

ب ، ج ، د = حجج وأدلة تخدم النتيجة "ن"



عندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما علاقة ترتيبية معينة، فإن هذه الحجج تنتمي إلى السلم الحجاجي نفسه، فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجهة².

من هذا القول نلاحظ أن الحجج التي تستلزم النتيجة نفسها، يمكن جمعها في مجموعة

يصطلح عليها باسم " الفئة الحجاجية " "Classe d'Argument"، كما أن اختلاف هذه

الحجج من جهة قوتها يجعل بعضها يعلو على الآخر، وهذا ما يسمح بترتيبها وفق معايير

¹ - أوزفالد ديكرود: السلمييات الحجاجية، ص 19.

² - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج ، ص ص 20-21.

متعددة ومختلفة، ذلك أن هذه الحجج تتفاوت في قوتها التبليغية والتأثيرية، فعندما تتضمن الحجج علاقة بين مراتب الحجج تسمى هذه العلاقة " سلما حجاجيا"، ولكي يتوضح هذا الشرح أكثر لا بد أن نأخذ المثال التالي:

(1) أكرم زيد صديقه.

(2) أكرم زيد عدوه.

فنستدل من هذين الملفوظين النتيجة التالية:

(3) زيد من أنبل الناس خلقا.

وإذا كان (1) و(2) يستلزمان نتيجة واحدة فإنهما قد استحقا أن يدخلوا في مجموعة تدليلية واحدة تسمى الفئة الحجاجية، وكل فئة حجاجية تتحدد بنتيجتها المشتركة، وعلى هذا تكون الفئة الحجاجية (1،2) مقيدة بالمدلول (3) وهو أن زيدا مثال النبل الخلفي¹.

حيث يعرف ديكرو الفئة الحجاجية أو القسم الحجاجي قائلا: " إن المتكلم في وضعية خطاب محددة، يمكن أن يضع ملفوظين في قسم حجاجي واحد، يفضي إلى نتيجة "ن"، بشرط أن يقودا ويخدا نفس النتيجة"²، فالقسم الحجاجي يتحدد بالنسبة إلى مفهوم النتيجة من جهة والمتكلم من جهة ثانية، فإذا ينتمى قولان أو أكثر إلى باب حجاجي واحد فذلك يعني أنهما يمكنان من خدمة النتيجة نفسها ويمثلان اختيار متكلم واحد³.

ويتميز السلم الحجاجي بالخاصيتين الآتيتين :

¹ - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 276.

² - Oswald Ducrot : Les Échelles argumentatives, p17.

³ - أن ريبول وجاك موشر: القاموس الموسوعي للتداولية، ص 298.

- أن كل قول يرد في درجة من السلم، ويكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه إلى "ن".

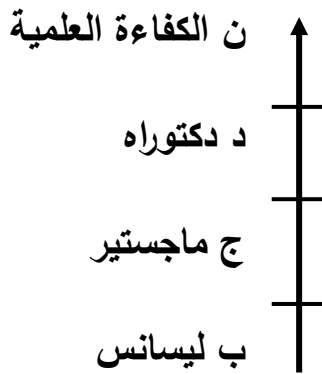
- إذا كان الملفوظ "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن" فهذا يستلزم أن "ج" أو "د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها والعكس غير صحيح،¹ مثال ذلك :

حصل زيد على شهادة الليسانس

حصل زيد على شهادة الماجستير

حصل زيد على شهادة الدكتوراه

إن هذه الجمل تتضمن حجاً ينتمي إلى فئة حجائية واحدة، وتنتمي كذلك إلى السلم الحجاجي نفسه، فكلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة هي الكفاءة العلمية لزيد، والقول في الأخير هو الذي سيرد في أعلى درجات السلم، وحصول زيد على الدكتوراه هو بالتالي أقوى دليل على مقدرة زيد ومكانته العلمية، حسب ما يبينه المخطط الآتي²:



¹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - شكري المبخوث: نظرية الحجاج في اللغة، ص 363.

وتعتمد نظرية السلام الحجاجية على وجود التلازم في عمل المحاجبة بين القول (ق) والنتيجة (ن)، ومعنى التلازم هنا هو "أن الحجة لا تكون حجة بالنسبة للمتكلم إلا بإضافتها إلى النتيجة، قد يصرح بها وقد تبقى ضمنية"¹.

مثال: إذا أخذنا ما يلي:

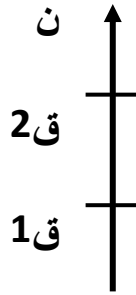
(1) زيد ذكي "ن"

حجة (ق1) فقد نجح في البكالوريا بامتياز

حجة (ق2) وتحصل على جائزة رئيس الجمهورية.

نلاحظ أن النتيجة قدمت لتدعيم الحجتين (ق1) و(ق2)، لأن هذين القولين

في نظر المتكلم يدعمان نتيجة واحدة هي ذكاء زيد. ويمكن التمثيل لها بـ:



كما أن هاتين النتيجةين تنتميان إلى نفس الفئة الحجاجية لأنهما تدعمان

نتيجة واحدة هي ذكاء زيد، ونلاحظ أيضا (ق2) أقوى من (ق1)، فقبول الأولى يستلزم قبول الثانية بالضرورة².

مثال 2:

(1) لزيد أطروحة مرحلة ثالثة، بل دكتوراه دولة أيضا.

(2) الرأي عندي ألا تكلف زيدا بهذه المهمة، فهو كفاء لكنه لا يلتزم

بالمواعيد.

¹ - شكري المبخوث: نظرية الحجاج في اللغة، ص 363.

² - المرجع نفسه، ص 365.

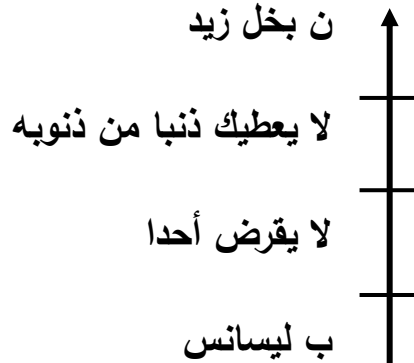
ففي بنية (1) نجد (ق بل ق1) ينتميان إلى سلم حجاي واحد، حيث ق1 فيه أقوى من ق، وهما موجودان في سلم حجاي واحد.

في المثال (2) فيمكن تمييزه بالبنية (ق لكن ق1)، إذ نلاحظ أن "ق" تنتمي إلى قسم حجاي تحده النتيجة "ن"، ولكن "ق1" ينتمي إلى قسم حجاي تحده النتيجة "لان"، أي أن للحجتين وجهتين متقابلتين، فهو "كفاء"، لتدعيم النتيجة "كلف زيد بالمهمة"، بينما "لا يلتزم بالمواعيد" فتدعيم للنتيجة "لا تكلف زيدا بالمهمة"، وهذا يعني أن ترتيب الحجج في سلم حجاي واحد بالنسبة إلى بعض الأمثلة من قبل "ق ولكن ق1" لا يقتضي انتماء الحجج إلى قسم حجاي واحد¹.

وعليه فالنتيجة قد يصرح بها، وقد تبقى ضمنية، فمثلا :

زيد لا يقرض أحدا، ولا يتصدق ، ولو طلبت منه ذنبا من ذنوبه فلن يعطيك

إياه.



هذه الحجج أدت إلى نتيجة مضمرة هي " بخل زيد"، وهي نتيجة لم يتم التصريح بها، ولكن يمكن استنتاجها من خلال ايراد الحجج التي تدعمها، فهي تقع في قسم حجاي واحد، ومن هنا تبرز أهمية السلم الحجاي من حيث تركيزه على مبدأ التدرج والترتيب في توجيه الحجج بحسب درجة قوتها التأثيرية²، لذلك فالحجاج

¹ - المرجع نفسه، ص366.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

اللغوي لا يرتبط بالمحتوى وإحالة هذا المحتوى على مرجع محدد، بل هي رهينة القوة والضعف الذي ينفي عنها الخضوع لمنطق الصدق والكذب¹.

2. القوة الحجاجية La force Argumentative

تتنظم الحجج التي تنتمي إلى قسم حجاجي واحد في علاقة تراتبية، إذ أن بعض الحجج هي أقوى من بعض وبعضها أضعف من بعض، وفي هذا الصدد نجد ديكرو يصرح: "نفترض أن متكلما وضع (ق) و(ق)، داخل فئة حجاجية محددة ب (ن)، سنقول إنه يعتبر (ق) حجة أعلى أو حجة أقوى من (ق) بالنسبة ل (ن)، إذا اعتبر هذا المتكلم أن قبول (ق)، بوصفه حجة لصالح (ن)، يستلزم قبول (ق) بوصفه حجة لصالح (ن) وليس العكس"²، وهذا يعني أن (ق) هي أقوى حجة من (ق) بالنسبة إلى (ن)، ومعنى هذا أنه إذا تم قبول (ق) حجة لصالح (ن) فهذا يستلزم قبول (ق) بالضرورة وليس العكس.

3. قوانين السلم الحجاجي:

يخضع السلم الحجاجي إلى ثلاثة قوانين هي:

1.3. قانون النفي "تبديل السلم" Loi de négation: يقول ديكرو: "إذا

استعمل قول (ق) لصالح نتيجة معينة، فإن نفيه المرموز ب: ق سيعتبر من قبل المتكلم نفسه، حجة لصالح النتيجة المضادة، وتعبير آخر، إذا كان (ق) منتميا للفئة الحجاجية المحددة ب(ن)، فإن (ق) ينتمي للفئة الحجاجية المحددة ب(ن)"³

¹ - المرجع نفسه، ص 270.

² - أوزفالد ديكرو: السلميات الحجاجية، ص 61.

³ - المصدر نفسه، ص 81.

يقوم هذا القانون على مبدأ النقيض و مقتضاه أنه: "إذا كان الملفوظ دليلاً على مدلول معين، فإن نقيض هذا المدلول دليل على نقيض مدلوله"¹.
وبعبارة أخرى إذا كان "أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية بواسطة "ن"، فإن "أ"، ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة "ن".
ومثال ذلك :

(1) زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان.

(2) زيد ليس مجتهداً، إنه لم ينجح في الامتحان.

فإذا تم قبول الحجج الوارد في المثال الأول، وجب قبول الحجج الوارد في المثال الثاني².

2.3. قانون القلب Loi d'inversion : لخص ديكر و قانون القلب كالتالي:

إن سلم الأقوال المنفية (السلم المحدد بـن) هو عكس سلم الأقوال المثبتة، وبتعبير آخر، إذا كان (ق) أقوى من (ق) لصالح النتيجة (ن)، فإن (ق) أقوى من (ق) لصالح النتيجة (ن)³، ويعتمد هذا القانون على القلب كمبدأ في ترتيب الحجج، ومعنى هذا القانون أنه: "إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول"⁴، ومفاد هذا أن السلم الحجاجي للملفوظات المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية، فإذا كان "ب1" أقوى من "ب"، بالقياس إلى النتيجة "ن" فإن "ب" هو أقوى من "ب1"، بالقياس إلى "ن"، ويمكن التعبير عن هذه الفكرة بصيغة أخرى فنقول: إذا كانت إحدى الحججتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة

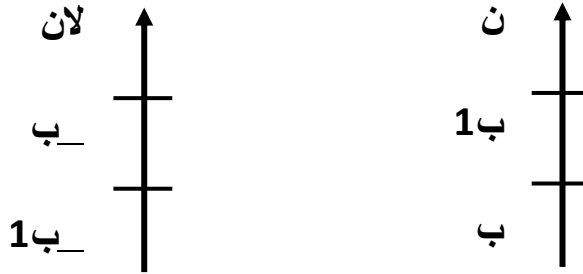
¹ - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 278.

² - أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج، ص22.

³ - أوزفالد ديكر و: السلميات الحجاجية ، ص82.

⁴ - طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 278.

معينة ، فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة ، ويرمز لها بواسطة السلمين الحججين التاليين:



ويوضح هذا القانون المثال التالي:

-حصل زيد على الماجستير وحتى الدكتوراه.

-لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.

حيث أن "ب" هي الماجستير و"ب1" هي الدكتوراه، فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير، في حين عدم حصوله على الماجستير، هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة الدكتوراه¹.

3.3. قانون الخفض Loi de faiblesse: صاغ ديكره قانون الخفض

كالتالي: "إذا كان قول (ق) في سلم (س)، متحققاً في منطقة (م) من التدرج المماثل للسلم (س)، فإن القول (ق) متحقق في، فقط في، منطقة من التدرج نفسه والذي هو أدنى من (م)"²، ومعنى هذا: "إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها"³، وهو ناتج عن النفي اللغوي، ولإيضاح ذلك نأخذ المثال التالي:

- الجو ليس بارداً

¹ - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص23.

² - أوزفالد ديكره: السلميات الحججية، ص 92.

³ - طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد الكلام، ص105.

- لم يحضر الكثير من الأصدقاء إلى الحفل
يتم استبعاد التأويلات التي ترى أن البرد قارس وشديد، وأن الأصدقاء كلهم
حضرُوا إلى الحفل، فيتم تأويل الملفوظ الأول على الشكل الآتي:
- إذا لم يكن الجو باردًا، فهو دافئ أو حار.
ويؤول الملفوظ التالي:

لم يحضر إلا القليل منهم إلى الحفل¹.

ونخلص مما سبق أن قوانين السلام الحجاجية نابعة من طبيعة اللغة، أي أنها تتعلق بالمنطق الطبيعي، وليست مقترنة بالمنطق الصوري، وهذا ما يعني أن القيمة الحجاجية للقول مرتبطة بالتنظيم الداخلي للغة وليس بمعيار الصدق والكذب.

4. وسائل السلم الحجاجي:

يعتمد السلم الحجاجي على مجموعة من المؤشرات والأدوات الحجاجية صنفها ديكروالى صنفين هما: الروابط الحجاجية Les Connecteurs والعوامل الحجاجية Les Operateurs، الأولى وظيفتها الربط بين قولين أو بين حجتين، ومن أمثلتها حتى، بل، لكن... أما الثانية فتقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما ومن بينها: ربما، تقريباً، كاد، قليلاً...

1.4. الروابط الحجاجية: Les connecteurs argumentatifs: ورد في

القاموس الموسوعي للتداولية مفهوم الرابط كالتالي: "هو علامة لغوية تربط بين عمليين لغويين داخل القول الواحد، ونقول عن رابط إنه حجاجي إذا ما ربط بين عمليين حجاجين، وأن عمل الحجاج يتمثل في إلقاء قول يعمل عمل الحجة"²، إن

¹ - شكري المبخوث: نظرية الحجاج في اللغة، ص 370.

² - أن ريبول وجاك موشلار: القاموس الموسوعي للتداولية، ص 299.

الخاصية الأساسية للعلائق الحجاجية هي أن تكون سُلمية وتراتبية، وسبب نعتها بهذه الصفة هو ما يوفره الرابط الحجاجي من تقوية للحجة حتى يجعلها غير متساوية قوة وضعفاً تأثيراً وإقناعاً، وبالتالي يكون الرابط الحجاجي هو المحرك للعلاقات الحجاجية، ويكون هذا داخل الملفوظ في ذاته، وداخل القسم الحجاجي والمثال التالي يوضح ذلك:

- مات الناس حتى الأنبياء

- كل إنسان خطأ وحتى العلماء

وقد ساعد الرابط "حتى" على تقوية إقناع المتلقي بالنتيجة، إن الرابط قبل ذلك يرسم صورة المسلك الذي ينبغي عليه أن يقطعه للوصول إلى النتيجة.

أ. الرابط **Même** (ف، إن، بل، حتى): الرابط **Même** يفيد بالوضع علاقة

قوة حجاجية في اللسان الفرنسي، ففي مقطوعة من قبيل **P et Même Q** التي يوافقها في العربية في بعض السياقات **ق بل ك**، حيث تنتمي **ك** وق إلى السلم الحجاجي نفسه، لكن **ك** أقوى حجاجياً من **ق**¹، وهذا ما أكده ديكرود بقوله: "إن التلفظ بجملة من نمط **ق** أو حتى **ق** يقتضي دائماً وجود نتيجة (ن)، تحدد سلماً حجاجياً يكون فيه **ق** أعلى من **ق**"².

إن وجود "حتى" يعني أن الجملة الثانية أكثر إقناعاً، مثلما يبين الشكل

الآتي:



¹ - المرجع نفسه، ص 62

² - أوزفالد ديكرود: السلميات الحجاجية، ص 62.

مثال: زيد متحصل على شهادة الماجستير بل على شهادة الدكتوراه.

إن القول بأن زيد متحصل على الماجستير وزيد متحصل على الدكتوراه ينتميان إلى قسم حججي واحد.

وإذا كان الحجة بل ك أي $Même\ q$ (الحصول على شهادة الدكتوراه) أقوى حججياً من ق أي شهادة الماجستير، فإنه يفترض أن النتيجة "ن" يمكن أن تدعم بواسطة "ك" دعماً أفضل مما تدعم بواسطته "ق".¹

وإذا قلنا عن شخص إنه حاصل على الماجستير، وحتى دكتوراه الدولة، فإن هذا يقتضي نتيجة كفاءة الشخص، أو إنه الشخص المناسب، يمكن أن يخدمها حصوله على الشهادتين معا بشكل أكثر وحصوله على الشهادة الثانية.²

ولنوضح ذلك أكثر نأخذ المثال الذي قدمه ديكرود: "نفرض أننا نريد أن نصف قيمة كلمة حتى $Même$ في جمل من نوع ب حتى ك، حيث ب وك هما جملتان لنأخذ مثلاً: الملفوظة: كتب جاك فروضه حتى أنه تناول حساءه دون عبوس"³، بمعنى أن الجملة الثانية التي تحتوي على "حتى" تزيد قوة عن الحجة الأولى.

¹ - آن ريبول وجاك موشلار: القاموس الموسوعي، ص300.

² - أوزفالد ديكرود: السلميات الحججية، ص62.

³ - أوزفالد ديكرود: الأفعال الكلامية من سوسير إلى فلسفة اللغة، ص155.

ب. الرابط **mais** (لكن): تشير لكن إلى التعارض القائم بين القضايا التي تربط بينها وتميل إلى أن نستنتج من "أ" نتيجة ما، لا ينبغي القيام بذلك لأن "ب" وهي صحيحة مثل "أ" تقترح النتيجة المضادة.¹

يوضح الرابط الحجاجي "لكن" أي "Mais" علاقة القوة الحجاجية، ويوضح أيضا مفهوما جديدا هو مفهوم التناقض الحجاجي، وتفترض هذه العلاقة أنه إذا كانت حجة "ق" تنتمي إلى قسم حجاجي آخر تحدده النتيجة المتناقضة "لان"، وحين ينتمي قولان "ق" و"ق1"، إلى القسم الحجاجي نفسه، فإننا نقول أن لهما نفس الوجهة الحجاجية أو يشتركان فيها. وعلى العكس ينتمي ق و ق1، كلاهما إلى قسمين حجاجين متناقضين ونقول أن لهما توجهها حجاجيا متناقضا، وتمثل علاقة التناقض الداخلي بالطريقة التالية:²



لرابط "لكن" أي "Mais"، الخاصية الحجاجية المتمثلة في أنها تؤلف بين علاقة القوة الحجاجية وعلاقة التناقض الحجاجي، وتجمع بينها، و بناءً على ذلك حين توجد علاقة قوة حجاجية بين حجتين فذاك لا يستلزم بالضرورة أن الحجج تنتمي إلى السلم الحجاجي نفسه، ولتوضيح هاتين الميزتين نأخذ الأمثلة التالية:

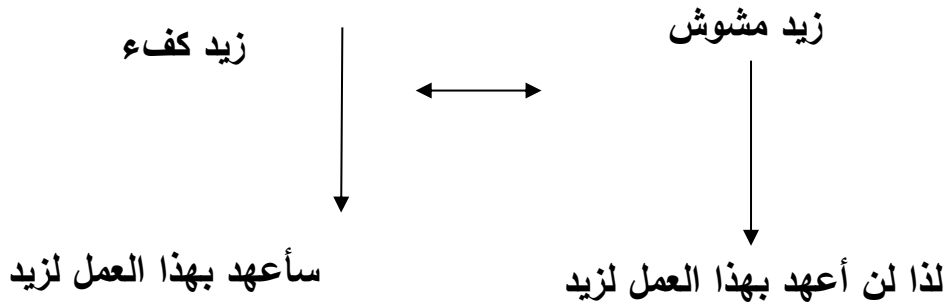
- لو كنت مكانك لما عهدت بهذا العمل لزيد، إنه كفاء ولكنه مشوش.
- لوكنت مكانك لعهدت بهذا العمل لزيد إنه كفاء ولكنه مشوش .

¹ - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص ص 26- 27.

² - أن ريبول و جاك موشلار: القاموس الموسوعي للتداولية، ص 300.

نحن نسلم أن كون الشخص كفاءً ينتمي إلى القسم الحجاجي الذي تحدده النتيجة المعاكسة، وبذلك يتضح أن علاقة الترتيب بين الحجج أو علاقة القوة الحجاجية لا يمكن تحديدها بصفة مسبقة¹.

في المثال (1) نجد أن زيدًا مشوش هي أقوى من الحجة زيد كفاء.
أما في المثال (2) نجد أن زيدًا كفاء أقوى من الحجة زيد مشوش².



في السابق كلمة Mais تشير إلى التعارض القائم بين القضايا التي تربط بينها، وهذا ما أكده ديكروديكرو ذلك بقوله: "يمكن أن يبدو أن المتوالية (ق لكن ك) لا تضيف أي معلومة مختلفة عن تلك المعلومة المعطاة بواسطة (ق) و(ك)، وأن "لكن" تعدل فقط الطابع الحجاجي الوحيد لهاتين القضيتين"³.

2.4. العوامل الحجاجية: Les Opérateurs Argumentatifs

أ. مفهوم العامل الحجاجي: يعرف رشيد الراضي العامل الحجاجي بأنه "مورفيم إذا تم إعماله في ملفوظ معين يؤدي ذلك إلى تحويل الطاقة الحجاجية

¹ - آن ريبول وجاك موشلار: القاموس الموسوعي للتداولية، ص 300.

² - المرجع نفسه، ص 301.

³ - أوزفالد ديكروديكرو: السلميات الحجاجية، ص 175.

لهذا الملفوظ¹، فديكرو يؤكد أن وجود بعض المورفيمات في بعض الجمل يعطيها توجيهها حججيا للوصول إلى نتيجة محددة دون غيرها².

فالعوامل الحججية لا تربط بين متغيرات حججية، أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحججية التي تكون لقول ما، وتضم مجموعة أدوات مثل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما...إلا، وجل أدوات القصر³.

ولكي يتضح ذلك نأخذ المثال التالي:

م1: زيد في الخامسة من عمره.

م2: زيد لا يزال في الخامسة من عمره.

إن الملفوظ (م1) لا يحتوي على أي عامل حججيا، أما الملفوظ (م2) فهو يتضمن عاملا حججيا هو "لا يزال"، قد أدى وجود هذا العامل إلى تقوية المعنى وزيادة الطاقة الحججية المضافة فهي غير مستمدة من القيمة الخبرية لهذا العامل، ذلك أن العامل "لا يزال" في هذا الاستعمال لا يضيف معنى جديدا إلى الملفوظ الذي ترد فيه بقدر ما تؤشر لموقف الذات المتلفظة من المضمون المصرح به، وكأن المتكلم بالملفوظ أعلاه يعلمنا أن سن الخامسة هي سن مبكرة لغاية في نفسه تتعلق بمقاصده⁴، إن العامل الحججيا لا يقوم بإضافة مضمون خبري جديد، بل غايته تحويل المضمون الخبري حتى يؤدي وظيفته الحججية.

¹ - رشيد الراضي: المظاهر اللغوية للحجاجيات اللسانية، ص 102.

² - Oswald Ducrot : Les mots du discours, P27.

³ - أبوبكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 27.

⁴ - Oswald Ducrot : Les échelles argumentative, p15-16.

إن الاختلاف بين الجملة الحاملة لعامل حجاجي والجملة غير الحاملة لعامل حجاجي، بيّن في درجة السلم ولأجل هذا كان من وظيفة العوامل علاوة على التوجيه، والتضييق من مدى الغموض وتعدد المعاني والاستلزمات والحد منها عبر العوامل لتوجيه المخاطب¹.

ويظهر مفهوم العامل أكثر في المثال الذي قدمه ديكرود:

- لم يقرأ كل روايات بلزك
- قرأ بعض روايات بلزك

يقول ديكرود: "أطروحتي كانت وماتزال ترى أن الملفوظ (أ)، موجه بالضرورة نحو استنتاج سلبي من جنس الشخص المتحدث عنه محدود المعرفة ببلزك، أما الملفوظ الثاني (ب) فعلى العكس من ذلك، إذ أرى أنه موجه نحو استنتاج إيجابي، من جنس الشخص المتحدث عنه ببلزك"².

ويمكن توضيح مفهوم العامل أكثر في المثال التالي:

الساعة تشير إلى الثامنة.

الساعة لا تشير إلا الثامنة.

إنه بدخول أداة القصر على الجملة تأثرت القيمة الحجاجية للقول أي
الإمكانات الحجاجية المتاحة، فإذا نظرنا في القولين:

الساعة تشير إلى الثامنة، أسرع

الساعة لا تشير إلا الثامنة، أسرع

¹ - عز الدين الناجح: العوامل الحجاجية ، ص 65.

² - ديكرود: السلام الحجاجية ، ص 249.

نرى أن القول الأول سليم، أما الثاني فيبدو غريبا يتطلب سياقًا خاصًا ومعقدًا لتأويله¹.

وعليه نستنتج أن ديكرود أعطى معنى خاصًا للحجاج، وبين أن مبحث الحجاج له منطق خاص به يتمثل في منطق اللغة، أو ما يسمى بالتداولية المدمجة التي قامت بإدماج التداول في الدلالة، كما قدم مجموعة من القوانين التي تحكم الخطاب وتوجهه، ثم اعتمد في تحليله الحجاجي على مجموعة من التقنيات تتمثل في السلام الحجاجية مبينا مفهومها وقوانينها والوسائل التي تعتمد عليها.

¹ - أبوبكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 28.

المبحث الثاني: نظرية المواضع ونظرية التعدد الصوتي

خضعت نظرية الحجاج اللغوي عند أوزفالد ديكرو لمجموعة من التعديلات والتطويرات، إذ تراجع ديكرو عن بعض أفكاره التي اعتمد عليها في بداية نظريته الحجاجية والمتعلقة بما سماه التداولية المدمجة، إذ استغنى عن مفهوم السلم الحجاجي كما تخلى عن اعتبار الروابط والعوامل الحجاجية أنها كفيلة بتوجيه الفعل الحجاجي، وقام باستثمار مفهوم جديد في دراسته يتمثل في مفهوم الموضع غرضه من ذلك التأكيد من جديد أن الحجاج يخترق اللغة في جميع أبعادها التركيبية والدلالية والمعجمية، لقد اقترض ديكرو مفهوم الموضع من التنظيرات الأرسطية لكن أعطاه معنى جديداً، كما أدخل مفهوم التعدد الصوتي في الدراسات الحجاجية ويعتبر إدماج هذا المفهوم كذلك تطوير لنظرية الحجاج اللغوي، إذ أخذ مفهوم الأصواتية من مجال الأدب وأدخله على دراسته في فلسفة اللغة واللسانيات وبذلك عدل من جديد نظريته في الحجاج.

وعليه نتساءل: ما مفهوم الموضع؟ وما وظيفته؟ وماهي أنواعه؟

وكيف نقل ديكرو ظاهرة التعدد الصوتي من مجال الأدب إلى مجال فلسفة اللغة واللسانيات؟ وما هو الجهاز المفاهيمي لهذه الظاهرة؟ وكيف طبق ديكرو مفهوم التعدد الصوتي في دراساته الحجاجية؟

أولاً: نظرية المواضع: La théorie des Topoi

لقد لاحظنا فيما سبق أن نظرية الحجاج اللغوي عند أوزفالد ديكرو انبثقت من توجهين مختلفين الأول النزعة التداولية في اللسانيات و الثاني أعمال الخطابة الجديدة مع بيرلمان، لكن ما يجب التذكير به أنها تجاوزت أفكار هذه التوجهات وجاءت بالجديد، فالحديث عن الموضع الحجاجي ضمن نظرية الحجاج في اللغة

يهدف إلى تجذير الحجاج ضمن البنية التركيبية والمعجمية للغة، وعليه تم الاعتماد على مفهوم الموضع بغرض مجاوزة المفهوم الضيق للحجاج الذي يعتمد على بنيات جزئية ومحدودة كالروابط والعوامل الحجاجية.

إن جل ما سبق ذكره حول نظرية الحجاج في اللغة يتعلق ببداياتها، لكن ديكرود قام بتطوير هذه النظرية وتدقيق بعض المفاهيم ومراجعة بعض القضايا، وأكد على أهمية الموضع في بنية اللغة حتى يبين على رسوخ الحجاج داخل اللغة.

إن أهم ما تتميز به نظرية الحجاج عند ديكرود - كما لاحظنا فيما سبق -، أنها رفضت الخلط أو الجمع بين الحجاج والاستدلال، فالحجاج ذو علاقة خطائية تقوم بين قولين أحدهما يكون حجة والثانية تكون نتيجة، بينما الاستدلال هو العلاقة التي تتعقد بين الحدث س وإلقاء القول ق، حيث تكون س نقطة انطلاق لاستنتاج ما يفضي إلى إلقاء القول ق¹. وعليه لتحقيق هذا الحجاج لابد من الاعتماد على المواضع، لهذا نتساءل ما مفهومها؟ وكيف يتحقق عبرها الحجاج؟

1. مفهوم الموضع :

ورد في قاموس الحجاج لكريستيان بلانتان مفهوم الموضع كالتالي: " كلمة موضع Topos وجمعها مواضع Topoi، وهي نسخة فرنسية من الكلمة اللاتينية المكان، وتتصل في اللاتينية بالأمكنة المشتركة"².

إن مفهوم الموضع استعير من مواضع أرسطو، وهو مفهوم يعين مبادئ مقبولة داخل مجموعة لغوية، وهذه المبادئ تكون بمثابة الدعائم للعملية الحجاجية³، وهذا ما أكده ديكرود بقوله: " أخذت مفهوم الموضع بطبيعة الحال من المفهوم الأرسطي، لكن يختلف عن المفهوم

¹ - آن ريبول وجاك موشلار: القاموس الموسوعي للتداولية، ص 336.

² - Christian Plantin : dictionnaire de l'argumentation, Lyon, 1 Éd, 2016, p573.

³ - آن ريبول وجاك موشلار: القاموس الموسوعي للتداولية، ص 340.

الذي جاء به أرسطو في الخطابة الكلاسيكية، إن المفهوم الذي سأقدمه هو أنه عبارة عند دعامة Un Garant تسمح بالانتقال من الحجة إلى النتيجة، هذه الدعامة المتعلقة بالتسلسلات الحجاجية هو ما أسميه موضع¹، إن الموضع مبدأ حجاجي عام يستعمله المتخاطبون ضمناً للحمل على قبول نتيجة ما، فهو فكرة مشتركة لدى عدد كبير، فالمواضع دعامة أساسية في تأكيد حجاجية الملفوظ لما توفره من قيمة استدلالية مرجعية، ومن ثم لها دور وتأثير في إقناع المتلقي، وذلك من خلال دفع الملفوظ نحو مرجعية تمتلك سلطة تؤثر في المتلقي وتجعله يسلم بالحجة المقدمة إليه.

إن مفهوم الموضع أخذ منحى مغايراً بعض الشيء للأصل الأرسطي، لكنه أبقى على الفكرة الأساسية له المتمثلة في أن كل خطاب يكون دائماً محكوم بمجموعة من المواضع أو مبادئ عامة، أو أمكنة مشتركة، وتؤدي دور المسوغ والمعلل والضامن للانتقال من المقدمات إلى النتائج²، فالترابط الخطابى بين الحجة والنتيجة يتحقق بالاعتماد على المواضع أو المبادئ العامة.

ولتوضيح مفهوم الموضع نأخذ المثال التالي:

- هذا الدرس صعب، انتبه جيداً إذن.

إن الملفوظ الأول: هذا الدرس صعب هو حجة.

و الملفوظ الثاني: انتبه جيداً هو نتيجة.

يمكننا القول أن هذا المثال محكوم بالموضع الذي يمكن صياغته كما يلي:

إذا كان الدرس صعباً، يكون الانتباه ضرورياً.

¹ - Oswald Ducrot : topois et formes topiques, éd Kim ,Paris ,1984 ,p4.

² - رشيد الراضي: مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية، مجلة عالم فكر، العدد 40، الكويت، 2005، ص198.

إن الانتقال من الحجة إلى النتيجة محكوم بالموضع، الذي يعتبر الضامن الذي يجيز هذه النقلة، ويمكن إيضاحها بالشكل التالي:

هذا الدرس صعبٌ ← انتبه جيدا

نقطة حجائية

{ موضع: إذا كان الدرس صعبا، يكون الانتباه ضروريا. ¹ }

وعليه يمكن القول أنه كي يتحقق الترابط الحجائي بين الملفوظات، يجب الاعتماد على مجموعة من المواضع أو المبادئ العامة، وهذا حتى تكون الحجج قوية وتساهم في إقناع المتلقي، كما نلاحظ أيضا تأثر ديكرود ببييرلمان في تصوره للحجاج الذي لطالما أكد أن غايته استمالة وإقناع المتلقي.

إن المواضع هي مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين مجموعة بشرية معينة، فالجميع يسلم أن العمل يؤدي إلى النجاح، وأن التعب يتطلب الراحة، والصدق والكرم من القيم الإنسانية الفاضلة، كما أن الجميع يتقبلون أن انخفاض درجة الحرارة يستدعي سقوط المطر ²، وعليه فالمواضع هي مبادئ عامة منها ما يرتبط بالقيم ومنها ما يرتبط بالطبيعة والعالم، تؤمن بها مجموعة من الناس، وتساهم في إقناع المتلقي.

2. خصائص المواضع:

وللموضع خصائص ثلاث لخصها ديكرود كالتالي: "هي معتقدات مشتركة بين جماعة من المخاطبين ...، وهي عامة للخطاب الحجائي، إذ تتميز

¹ - رشيد الرازي: المظاهر اللغوية للحجاج، ص 193.

² - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 32.

بالعمومية، كما أنها تتميز بالترجيبة¹، وقد شرح أبو بكر العزاوي هذه الخصائص كالتالي:

- أنها مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة.
- العمومية: حيث تصلح لعدد كبير من السياقات المتنوعة.
- التدرجية: إذ تقيم علاقة بين محمولين تدرجيين، أو بين سلمين حجاجين، ومثال ذلك العمل - النجاح²، فالمواضع مجموعة من الأفكار و المعتقدات المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة، إذ يسلمون بنفس المعتقدات حول نفس الخطاب، كما أنها تصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة لأنها ترتبط بالرأي العام، فهي مجموعة من المبادئ العامة يعتمد عليها المتكلم ليقوي حججه، كما تتعلق المواضع بنوعين مختلفين متدرجين من القيم.

3. أشكال المواضع:

إن الأشكال المختلفة للمواضع يمكن تصنيفها إلى نمطين متمايزين هما مواضع مباشرة، ومواضع معاكسة، ويمكن القول أن النمط المباشر يكون في حالة أن الملفوظين (الحجة - النتيجة) ينحوان المنحى نفسه من جهة القلية أو الكثرية، أما الموضع من النمط غير المباشر فيكون في حالة إذا كان كل ملفوظ يأخذ منحى معاكس للملفوظ الآخر³، وهذا ما أكده ديكرود بقوله: "إن العلاقة بين تسلسلين حجاجين أ و ب تظهر على نمطين، فإذا كان لهما نفس الاتجاه صورتها (+أ،+ب) أو (-أ،-ب)، وهناك نمط ثانٍ وهو أن يكون التسلسلان متعارضان، ويمكن تقديمهما بالصورتين (+أ،-ب) أو (-أ،+ب)"⁴.

¹ - Oswald Ducrot : topoi et formes topiques,p2.

² - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص31.

³ - رشيد الراضي: مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية، ص 207.

⁴ -Oswald Ducrot : topoi et formes topiques,p3

ولتوضيح ما سبق نأخذ المثال الذي قدمه رشيد الراضي:

- مباراة اليوم بالغة الأهمية، سنستمتع بمشاهدتها كثيرا.

- مباراة اليوم لا أهمية لها، ليس في مشاهدتها أي متعة.

إن المتحدث في التأليف الأول ينطلق من الموضوع: بقدر ما تكون أهمية المقابلة كبيرة، بقدر ما تكون المتعة في مشاهدتها عظيمة.

أما المتحدث في التأليف الثاني ينطلق من الموضوع التالي :

- بقدر ما تكون المباراة قليلة الأهمية، بقدر ما تكون المتعة في مشاهدتها ضعيفة¹.

فالخطاطة الموضوعية المعمول بها في المثالين واحدة وهي الموضوع المباشر، فالمثال الأول صيغته (+،+)، أما الثاني فصورته (-،-).

وعليه يمكن القول أن الخطاطة الموضوعية المباشرة تتضمن صنفين هما (+،+)، (-،-)، لكن الخطاطة الموضوعية المعاكسة تتضمن صورتين هما (+،-)، (-،+) و (+،-).

أكد ديكرو أن للمواضع أشكال تتحدد بـ "أكثر" و "أقل"، ولها أربعة أشكال هي: (+،+)، (-،-)، (-،+)، (+،-)، وعليه فكلما كانت هناك استجابة لبعض الشروط، و كلما كانت الخاصية أكثر أو أقل في شيء ما، كانت خاصية أخرى في شيء آخر أكثر أو أقل².

ويمكن توضيح هذه الأشكال أكثر بالأمثلة التالية:

1. اشتر هذا الكتاب، فثمنه ألف دينار.

¹ - رشيد الراضي: المظاهر اللغوية للحجاج، ص 207.

² - Oswald Ducrot: pérateurs argumentatifs et visée argumentative, Cahiers de linguistique française, Univ. de Genève, n° 5, 1983, p13.

2. لا تشتت هذا الكتاب، فثمنه ألف دينار.

3. اشتر هذا الكتاب، فثمنه ألف دينار فقط.

4. لا تشتت هذا الكتاب، فثمنه ألف دينار فقط¹.

إن المثال الأول ينطبق عليه شكل الموضع (+،+)، فيرى أن الثمن الغالي للكتاب يتناسب مع الكتاب، أما المثال الثاني فيحدد بالشكل (+،-)، ويرى أن الثمن الغالي لا يتناسب مع الكتاب، بينما المثال الثالث فيحدد بالشكل (-،+)، ويرى أن الثمن المنخفض يتناسب مع الكتاب، في حين المثال الرابع فيحدد بالشكل (-،-) ويرى أن الثمن المنخفض لا يتناسب مع الكتاب.

4. أنواع المواضع:

ميز ديكرود بين نوعين من المواضع وهي: المواضع الداخلية والمواضع الخارجية، فيرى أنه إذا كانت النتيجة الموجودة في الموضع في نفس معنى الحجة فهو موضع داخلي، أما إذا كانت النتيجة مغايرة لمعنى الحجة ومختلفة عنها فهو موضع خارجي².

الموضع الداخلي: يعتبر الموضع داخليا إذا كان يؤسس دلالة الوحدة المعجمية، أي الكلمة، ومن أمثلة الصور الموضعية الداخلية ما يلي:

- زيد ثري، إنه قادر على اقتناء ما يريد.

- عمر عبقرى، فهو يحل المشكلات المستعصية.

ففي الملفوظات السابقة نجد أن العنصر التالي، هو مجرد صياغة للعنصر

الأول، فالغنى يستدعي القدرة الشرائية، والعبقرية تستدعي حل المشكلات³.

¹ - عز الدين الناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 95.

² - Oswald Ducrot : topoi et sens ,p10.

³ - رشيد الراضي: مفهوم الموضع في الحججيات اللسانية، ص 213-214.

فهذا الملفوظ وظيفته هي الإشارة إلى المخصوص الذي أعمل من ضمن شعلة المواضع المترابطة، بالوحدة المعجمية "ثري"، أي (+يملك، +قدرة على الشراء)، ولتأكيد هذا الرأي يمكن توضيح ذلك بالرابط "لكن" الذي يقع ضمن بنيتين متعارضتين

في الأمثلة السابقة يمكن أن نقول:

زيد ثري، لكنه يستطيع اقتناء ما يريد.

عمر عبقرى لكنه يستطيع حل المشكلات.

إن المخاطب الذي يمثل هذه الملفوظات يود بقوله " هذا أمر بديهي"، طبيعي أن يكون كذلك، وهذا دليل على الشرط الثاني ما هو إلا تكرار للشرط الأول¹، وهذا النوع من المواضع هو الداخلي.

الموضع الخارجي: إذا كانت المواضع الداخلية طرفاها يحملان تكافؤا دلاليا، فإن المواضع الخارجية طرفاها متعارضان ولتوضيح ذلك نأخذ الأمثلة التالية:

- زيد غني، فهو إذن بخيل.

- عمر عبقرى، فهو إذن لا يطاق.

ففي المثال الأول أحيانا يتم الربط بين الغنى والبخل، ولكن مع ذلك البخل لا ينتمي إلى الدلالة الداخلية للمعنى، لكن أثناء قولنا:

- زيد غني، لكنه بخيل.

- عمر عبقرى، لكنه لا يطاق.

¹ - Anne Elleerp Nulsen : quels topoi permet-il ,revue romane,n34 :1999,p7

في هذه الأمثلة تمكنا من إدخال الرابط لكن دون الإخلال بالمعنى، لأنه يربط بين بنيات متعارضة¹.

5.العوامل والروابط والمواضع:

لقد تم إدراج مفهوم الموضع ضمن نظرية الحجاج في اللغة نتيجة لتراجع دور العوامل والروابط، فالإرشادات والتوجيهات الحجاجية في هذه النظرية لم تعد مرتبطة بالعوامل والروابط كما كانت في بداية النظرية، بل أصبحت مرتبطة وحاضرة بالجمل مسبقا من خلال المواضع، فالتأليف بين الحجة والنتيجة هو دور الموضع، وهذا ما أكده شكري المبخوث بقوله: "إن العلاقة بين الحجة والنتيجة غير ملزمة بصفة مطلقة، إذ يمكن استخلاص النتيجة وضدها شريطة المرور بالمواضع التي تمثل مصفاة لاتباع هذا المسار أو ذاك، وهذا ما يفسر كون الحجاج مفتوحا على احتمالات شتى بما أنه لا يقدم حقائق مطلقة"²، وعليه تغير مفهوم الجملة، وهذا ما صرح به ديكر:

"يمكن وصف الجملة بأنها مجموعة من المواضع، وهذه المواضع هي من يحقق إمكاناتها الحجاجية"³، إذ أصبح ديكر يعتمد على مفهوم جديد لدلالة الجملة الحجاجية، فلم تعد خلاصة إرشاداتها المرتبطة بالعوامل الحجاجية، وأصبحت الوظيفة الحجاجية حاضرة في الجملة سواء بوجود العوامل أو في غيابها، فدلالة الجملة تتعلق بالمواضع.

1.5.الرابط والموضع : لتبين دور الرابط والموضع في نظرية الحجاج نأخذ

الرابط " لكن " الذي كان له دور أساسي في بداية هذه النظرية إذ أنه يربط بين

¹ - رشيد الراضي: مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية، ص 215-216.

² - شكري المبخوث: نظرية الحجاج في اللغة، ص 383.

³ -Oswald Ducrot :les topoi dans la théorie de l'argumentation, éd kime,paris1993 ,p.239

حجتين متعارضتين، ويشير إلى قوة الثانية في مساندها للنتيجة، يقول ديكر: "إن الرابط "لكن" يمكن وصفه بأنه كلمة تربط بين حجتين متعارضتين للوصول إلى النتيجة المضادة"¹، إلا أن هذا الوصف تغير ضمن نظرية المواضع الجديدة التي قدمها ديكر، فالرابط "لكن" ليس له دخل في تعيين الصلة بين الحجة والنتيجة.

ومثال ذلك الكتاب مفيد لكن ثمنه باهض.

إن الارتباطات الحجائية الموجودة في هذا الملفوظ لم تتحقق بفضل الرابط "لكن"، بل بفضل المواضع، فبقدر ما يكون الكتاب مفيدا يستحق الاقتناء، والثاني هو الوارد في المقطع " ثمن الكتاب باهض"، والذي يتجه إلى نتيجة مقدره مثلا: "لا تشتر هذا الكتاب"، وهذا التأليف تحقق بفضل الموضوع، بقدر ما يكون ثمن الكتاب باهضاً لا يستحق الاقتناء"²، أما عمل الرابط هنا اقتصر على الترحيح بين المكونين واختيار المسار الذي يُوشر إليه الموضوع الموجود في الملفوظ الحجائي³، وهنا نلاحظ أن نظرية الحجج اللغوي أعطت أهمية كبيرة لدور الرابط الحجائي في تحديد الوجهة الحجائية، بينما في مراحلها المتأخرة استغنت عن دوره وألحقت هذا الدور للموضع الحجائي.

2.5. العامل والموضع: لقد كان دور العامل الحجائي في نظرية الحجج

في اللغة كذلك هو من يكسب الجملة وجهتها الحجائية، لكن بإدخال مفهوم الموضع عليها، أصبح العامل لا يؤدي الوجهة الحجائية وحده إلا بالاعتماد على مجموعة من المواضع، يقول ديكر: "يجب أن نضع في الاعتبار حقيقة أن النتيجة يتم الوصول إليها بشكل عام عن طريق الاعتماد على مجموعة من المواضع،

¹ - Oswald Ducrot :les topoi dans l'argumentaion ,p3.

² - رشيد الراضي: مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحججيات اللسانية، ص220.

³ - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

فالموضع هو الذي يقود إلى دقة الاستنتاج¹، فالعامل كعنصر لساني محض غير قادر على تحديد الوجهة الحجاجية وتحديد النتيجة تحديدا صارما يتناسب مع طبيعة الملفوظ، وعليه إن تحديد المسار التأويلي والربط بين الحجة والنتيجة يكون أساسا بالاعتماد على المواضع المشتركة². لذلك لا يجب الاعتماد على العامل وحدة بل يجب الاعتماد على المواضع فهي العامل الرئيس في تحقيق الربط بين الحجة والنتيجة، ولكي يوجه العامل الملفوظ نحو النتيجة لا بد من تشغيل المواضع.

إن العامل الحجاجي يرسم المسار الحجاجي الضامن للوصول إلى النتيجة ولا تكون له هذه الوظيفة البنيوية إلا بعد أن يكون هناك موضع يؤيد ويضمن نفس المسلك الحجاجي الرابط بين الحجة والنتيجة، يلزمها الموضع ضمنا ويكشف عنها العامل صراحة، لذلك يقول شكري المبخوث: "لما كانت بعض التراكيب والأساليب تمثل تعليمات وتوجيهات حجاجية منذ المستوى اللغوي، فإن الجملة التي تتجزأ في مقام مخصوص لا تفضي إلى نتيجة محددة إلا بالإحالة على موضع من المواضع"³.

ولتوضيح دور العامل الحجاجي والموضع نأخذ المثال التالي:

- يمكن زيدا قيادة الحزب، فهو في الأربعين من عمره، بل والخمسين.
فهذا الملفوظ يقتضي توجيهها حجاجيا محددًا بالاستنتاج إلى موضع مخصوص، يتمثل في أن صفة التقدم في العمر صفة إيجابية في تدبير شؤون الأحزاب.

¹ - Oswald Ducrot: Opérateurs argumentatifs et visée argumentative, p 29.

² - عز الدين الناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 115.

³ - شكري المبخوث: نظرية الحجاج في اللغة، ص 383.

ولكي نلاحظ الفرق نأخذ المثال السابق لكن بعد إدخال العامل الحجاجي عليه ويكون كالتالي:

- يمكن لزيد قيادة الحزب، فهو لم يزل في الأربعين من عمره، بل والخمسين.

بعدما أدخلنا العامل "لم يزل" أخذ بالمسار الوارد في الملفوظ الثاني الذي يربط بين حداثة العمر والأهلية في قيادة الحزب، أي تم إعمال الموضع بقدر ما يكون العمر حديثاً تكون الأهلية للقيادة¹.

فهذا التوجيه الحجاجي كان بفضل الموضع، و ما دور العامل إلا المساهمة في انتخاب المسار الممكن ضمن المسارات الحجاجية، فهو ليس المسؤول عن النقلة الحجاجية، فهذه العملية هي دور للموضع، وهذا ما أكده ديكر، أن الجديد في نظرية الحجاج في اللغة لم يعد مستمداً من بنية اللغة الداخلية انطلاقاً من العوامل الحجاجية والروابط بل أصبح يرتبط بالمواضع وتسلسل الخطاب².

نستنتج أن المواضع لها أثر كبير في عملية إقناع المخاطب واستمالاته، وتوجيهه نحو قبول النتيجة، كما أن لها دوراً كبيراً في تحقيق الترابط والتأليف بين الملفوظات التي يستعملها المتخاطبون، ووجود الروابط والعوامل الحجاجية غير كاف لضمان سلامة العملية الحجاجية، بل لابد من وجود ضامن أساسي نعتمد عليه هو الموضع.

¹ - رشيد الراضي: المظاهر اللغوية للحجاج، ص 221.

² - Oswald Ducrot :Opérateurs argumentatifs et visée argumentative,p36.

ثانياً: التعدد الصوتي عند ديكرو:

1. المصطلح والنشأة:

من مظاهر تطوير نظرية الحجاج في اللغة عند ديكرو، إدخال مفهوم جديد وهو ما يعرف بالتعدد الصوتي، أو النظرية الأصواتية، وما يجب التأكيد عليه أن هذا المفهوم استلهمه ديكرو من طرف ميخائيل باختين. إذ أنه استعمل مصطلح التعدد الصوتي في كتابه "شعرية دويستفسكي" سمى الفصل الأول منه رواية دويستفسكي متعددة الأصوات، ليدمج هذا المفهوم في إطار دراسته للخطاب غير المباشر الحرّ، أما ديكرو أدخل مفهوم تعدد الأصوات في نظريته اللسانية المتعلقة بأفعال الكلام ومبادئ الحوار، وقد ظهر كأول مرة في كتابه كلمات الخطاب سنة 1980، وفي سنة 1984 خصص له فصلاً كاملاً في كتابه القول والمقول واكمل مفهوم الأصواتية عنده، وتهتم نظرية تعدد الأصوات بالمتكلم الذي عاد إلى الظهور بفضل باختين وديكرو، حيث قدما رؤية جديدة حوله، وتتمثل في أن المتكلم في الخطاب يمكنه أن يكون متعدداً، أو أن يظهر بصور وأشكال متعددة.

تأثر ديكرو بنظرية التعدد الصوتي التي قدمها باختين ورفض فرضية وحدة الذات المتكلمة، لكن في الوقت نفسه خالف باختين الذي اهتم بتعدد الأصوات في النصوص، أو متتالية من الملفوظات، بينما ديكرو اهتم بتعدد الأصوات في الجمل أي في الملفوظ الواحد، يقول ديكرو: "لكن نظرية باختين هذه، حسب ما عرف كانت تطبق على النصوص، يعني على متتاليات من الملفوظات، ولم تطبق أبداً على الملفوظات التي تتكون منها النصوص"¹. إن التحليل الحجاجي لتعدد الأصوات في نظرية الحجاج في اللغة يكون على مستوى الملفوظات، لا على مستوى النصوص.

¹ - ديكرو: القول والمقول ، ص176.

ترتبط نظرية الحجاج في اللغة كما رأينا سابقا أشد الارتباط بأدبيات فلسفة اللغة الأنجلوساكسونية، خصوصا مع أبحاث أوستين و سيرل وغرايس، فقد كان هدف ديكرو تطبيق أفكار هذا التوجه في ميدان اللسانيات، لكن هناك تحول شهدناه في مطلع الثمانينات يسعى إلى بلورة تصور جديد يتم فيه استبدال مفهوم الفعل التكلمي بمفهوم الأصواتية¹. فوحدة الذات المتكلمة من المسلمات الأساسية التي استقرت لمدة طويلة في المدارس اللسانية، إضافة إلى توجهات فلسفة اللغة خاصة مع نظرية أفعال الكلام، إذ كان جميع الدارسين ضمن هذه التوجهات يلجؤون إلى فرضية مسبقة أن كل ملفوظ له لافظ واحد لا أكثر، غير أن هذه المسلمة كانت محط مراجعة ومساءلة من طرف ديكرو في أبحاثه المتأخرة.

أكد طه عبد الرحمن أن نظرية تعدد الأصوات تؤكد أن القول لا تقوم به ذات واحدة، وإنما تتشارك في القيام به ذوات كثيرة كما لو كانت أصواتا مختلفة تأتلف فيما بينها للنطق به في مرة واحدة، وهي لا تقتصر على ذات المتكلم الذي تولى النطق بالقول وذات المستمع الذي توجه إليه هذا القول، بل تتعداها إلى ذوات أخرى تكون هي المسؤولة عن الأغراض الكلامية التي يحملها هذا القول، وذوات غيرها تكون هي التي تتوجه إليها الأغراض الكلامية التي يحملها هذا القول². أي أن المتكلم متعدد ينقسم إلى ذوات كثيرة، كل ذات لها وظيفة خاصة ومعينة فهناك الذات الناطقة والذات الفاعلة وكل واحدة منها تختص بوظيفة خطابية تتعدد بتعدد الغرض الكلامي الذي ينطوي عليه القول.

قدم طه عبد الرحمن مثالا عن التعدد الصوتي فيقول: "لو قال القائل: "لم ينته زيد من عمله"، فإنه يكون بقوله هذا قد ازدوج وصار ذاتين فاعلتين، إحداها

¹ - فالح عبد الله سلاهي: نظرية التعدد الصوتي في البلاغة الجديدة، مجلة كلية التربية، العراق، العدد 38، ج1، 2020،

² - طه عبد الرحمن: اللسان، الميزان أو التكوثر العقلي، ص 28

تطابق ذاته الناطقة وتقع عليها مسؤولية القول بأن زيذا لم ينته من عمله، والثانية تباين ذاته الناطقة وتقع عليها مسؤولية القول بأن زيذاً انتهى من عمله"¹، أي أنه عندما ينتج المتكلم الملفوظ فإنه يضعنا أمام عدة متلفظين وهم ينجزون أفعالاً كلامية، ويمكن للمتكلم أن يتماهى مع المتلفظين ويتبنى أفعالهم أو يخالفهم ويتباين معهم ويظهر كما لو أنه شخص مختلف عنهم.

إن التعدد الصوتي حسب ديكرود يندرج من مسلمة أساسية مفادها أنه: "عندما ينتج المتكلم الملفوظ نعني بذلك جزء من الخطاب، ما يعادل جملة لغوية، فإنه يضعنا أمام مجموعة من متلفظين وهم يقومون بإنجاز أفعال كلامية، لذلك يمكن للمتكلم اتخاذ الموقفين التاليين: أن يتماهى معهم فيتبنى أفعالهم الكلامية أو أن يتباين معهم فيجعلهم أشخاصاً آخرين مختلفين عنه سواء حدد هويتهم أو لم يحددها"²، وعليه كل ملفوظ يحتوي على تعدد في الأصوات وتعدد في الأشخاص.

2. انتقادات التصور الواحد:

انتقد ديكرود فكرة واحدية الذات المتكلمة، ولتبين هذه الانتقادات قدم لنا ديكرود مجموعة من الخصائص التي تحملها الذات الناطقة تتمثل فيما يلي:

- الذات الناطقة مكافئة بكل النشاط النفسي و الفيزيولوجي الضروري لإنتاج الملفوظ، فمثلاً القول إن شخصاً ما س هو صاحب الملفوظ "الطقس جميل" فإن المتلفظ به في لحظة ما وفي مكان ما، يعني أن نسنده إليه العمل العضلي الذي سمح بجعل الكلمات "الطقس جميل" مسموعة، وأن نسنده إليه كذلك النشاط الذهني

¹ - طه عبد الرحمن: اللسان ، الميزان أو التكوثر العقلي، ص 28

² - Oswald Ducrot et Jaune – claude Anscomber: argumentation dans la langue; p175.

الضمني، بمعنى تكوين حكم واختيار كلمات وتشغيل قواعد نحوية¹. أي أن المتكلم متعدد الأنشطة فهو من يفكر ويحكم وينطق، و له جهد نفسي وفكري وعضلي.

- الذات الناطقة هي أن تكون صاحبة الأعمال المتضمنة في القول المنجزة في إنتاج الملفوظ، وهي مرجعها الذي صدرت منه، فمثلا الأفعال الكلامية كالأمر والطلب والإخبار، تقوم بها الذات الناطقة فهي من تأمر وتقدم طلبا وتخير و تمدح وتذم، وبالعودة إلى المثال السابق، نقول إن س ذاته الذي انتج الكلمات الطقس جميل، هو كذلك الذي أثبت جمال الطقس². في التصورات السابقة لنظرية أفعال الكلام الملفوظ الواحد يؤدي فعلا كلاميا واحداً، لكن ديكرو يربط الملفوظ الواحد بكثير من الأفعال الكلامية، كما يجزأ الفاعلية الكلامية إلى كثرة العناصر التداولية.

- هناك خاصية ثالثة أسندها ديكرو إلى المتكلم هو أن أنهاه معنية بمخصصات الضمير المنفصل "أنا" الذي يرد في الملفوظ، فحين يتعلق هذا الملفوظ بالإشارة إلى كائنات غير لغوية، تصير الذات الناطقة هي الضامنة للأقوال التي يكون فيها الفاعل "أنا"، وهي مالك الأشياء المقصودة ببياء النسبة مثل (مالي، كتبي...)، وهي الموجودة في المكان المسمى "هنا"³. وهذا يعني أن من يستعمل الضمير المنفصل "أنا" هو في ذات الوقت من ينتج الملفوظ، إضافة إلى أنه هو من يعبر عن مقاصده ووعوده وأوامره وتصريحاته.

ويمكن تلخيص الخصائص السابقة للمتكلم كالتالي: الأولى هي التكفل بالنشاط النفسي و العضوي المرفق لإنتاج القول، و الثانية: أنه مصدر الأعمال اللاقولية المنجزة في الأقوال، أما الثالثة: فإنه مفسر وكاشف لضمير المتكلم في القول .

¹ - ديكرو: القول والمقول ، ص 183.

² - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

³ - رشيد الراضي: المظاهر اللغوية للحجاج، ص152.

3. الجهاز المفاهيمي للتعدد الصوتي:

1.3. مفهوم المتكلم Le Sujet Parlant: إن المتكلم هو الشخص الذي يوجد في الخطاب ويعتبر المسؤول عن الملفوظ، أي يعتبر شخصا ينبغي أن تتسب إليه مسؤولية هذا الملفوظ، وإليه يحيل الضمير " أنا " وسائر العلامات المرتبطة به¹، أي هو الشخص الذي أنتج الملفوظات، ويتحمل مسؤوليتها، كما ميز ديكرو بين المتكلم الحقيقي الواقعي، والمتكلم داخل الخطاب.

أ. المتكلم و الناطق الواقعي: **Le Sujet Parlant être du discours** : لكي

يتوضح لنا الفرق بين المتكلم داخل الخطاب، والناطق الواقعي المنتج الفعلي للملفوظ نأخذ المثال التالي: وهو أن طفلا أحضر من المدرسة منشور كتب فيه "أنا الموقع أسفله (فلان بن فلان) أسمح لابني أن (كذا وكذا).....توقيع....."²

وهنا الوالد يقوم بكتابة اسمه والتوقيع تحته، ورغم ذلك ليس هو الكاتب الواقعي للنص، فقد يكون كاتب هذا الشخص مدير المدرسة، أو وزارة التعليم... إلخ، ولكن بمجرد ما يضع الوالد التوقيع يصير في حكم صاحب هذا الملفوظ، والمسؤول عنه ويتماهى مع المنجز الفعلي الواقعي لهذا الملفوظ³، وعليه يمكن القول أن المتكلم قد يكون مختلفا عن الذات التي صدر عنها القول فعلا.

ب - المتكلم الفعلي والمتكلم العالمي: **Le Sujet Parlant être empirique** : لقد

ميز ديكرو سابقا بين المتكلم والناطق الواقعي، ثم اقترح تمييزا آخر بين المتكلم الفعلي والمتكلم العالمي، فالمتكلم الفعلي هو المسؤول عن فعل التلفظ، أي هو الذي ينقلد هذا الفعل

¹ -Oswald Ducrot: le dire et le dit ,p203.

² - رشيد الراضي: المظاهر اللغوية للحجاج ،ص 158.

³ - المرجع نفسه ،ص ص 158 - 159.

ويتبناه ويتحمل مسؤوليته، أما المتكلم العالمي هو شخص مكتمل، له إلى جانب ذلك خواص أخرى، الخاصية المتمثلة في كونه المصدر الذي يصدر عنه الملفوظ¹، كما يجب التأكيد أنهما معا يعتبران شخصين من الخطاب يدرجان ضمن معنى الملفوظ، ولكن لا يجب الخلط بينهما وبين الذات الناطقة التي يمكن الحديث عنها أثناء تمثيلها الخارجي للكلام، وليس ضمن اشتغالها على الملفوظ²، فالمتكلم الفعلي مسؤول عن القول بينما المتكلم العالمي شخص كامل وقابل لأن تسند إليه صفات خاصة رغم أنه يظل كائنا خطابيا.

ولتوضيح هذا الفرق نأخذ الصيغتين الآتيتين:

- أتمنى أن تعمل بجد.

- لينك تعمل بجد.

يرى ديكنز أن الفعل الذي ورد في الصيغة الأولى "أتمنى" ينتمي إلى الأفعال التقريرية النفسية، ومن ثم فإن الفاعل فيه ينتمي إلى المتكلم العالمي، وهذا يعني أننا عندما ننجز التمني في هذا المثال، ننجزه كأشخاص من العالم، ويتم ذلك بصورة مستقلة عن التقرير الذي يعقب هذا التمني ويتعلق به، أما في المثال الثاني، فالمتكلم الفعلي هو الذي يقوم بفعل التمني ويتحقق عبر الكلام الذي تنجزه ذاته³.

إن الفرق الكامن بين المتكلم العالمي والمتكلم الفعلي يتعلق بالمسافة الفاصلة بين الذات والخطاب، فبقدر ما تتماهى الذات مع الخطاب نقترّب من الحلول في المتكلم الفعلي، وبقدر ما يتميز الخطاب بالموضوعية نقترّب من الحلول في المتكلم العالمي⁴.

¹ - المرجع نفسه، ص 165.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - Oswald Ducrot: le dire et le dit, p201-202.

⁴ - رشيد الراضي: المظاهر اللغوية للحجاج، ص 166.

وليبيين ديكرو الفرق أكثر بين المتكلم الفعلي والمتكلم العالمي لجأ إلى حقل الخطابة، فأرسطو أكد أنه من بين حيل الإقناع التي يلجأ إليها الخطيب هو تقديمه لذاته بصورة إيجابية تغري السامع حتى يحظى بترحيباته، وهذا ما يسمى بالإيتوس، أي أخلاق الخطيب، وتكون من خلال الأسلوب الذي يمارس به نشاطه الخطابي، ويؤكد ديكرو أنها تتم من خلال إيقاع الكلام ونبرة الصوت بمعنى أن يكون هادئاً أو حاداً، كما يتعلق الأمر باختيار الكلمات والحجج التي تبين صفاته الأخلاقية¹.

يرى ديكرو أن الإيتوس أي أخلاق الخطيب تتعلق بالمتكلم الفعلي، باعتباره مصدر التلطف، يخضع لجملة من الخصائص تؤدي إلى قبول التلطف أو رفضه بصورة غير مباشرة، بينما ما يقوله الخطيب عن نفسه باعتباره موضوعاً للتلطف فيتعلق بالمتكلم العالمي، وهو لا يدخل في باب الإيتوس، فحينما يحظى الخطيب بتأييد جمهوره فيدخل من باب المتكلم العالمي وحينما يبتعد يكون متكلماً فعلياً²، وهنا يظهر التعدد الصوتي، إذ تبين أن المتكلم، أي الشخص الذي يتبنى مسؤولية ما يرد في الخطاب والذي يحيل عليه الضمير أنا متعدد منه الفعلي ومنه العالمي .

2.3. في مفهوم المتلطف: Enonciateur: المتلفظون هم الأشخاص من

المفترض أنهم يعبرون عن ذاتهم داخل الفاعلية التلفظية، غير أن يكون ذلك من خلال الكلام الصريح المباشر، أي بما يوحي به التلطف، فما يظهر في التلطف ينسب إلى متكلم مخصوص، ويعبر عن آراء متلفظين آخرين³. وعليه فالمتلفظون أصوات متعددة تنسب إلى المتكلم نتيجة للتفاعل اللفظي، فهي وجهات نظر مختلفة لأشخاص عدة.

¹– Oswald Ducrot: le dire et le dit , pp201–200

² – Ibid. ,p201.

³–Ibid, p204.

و حتى يتضح مفهوم المتلفظ نأخذ المثال الموالي:

- إن زيّدًا الذي أنقذ عمرا من الغرق هو من قتله.

في هذا المثال تكون الجملة الموصولة " أنقذ عمرا من الغرق " كلامًا يعبر عن وجهة نظر متكلم معين لشخص واقعي، أما في جملة صلة الموصول فنجد وجهة نظر للمتلفظ بما هو شخص داخل الخطاب نفسه¹. وهنا تظهر التعددية الصوتية من خلال ظهور متكلم ومتلفظ عرض وجهة نظره في عبارة واحدة.

الفرق بين المتكلم والمتلفظ: ليبين لنا ديكرو التعدد الصوتي في الملفوظات، ميز لنا بين المتكلم والمتلفظين، فالمتكلم هو من يكون المسؤول عن التلفظ ويترك آثارا ملفوظة كضمانر المتكلم مثلا وفي استطاعة المتكلم أن يعرض علينا متلفظين يمثلون وجهات نظر مختلفة، وبإمكانه أن يرتبط ببعض المتلفظين في الوقت الذي ينفصل فيه الخطاب²، فالمتكلم هو الشخص الواقعي التاريخي وله تمثيل خارجي، وهو من قام بالفعل الكلامي وهو شخص واحد بينما المتلفظ يحمل وجهات نظر كما قد يكون متعدداً.

صحيح أن ديكرو أخذ فكرة التعدد الصوتي من طرف باختين إلا أنه جاء بالجديد، فهذا الأخير اعتبر أن الخطاب هو جمع بين صوتين الأول يتمثل في صوت منتج الخطاب بينما الثاني هو محتوى الخطاب وهذا ما أكده ديكرو بقوله: "التصور الموسيقي للتعدد الصوتي، يقدم تصور دلالة الملفوظ عبر تعدد الأزواج، إذ أن كل زوج من هذه الأزواج، وكل عنصر من عناصر الدلالة، يجب تبعا لذلك

¹ - شكري المبخوث: إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية، مركز النشر الجامعي ، تونس، ط1، 2006 ،ص 77.

² - باتريك شارودو ودومنيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، ص 433.

أن ينظر إليه بوصفه خطاباً يجمع بين صوت، هو منتج هذا الخطاب أو على الأقل مصدره، ومحتوى أي تمثيل يتكفل بمسؤولية هذا الصوت¹.

لكن الجديد الذي قدمه ديكره هو التمييز بين المتكلم والمتلفظ إذ يقول: "إن التعددية الأساسية مرتبطة بالتمييز بين مصدرين، هما المتكلم والمتلفظ، بالتأكيد إذا كان المتكلم في أكثر الأحيان واحداً، فإنه يوجد على العموم عدة متلفظين ذوي صلات بعدة محتويات، لكن ما تريد النظرية إثباته، هو الطبيعة المختلفة لنوعين من المصادر التلفظية"²، فالمتكلم واحد بينما المتلفظون يتعددون بتعدد وجهات النظر.

وليؤكد ديكره أن المتكلم واحد لكنه في معظم الملفوظات، يعرض عدة محتويات، ويأخذ تجاهها مواقف متباينة، قدم لنا الخطاطة التالية:

الموقف 1 تجاه محتوى 1

الموقف 2 تجاه محتوى 2 المتكلم

الموقف 3 تجاه محتوى 3

فمثلاً في المثال زيد توقف عن التدخين، نقول إن المتكلم يتبنى اعتراف أو تسليم تجاه المحتوى زيد كان يدخن، وموقف تكفل تجاه المحتوى زيد لا يدخن حالياً، ولتوضيح ذلك أكثر نأخذ الملفوظ المنفي (زيد ليس هنا)، فالمتكلم يضع في الحسابان المحتوى (زيد هنا)، وإن كان ينكره، يتكفل بمحتوى آخر مؤداه، القول إما بغياب زيد أو بتخطئة المتلفظ الأول³.

¹- Oswald Ducrot et Marion Carel :Mise au point sur la polyphonie ,in langue française 164, 2009 , p35.

² - Ibid., P 34.

³ - Ibidem .

رفض ديكرو مسلمة وحدة الذات المتكلمة واعتبرها متعددة الكيانات، وهي مجرد كيانات نظرية وليس أفرادا موجودين في العالم، لذلك ميز بين الذات المتكلمة أي الفرد المائل في العالم الذي يتلفظ بالقول وبين المتلفظين الذين يظنون كائنات نظرية لا تتجسم¹، إن المتكلم له وجود فعلي واقعي، بينما المتلفظون هم كائنات نظرية لا وجود واقعي لها، وهنا يظهر التعدد الصوتي بتعدد المتلفظين وتعدد وجهات نظرهم وتمايزهم عن المتكلم.

4. التعدد الصوتي والنفي:

انطلق ديكرو من مسلمة أساسية مؤداها أن: "معظم الأفعال الكلامية المنفية تظهر عملية قولها على أنها صراع بين موقفين متعارضين أحدهما موجب مستندا إلى متلفظ أول وآخر هو انكار لأول مستندا إلى متلفظ ثان"²، اعتمد ديكرو في تحليله للنفي استنادا إلى تعدد الأصوات من ثنائية المتلفظ والمتكلم، وملخص فرضياته حول النفي هو أن كل قول له الصيغة "لا _ ق" ومثال ذلك: زيد ليس كريما، يتضمن فعلين كلاميين متمايزين هما: الأول موجب ويتصل بكرم زيد يتوجه به قائل أول إلى مخاطب أول، والثاني هو رد يستند إلى قائل ثان به إلى مخاطب ثان وهنا يبرز المتلفظ الذي يتخذ وجهة نظر معينة، لذلك يمكن القول أن القول المنفي هو ضرب من المحاوراة تظهر في صورة فعل كلامي واحد³، وعليه كل فعل كلامي يتضمن تعددا في الأصوات واختلاف بين وجهات، يتمثل الصوت الأول للمتكلم بينما الصوت الثاني يتضمن وجهة نظر المتلفظ.

¹ - آن ريبول وجاك موشر: القاموس الموسوعي للتداولية، ص 350

² - Oswald Ducrot: le dire et le dit ,p..215

³ - شكري المبحوث: إنشاء النفي وشروطه النحوية، ص ص 80-81.

ويعد النفي من أهم علامات التعدد الصوتي على مستوى الملفوظ، وقد ميز ديكرو ثلاث صور للنفي يحلها كالتالي:

1.4. نفي ميتالغوي: *Négation Métalinguistique*: يقول ديكرو:

"أطلق اسم النفي الميتالغوي على نقض نفس كلمات للملفوظ الإيجابي للمقتضى، لهذا أقول إن التلفظ السلبي يتجه إلى متلقٍ له تلفظ إيجابي"¹، إذ يقوم بنفي قول قد وقع التلفظ به حقاً، فيقوم بإلغاء مقتضيات القول الموجب الموافقة له ويكون له أثر مبالغة أكثر.

ومثال ذلك: لم ينقطع زيد عن التدخين مطلقاً. في الواقع هو لم يدخن في حياته أبداً.

في هذا المثال تم نقض القول الموجب قد انقطع زيد عن التدخين وفي الجزء الثاني فقد نقض القول، وهذا لا يكون إلا إذا كان متلفظ آخر تلفظ فعلاً بقول قد توقف زيد عن التدخين². وهنا قام المتكلم بنفي قول ما من أجل إثبات قول موجب.

2.4. نفي جدالي: *Négation Polémique*: يختص النفي الجدلي بحالة

التلفظ، فينظر إليه على أنه فعل نفي، أي رفض محتوى مثبت في وقت سابق من طرف متلفظ يختلف عن المتكلم، أو عن الجهة المتلفظة التي صدر عنها هذا العمل القولوي أي فعل النفي. و مثال ذلك: زيد ليس نكياً³.

¹– Oswald Ducrot: le dire et le dit, p217.

²–Ibidem.

³ – Ibid,p217-218 .

إن النفي الجدلي هو حجج يقوم على الاعتراض على ملفوظ سابق، ويرتبط بتعدد الأصوات إذ يعتمد على متلفظين الأول صاحب الملفوظ المثبت السابق، والثاني هو المتكلم الذي نطق بالقول يرفض هذا الإثبات.

3.4. نفي وصفي Néigation Descriptive: يعمل على وصف حالة

الشيء، ولا يراد به معارضة وجهة نظر في الملفوظ، ولتوضيح ذلك قدم لنا ديكرو المثال التالي: لا توجد غيمة واحدة في السماء، فهذا الملفوظ وصف لواقعة¹، فهذا النفي لا يحتوي على أي جدال، فالتكلم عند تلفظه بهذا الملفوظ لا يدحض أي رأي بل يقوم بوصف حالة الجو، ويمكن التعبير عنه بصفة موجبة ونقول السماء صافية.

اقترح ديكرو مفهوم تعدد الأصوات ليخرج من مسلمة أن كل ملفوظ واحد له متكلم واحد، إذ استعار هذا المصطلح وأخذه من طرف باختين الذي استعمله في مجال تحليل النصوص و أدخله ديكرو إلى حقل الحجج والتداولية، وبين أن الملفوظ الواحد له أصواتٌ ووجهات نظر متعددة منها ما يتعلق بالمتكلمين ومنها ما يتعلق بالمتلفظين، وأظهر أن هذا التعدد الصوتي في الملفوظات يظهر خاصة في النفي، إذ أن غرض النفي أحيانا يكون من أجل إثبات صفة إيجابية وأحيانا أخرى يكون غرضه التحايج، كما قد يقوم هذا النفي بوصف الأشياء الموجودة.

¹ - Ibid, p218.

نتائج الفصل الثالث:

- إن أهم ما جاءت به النظرية الحجاجية عند ديكرو هو مشروع التداولية المدمجة، إذ اعتبرها المنطق الجديد الذي يحكم الخطاب الطبيعي.
- إن التداولية المدمجة تهتم بدراسة مقام القول وتبحث عن القوانين المتحكمة في الأقوال، فهي تجمع بين الدلالة والتداول، وجاءت كرد على التداولية الخطية التي تهتم باستعمال اللغة بعيدا عن بنيتها التركيبية.
- هدف ديكرو من خلال أبحاثه في التداولية المدمجة إلى جعل مبحث الحجاج ضمن الدراسات اللغوية المحكمة، وذلك من خلال تبيينه أن الحجاج تحكمه مجموعة من القوانين تحكم التواصل الإنساني .
- يعتمد الحجاج على مجموعة من التقنيات ومن بينها السلام الحجاجية التي تلعب دورا أساسيا في تحديد قيمة الأقوال وقوتها حجاجيا، وهذا السلم الحجاجي بدوره تحكمه مجموعة من القوانين تتمثل في قانون النفي، قانون القلب، قانون الخفض، ويعتمد على مجموعة من الوسائل تتمثل في الروابط والعوامل الحجاجية.
- قام ديكرو بتعديل وتطوير نظرية الحجاج في اللغة وأدخل مفهوما جديدا يتمثل في مفهوم الموضع ذي الجذور الأرسطية لكن أعطاه معنى ومفهوما جديدا.
- إن المواضع هي مجموعة من المعتقدات والمبادئ المشتركة بين مجموعة من الناس وتتميز بأنها عامة ومتدرجة ولها أربعة أشكال مختلفة، وميز بين نوعين المواضع الأول الموضع الداخلي ويكون طرفاه في اتجاه واحد، بينما الموضع الخارجي يكون طرفاه متعارضين أي أنهما ليسا في اتجاه واحد.
- قام ديكرو بتوسيع وتطوير نظريته الحجاجية وأدخل مفهوما جديدا في دراساته سماه بالتعدد الصوتي، وأكد ديكرو أن الفعل الكلامي لا تقوم به ذات واحدة

و إنما تشترك فيه ذوات متعددة كأنها أصوات مختلفة منتقدا بذلك فكرة واحدة
الذات المتكلمة.

الفصل الرابع

امتدادات نظرية الحجاج اللغوي في الفكر
الفلسفي المعاصر

المبحث الأول: انتقادات وامتدادات الحجاج اللغوي في الفكر
الغربي

المبحث الثاني: امتدادات الحجاج اللغوي في الفكر العربي

تمهيد:

تعتبر نظرية الحجاج اللغوي كما أرسى معالمها أوزفالد ديكرو إطاراً نظرياً لتحليل اللغة تحليلاً حجاجياً، إذ أعطت أهمية كبيرة للحجاج، أخذت طابع التأثير والتأثير، لا سيما أن الفكر الفلسفي في سيرورة مستمرة، ونظراً لأهمية هذه النظرية، فقد كان لها أثر على العديد من الدراسات الراهنة سواءً في الفكر الغربي أو في الدراسات العربية، ومن بين الباحثين الذين اهتموا بهذه النظرية نجد الباحثة ماريون كاريل التي استثمرت مفاهيمها وقدمت بحوثاً فردية أو بمعية أستاذها ديكرو وحاولت توسيع هذه النظرية وطرحتها بصورة جديدة أطلقت عليها اسم "نظرية الكتل الدلالية".

أما في الفكر العربي نجد المفكر المغربي أبو بكر العزاوي الذي يعتبر رائداً لنظرية الحجاج اللغوي معرفاً بها ومطبّقاً وموسعاً لها، إذ قدم العديد من الدراسات والبحوث النظرية والتطبيقية حول هذه النظرية، كما حاول تطبيقها على نطاق كبير لتشمل العديد من النصوص والخطابات.

لقد كان لنظرية الحجاج في اللغة أهمية كبيرة لهذا استمر الاهتمام بها، ولهذا نتساءل كيف استثمر كل من ماريون كاريل وأبو بكر العزاوي مفاهيم هذه النظرية في أبحاثهما؟ وما مدى تطبيقهما لهذه النظرية؟

المبحث الأول: انتقادات وامتدادات الحجاج اللغوي الفكر الغربي

أولاً: انتقادات نظرية الحجاج في اللغة

لاحظنا في الفصول السابقة أن نظرية الحجاج اللغوي في بدايات تأسيسها اعتمدت على الفعل الكلامي وبالضبط اهتمت بالفعل الحجاجي، كما كان يهدف ديكرود إلى أن يجعل من هذه النظرية نموذجاً علمياً في الحجاج محكوماً بقوانين أساسه اللغة الطبيعية، إذ اهتم بمفهوم السلم الحجاجي، لكن هذا المفهوم تعرض للنقد، كما استعان لاحقاً بمفهوم الموضوع الذي يستند إلى المعارف والتجارب الاجتماعية، إضافة إلى ذلك قدم مفهوماً جديداً في الحجاج يتمثل في التعدد الصوتي الذي يعتمد بدوره على المواضيع، وبالتالي خرجت نظريته عن الإطار العلمي الذي كان يطمح إليه، وفي هذا الصدد يصرح ديكرود: "إن النتيجة التي خلصت إليها بعد التفكير في المواضيع هي أن أبحاثنا كانت تسير على خطأ، لقد أخطأت في اعتقادي أنني بصدد تبين كيفية تحقق الحجاج بواسطة الكلمات اللغوية، لقد تبين لي أن الحجاج بواسطة الكلمات غير ممكن ومستحيل"¹، إن نظرية الحجاج اللغوي كما أسسها ديكرود اصطدمت بمجموعة من الصعوبات والإشكالات المتعددة، منها ما يتعلق بنقد السلم الحجاجي، ومنها ما يتعلق بنقد المواضيع ونقد التعدد الصوتي.

1. نقد السلم الحجاجي:

لقد سبق وأن ذكرنا أن السلام الحجاجية جاءت لتلقي الضوء على العلاقة بين الحجج المنتمية إلى طبقة حجاجية واحدة من حيث القوة والضعف، وهذه العلاقة تتميز بالخاصتين التاليتين:

¹- Oswald Ducrot : les topois dans l'argumentation dans la langue, p 241.

- الخاصية الأولى: كل ملفوظ يرد في مرتبة من السلم يكون الملفوظ الأعلى منه أقوى.

- الخاصية الثانية: كل ملفوظ في السلم يؤدي إلى نتيجة معينة، فإنه يستلزم بالضرورة أن ما يعلوه يؤدي إلى النتيجة نفسها¹.

إن هذا المفهوم أدى وظيفته، وبين وجه التعالق الموجود بين الحجج، لكن في الوقت نفسه طرح إشكالا أساسيا حول إمكانية أن تفضي حجة قوية في السلم إلى نتيجة معارضة لما تدافع عنه باقي الحجج.

مثال في قولنا: ليست سوى الثامنة مساءً.

من هذا المثال قد يستنتج المخاطب نتيجتين متعارضتين هما "أسرع" أو "لا جدوى من الإسراع"². و هذا ما يبين أن نظرية الحجاج اللغوي لا ترقى إلى مستوى العلمية ولا إلى مستوى البنيوية، بل تصل إلى احتمالات متباينة.

2. نقد الموضوع والفعل الحجاجي:

لقد أكد ديكرود أن نظرية الحجاج اللغوي تعتمد في الانتقال من الحجة إلى النتيجة على البنية الداخلية للغة، لكن في الوقت نفسه تم التسليم بأن المواضيع كمعطيات خارج لسانية هي الضامن لربط الحجة بالنتيجة، وهذه أيضا مفارقة كبيرة، فالفعل الحجاجي يتعلق بقصدية سابقة للمتكلم ويسعى إلى سوق مجموعة من الوقائع قصد إقرار صدق النتيجة، أو على الأقل مشروعيتها، ففعل الحجاج هو فعل قصدي، وهذه الفكرة استلهمها ديكرود من نظرية أفعال الكلام³. وهنا اهتم

¹ - جواد الختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2016، ص 163.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - رشيد الراضي: مفهوم الموضوع وتطبيقاته في الحججيات اللسانية، ص 222.

ديكرو بالسياق، كما اهتم بالمواضع باعتبارها الضامن للنقطة الحجاجية ولا بد أن يكون الفرد عالماً بها أثناء التحاجج.

في المثال : هذا الكتاب مفيد ، يجب شراؤه.

نجد أن هذا المثال يعبر عن فعل حجاجي يوجه فيه المتكلم فكر المخاطب إلى خاصية الإفادة لدفعه لشراء الكتاب، اعتماداً على المواضع التي تهتم بالمعطيات خارج لسانية ، وهنا أصبح الحجاج لا يعتمد على بنية اللغة وهذا يبعده عن العلمية.

رغم الجهود المبذولة لتنقية نظرية الحجاج اللغوي مع كل ما يتصل بمعطيات الواقع الخارجي، وقصرها على دراسة الخطاب، ولا شيء غير الخطاب، إلا أن الواقع يحضر بصورة أو بأخرى في ثنايا هذه النظرية، وهذا ما يهدد المشروع الأساسي الذي طمح إليه ديكرو، إذ أكد ذلك بقوله: "إن التأليفات الحجاجية، إذا كانت بالفعل تجسد عملية حجاجية والتي تعتمد على الموضع، ولذلك يجب التسليم بأن الكلمات والجمل في هذا الموضع تدل على مجالات من الواقع وهذا ما يجب تجاوزه"¹

3. نقد التعدد الصوتي :

إن نظرية تعدد الأصوات عند ديكرو تؤكد أن الملفوظ يحتوي على عدة أصوات، أي أنه تصريح على الأقل لمتلفظين مختلفين، لكن هذه النظرية تعرضت لانتقادات من خلال علاقتها بالفعل الحجاجي لأنها بدورها تعتمد على الموضع، إذ أنّ التعدد الصوتي يفهم من خلال السياق وهذا بدوره ما يبعد نظرية الحجاج في اللغة عن طموحها العلمي، وليتوضح ذلك أكثر نأخذ المثال التالي:

¹ - Oswald Ducrot: les topos dans l'argumentation dans la langue ,p 241.

- زيد غني، إذن ينفق على الفقراء.

من خلال التحليل الذي تتيحه نظرية التعدد الصوتي عند ديكرو، فإنه يمكن إيجاد متلفظين اثنين، الأول يستدعي الموضع " كلما كان الشخص غنيا، كلما ازداد انفاقه على الفقراء، مادام المال وفيرا"، والمتلفظ الثاني الذي يرى أن: "زيدًا غنيًا، لكنه لا ينفق على الفقراء"¹، لأنه اعتمد الموضع الذي يؤكد أن الثروة والغنى تكون من خلال أن يكون الشخص شحيحا غير منفق.

وعليه الضرورة الخطابية في نظرية تعدد الأصوات تفرض على المخاطب أن يحين الاحتمالين معا، دون الحسم في الأمر مسبقا، اعتمادا على المواضع المخزنة عنده. وفي هذا الصدد تقول ماريون كاريل: "قالمتكلم يدعم رأيه من خلال متلفظ ممايز له ... فلا نقول أنه يجعلهم يتكلمون، ولكنه يتكلم من خلالهم متخذا إياهم كأقنعة"².

إن هذه الإشكالات المختلفة مهدت الطريق للباحثة ماريون كاريل لتقوم بتقديم طرح منهجي جديد، تقوم فيه بمراجعة نظرية الحجاج في اللغة وتوسيعها، إذ قامت هذه الباحثة بتجاوز الصعوبات السابقة، إذ قدمت طرحا نظريا جديدا سواء في بحوث خاصة أو بمعية وإشراف أستاذها أوزفالد ديكرو، واقتربت نظرية جديدة في علم اللسانيات، أطلقت عليها تسمية " المجموعات الدلالية"، وهذه النظرية تعتبر امتدادا فعليا لتوسيعا لنظرية الحجاج في اللغة كما قدمها ديكرو.

ثانيا: مفهوم نظرية المجموعات الدلالية La Théorie des blocs sémantiques

يقول ديكرو مبينا مفهوم هذه النظرية: "نظرية المجموعات واختصارها TBS هي صورة جذرية لنظرية الحجاج في اللغة ADL قدمت من طرف ماريون

¹ - جواد الختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، ص ص 163-164.

² - Oswald Ducrot et Marion Carel: Mise au point sur la polyphonie, p 35.

كاريل،¹ تهدف إلى إزالة بعض التناقضات لا سيما فكرة الموضوع²، فهذه النظرية هي دراسة تصحيحية وتوسيعية لنظرية الحجاج في اللغة، تتعلق باللغة الطبيعية.

أكد رشيد الراضي أن نظرية المجموعات الدلالية انطلقت من القاعدة الصلبة للبنبوية السوسيرية خاصة الفكرة التي تقطع صلة الدلالة بعناصر الواقع، وأكدت أن العلاقة بين الدال والمدلول في العلاقة اللغوية هي تصوير فكرة، وليست لشيء في الواقع، ومن هنا جاءت هذه النظرية معارضة لفكرة الموضوع الذي يستند إلى التجارب الاجتماعية والمعارف اليومية³. وعليه هذه النظرية تنتمي إلى اللسانيات البنبوية التي تهتم بدراسة بنية اللغة، لذلك رفضت مفهوم الموضوع في الحجاج الذي يتأسس على المعارف الاجتماعية ويؤمن بدور السياق، فهدف هذه الدراسة الجديدة جعل الحجاج دراسة علمية موضوعية.

إن هذه النظرية ترى أن معاني العبارات اللسانية لا تتشكل عبر الخصائص الواقعية للمراجع التي تتم الإحالة عليها، ولا بالمعتقدات، وإنما تتم عبر الخطاب نفسه، وعلى هذا الأساس فهي لا تشكل خروجاً عن توجه نظرية الحجاج في اللغة، بل هي إعادة توجيهه وتسديد لمسار هذه النظرية الذي أوشك أن ينحرف عن منطقاته ومسلّماته⁴. لأن نظرية الحجاج اللغوي في بداياتها كانت وفيه للبنبوية السوسيرية إذ اعتبرت أن التداول مندمج في الدلالة أي أن الفعل الحجاجي موجود في بنية اللغة بالدرجة الأولى، لكن أثناء تطويرها أصبحت تهتم بمفهوم الموضوع

¹ -ماريون كاريل (Marion Carel) (1962 -) لسانية فرنسية متخرجة من المدرسة العليا تخصص رياضيات، كما تخصصت في اللسانيات كذلك ، في سنة 1992 قدمت أطروحة دكتوراه عنوانها " من أجل تطوير نظرية الحجاج في اللغة" ، وذلك بإشراف أستاذها أوزفالدديكرو.

² - Oswald Ducrot: présentation de la théorie de bloc sémantique, Verbum XXXVIII, 2016, n 1 , p54.

³ - رشيد الراضي: المظاهر اللغوية للحجاج ، ص 235.

⁴ - رشيد الراضي: مفهوم الموضوع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية، ص227.

والتعدد الصوتي وهذان يظهران دائما انطلاقا من سياق الملفوظ ومقامه، أي يهتمان بالجانب التداولي للغة أكثر من الجانب البنيوي، لذلك فنظرية الكتل الدلالية جاءت لإرجاع نظرية الحجاج اللغوي إلى منطلقها الأساسي وهو أن الحجاج متجذر في بنية اللغة.

إن السؤال الضروري الذي يجب طرحه هل نظرية المجموعات التي قدمتها ماريون كاريل دلالية أم تداولية؟ للإجابة عن هذا السؤال يجب التمييز بين الجملة و الملفوظ.

لقد تناول في الفصول السابقة مفهوم الجملة عند ديكر، إذ اعتبرها معطى لسانياً خالصاً، خارجة عن الاستعمال، و قابلة للتحقق، بينما الملفوظ هو ما انتجه المتكلم من خلال استعمال الجملة، ويرتبط بالسياق والمقام.

إن النظرية الدلالية تهتم بدراسة الطريقة التي ترتبط بها الجملة، بينما التداولية تدرس وجهات النظر وطرق التفكير والمبادئ العامة للتواصل¹. لذلك يمكن القول أن نظرية المجموعات الدلالية تجمع بين الدلالة والتداول معا، فهي أعطت أهمية كبرى لدلالة الكلمات والملفوظات، واعتبرت هذه الأخيرة لا تؤدي وظيفة تمثيل العالم، لذلك لا تخضع لمعيار الصدق والكذب، لكن في الوقت نفسه تؤكد أن ما يعبر عنه لا يتم بعيدا عن مختلف السياقات الكلامية²، وهنا نلاحظ اتفاق كاريل مع ديكر في دراستها للغة، حيث ربطت بين الدلالة والتداولية، وهذا ما نجده في النسخة الأولى من نظرية الحجاج في اللغة التي تؤكد أن التداولية مندمجة في الدلالة.

¹ -Alfredo Lescano: La Théorie des blocs sémantiques, p5, <http://www.felsemiotica>,

² - جواد الختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 166.

ثالثاً: مفهوم الحجاج ضمن نظرية الكتل الدلالية

إن الحرص على أن يكون الحجاج بنيويًا و حتى يبقى الحجاج ذا طابع علمي، أعطت ماريون كاريل مفهومها للحجاج، وفي خاتمة مقالها ما هو الحجاج؟ تؤكد ماريون كاريل ما يلي: "إن مفهوم الحجاج لا علاقة له بمفهوم الاستدلال، هذا الأخير يعتمد على الواقع ويرتكز على فكرة الانتقال، أما فكرتي عن الحجاج فهي عكس ذلك يفترض تبعية الحجة والنتيجة بالنسبة لي إلى تسلسل حجاجي، وفي نفس الوقت الحجة ليست لها علاقة بنشاطها النفسي ... في الحقيقة تسعى اللسانيات التي أقودها إلى أن تكون بنيوية"¹. تعتبر نظرية الكتل الدلالية امتداداً لنظرية الحجاج في اللغة، فهي تفتح آفاقاً واسعة لدراسة الخطاب أكثر، إذ تقدم أدوات ناجعة لإنجاز وصف بنيوي أوسع للخطاب.

يرى ديكرود أن "مفهوم المجموعة لا يجب أخذها بمعنى نظرية المجموعات الرياضية التي تجعل المجموعة كائناً فردياً فقط، إنها مجموعات بمعنى اللغة العادية حيث يتعلق الأمر بتعيين التعددية، وهي تعدد للتسلسلات المبنية ضمن نفس القالب"²، وعليه فالمجموعة الدلالية التي قدمتها كاريل تعتمد على اللغة العادية كسبيل للحجاج.

إن نظرية المجموعات الدلالية تؤكد أن الحجاج مسجل في اللغة على مستويين مختلفين، الأول على مستوى مدلول الملفوظات من جهة، حيث يقوم الحجاج بدور منهجي في صيغة التسلسل الحجاجي لجعل المحتوى الصريح للملفوظات واضحاً، أما الثاني على مستوى الدلالة من جهة أخرى يجري وفق

¹ - Marion Carel: qu' est-ce qu' argumenter, p 80, www.presse.fr

² - Ducrot : présentation de la théorie de bloc sémantique, p 58.

خطاظة حجاجية لوصف دلالة وحدات اللغة¹. وفي هذا الصدد يقول ديكرود: "إن نظرية المجموعات الدلالية لماريون كاريل تسعى إلى تحقيق المشروع الأساسي لعلم اللغة السوسيري، لكن بطريقة تتعارض جذريا مع معتقدات السوسيرية، إذ أن الكتل الدلالية تعتبر الجملة عنصرا من الكلام"²، وعليه هدف هذه النظرية جعل الحجاج لسانيا، أي أنه مندمج في اللغة دون إهمال سياق الكلام وهو الجانب التداولي للغة.

رابعا: مظاهر التوسع في المجموعات الدلالية:

إن نظرية الكتل الدلالية تضع مجموعة من الأدوات لتقدم وصفا بنيويا للمفوضات، لهذا نتساءل كيف حققت ذلك؟

1. الحجاج الداخلي والحجاج الخارجي:

ميزت ماريون كاريل بين نوعين من الحجاج هما الحجاج الداخلي والحجاج الخارجي، و لكي تبين الفرق بين هذين النوعين من الحجاج قدمت المثال التالي:

يوجد خطر، إذن هناك احتياطات

تري كاريل أن هذا الملفوظ يمكن دراسته على الأقل بطريقتين، فنستطيع بداية بدراسة الحجج العامة لهذا الملفوظ إذ يمكننا منه استخراج صيغتين مختلفتين هما:

- زيد لن يتعرض لحادث، لأنه إذا كان هناك خطر فسوف يتخذ الاحتياطات اللازمة.

¹ -Kohei Kida: L'inscription de l'argumentation dans le langage : le cas de la The théorie des Blocs Sémantiques, p7.

² - Oswald Ducrot: présentation de la théorie de bloc sémantique, p55.

- زيد يتعرض لحادث، لأنه إذا كان هناك خطر فسوف يتخذ الاحتياطات اللازمة¹.

هاتين الصيغتان المرتبطتان بالملفوظ (1) هما كتلتاه الداليتان.

تذهب ماريون كاريل إلى أنه هناك امتدادات حجاجية خارج التلفظ، وهذا ما يسمى بالحجاج الخارجي، وقد لاحظنا فيما سبق أن هذا النوع من الحجاج هو الذي اهتم به ديكرود في نظريته في الحجاج اللغوي، أي ربط الحجاج بالبنية التركيبية للغة.

تؤكد ماريون كاريل أنه من الضروري الاهتمام بالحجاج الذي يحدث داخل الخطاب ذاته، فالمثال السابق يمكن صياغته كالتالي:

- إذا كان هناك خطر، فإنه سوف يتخذ الاحتياطات.

- حتى إذا كان هناك خطر، لن يتخذ الاحتياطات².

إن الحجاج الخارجي يرجع إلى السمات الدلالية الملتصقة بالملفوظ نفسه، في حين الحجاج الداخلي فإن الملفوظ فيه لا يكتسب قوته الحجاجية من سماته الداخلية فقط، وإنما من استعملاته ضمن السياقات الكلامية المختلفة والمتعددة، وعليه تم التمييز بين مظهرين حجاجين في نظرية المجموعات الدلالية هما الحجاج الداخلي والحجاج الخارجي وفي هذا الصدد يقول رشيد الراضي " نتحدث عن حجاج داخلي لوحدة لسانية حين لا تكون هذه الوحدة مكوناً في المسلسلات التي تصفها، ونتحدث عن حجاج خارجي في الحالة المعاكسة، أي حين تكون هذه الوحدة عنصراً مكوناً في المسلسلة إما مقدماً أو تالياً فيها، إن الحجاج الداخلي يشكل بسطاً شريحياً للوحدة اللسانية، بينما الحجاج الخارجي يسمح بالتمييز بين الحجاج

¹- Marion Carel: Argumentation interne et externe,p10 ,www.presse.fr.

²- Ibidem.

الخارجي عن اليمين والحجاج الخارجي عن الشمال بالنسبة إلى الوحدة اللسانية نفسها¹

ولتبيين ذلك نأخذ مثلا لفظ " متكبر " و لننظر إليه من خلال الأمثلة التالية:

- زيد يتكبر فالناس يمقتونه.

- حتى وإن كان هذا الأمر يزعج بعض الأشخاص فإن زيدا سيفعله

في المثال الأول تتمدد صفة التكبر عن اليمين والشمال، بل وحتى خارج الجملة ذاتها، لذلك سمي هذا الوجه بالحجاج الخارجي، بينما في المثال الثاني لا نجد أي حضور لصفة التكبر، وبالأحرى فهي ضمنية توجد في أحشاء العبارة، ولو حللنا هذه العبارة فإنه يمكننا إيجاد هذه الصفة ضمنها منطوية داخلها وهذا الوجه هو ما يسمى بالحجاج الداخلي².

2. التسلسل الحجاجي والاختصار

تتطلق نظرية المجموعات الدلالية حسب ماريون كاريل من فكرة أن العلاقة بين وحدات الخطاب الموجودة في التسلسلات الحجاجية ماهي إلا علاقة اختصار، فكل عبارة وردت في التسلسل الحجاجي تتضمن في ذاتها وعلى نحو مضمرة الوحدات التي يمكن أن تقبل التأليف معها في تسلسل حجاجي آخر، وهذه الوحدات المتضمنة هي اختزال واختصار لصورة العبارة، فإذا قلت "الجو حار هناك"، فإن هذه العبارة تتضمن مجموعتين مختصرتين هما "إما أنك ستكون بخير" أو "لا تكون"³. فالمجموعة الدلالية للظرفين "سابقا" و"ثانية"، كل منهما له علاقة بحدث أو واقعة حدثت في الماضي، ف"سابقا" اختصار إلى شيء ما حدث في زمن ماض

¹ - رشيد الراضي: المظاهر اللغوية للحجاج، ص 244 - 245.

² - المرجع نفسه، ص 245.

³ - Marion Carel: Argumentation interne et externe, pp56-57.

تام، أما "ثانية" فتشير إلى شيء ما يحمل كمية من الزمن المنقضي¹. وعليه إن المجموعات الدلالية ترمي إلى بيان خاصية الاختصار في الملفوظات، فكل عبارة ماهي إلا اختصار لمتضمنات أخرى تفهم من السياق الكلامي.

3. التسلسل الحجاجي والمحتوى:

طرحت نظرية المجموعات الدلالية سؤالاً صريحاً يتمثل كيف يمكن الوصول إلى المحتوى الصريح للملفوظ؟

إجابة هذه النظرية كانت أنه يجب اللجوء إلى اللغة واستعمال مفرداتها، وبينت أن المحتوى الصريح للعديد من الكلمات يمكن تسميته بالتسلسل الحجاجي. ولتوضيح ذلك نأخذ المثال التالي:

- كان زيدا مقتصدًا.

ما المحتوى الذي يقصد المتكلم تبايغته وفقاً لنظرية المجموعات الدلالية؟، ويمكن تحليل هذا الملفوظ حجاجياً من قبيل:

شيء ما عديم الفائدة لذا لم يقم بشرائه أو كان زيد حذرًا.

أو واجه زيد خطرًا واتخذ احتياطاته اللازمة.

إن فالحجة هي كل محتوى ملفوظ موصوف بواسطة تسلسل حجاجي يعد بمثابة إعادة صياغة له.

ووفق منظور هذه النظرية يمكن بوجه عام النظر إلى كل ملفوظ مكوناً من تسلسلات حجاجية معينة، أي يمكن وصفه من الناحية الدلالية اعتماداً على مفهوم

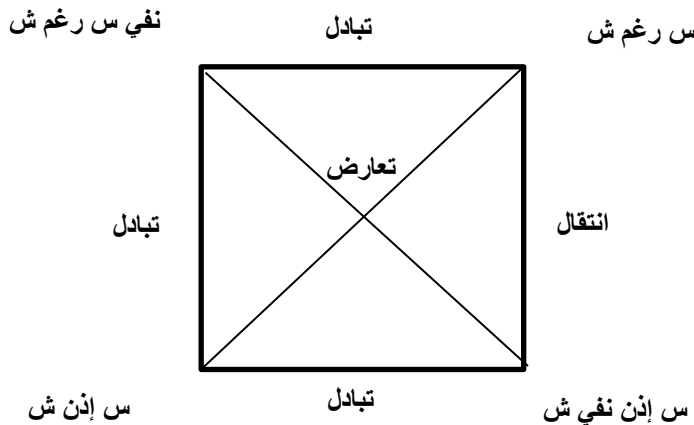
¹ -Marion Carel: Qu'est-ce qu'argumenter?,p79.

التسلسل الحجاجي، ولن يكون هذا التسلسل الحجاجي إلا ترابطاً بين فقرتين من الخطاب على هذا النحو:

"س" ربط "ش"

إذ أن "س" و"ش" يرمزان إلى فقرتين خطابيتين، تشير إلى رابط يؤشر إلى الوحدات اللسانية التي تربط بين الفقرات¹.

عبرت ماريون كاريل عن العلاقات المنتمية إلى مجموعة دلالية معينة بالمرجع الحجاجي، حيث تقول: "إن العلاقات التي تربط الجوانب بعضها ببعض داخل المجموعة الدلالية الواحدة تسمح ببناء مربع حجاجي"²، وهذه هي الخطاطة التي تعبر عن المجموعات الدلالية من خلال المربع الحجاجي³:



إن المربع الحجاجي الذي يحكم المتسلسلات الحجاجية داخل المجموعة الدلالية يعتبر مظهرًا من أهم مظاهر التوسع التي قدمتها ماريون كاريل لنظرية الحجاج اللغوي لديكرو.

¹ - رشيد الراضي: مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية ، ص 227. نقلًا عن:

² - Alfredo Lescan : La Théorie des blocs sémantiques, p.6.

³ - Ducrot: présentation de la théorie de bloc sémantique , p.59

4. الرابطة المعيارية والرابطة غير المعيارية

تتأسس نظرية الكتل الدلالية على مبدأ يؤمن بأن الحجاج في جوهره يتأسس على الجمع بين ملفوظين أو جملتين من خلال رابطة معيارية Normatif، أو رابطة غير معيارية حرفية Transgressif، فكل كلمة تشير في الأذهان مجموعة من الدلالات الملازمة لها، فعندما نتحدث عن لفظ ما في سياق كلامي معين، فذلك يستدعي مجموعة من الدلالات التي تفرض نفسها على المتكلم والمخاطب معا، لكن هذه اللفظة لا يتضح معناها إلا ضمن سياق كلامي مخصوص، وهو سياق يبرر لنا طبيعة المجموعة الدلالية التي تنتمي إليها اللفظة، ذلك أن المدلول يختلف من سياق كلامي إلى آخر ومن كتلة دلالية إلى أخرى¹.

إن نظرية المجموعات الدلالية ترى أن الربط بين الحجة والنتيجة يمكن أن يكون ربطاً امتدادياً أو ربطاً عنادياً، وهذان الربطان يمكن النظر إليهما بأنهما نواتان دلالتان أوليتيان ترجع إليهما مختلف صور الربط في التسلسلات الحجاجية، ولا تقبل كل واحدة منهما الرد إلى الأخرى أو الاشتقاق منها².

ولتوضح الفرق بينهما قدمت لنا ماريون كاريل المثالين التاليين:

1- بيار غني إذن فهو سعيد.

2- بيار غني رغم ذلك فهو تعيس³.

فالرابط الأول معياري، لأنه ينظر إلى الثروة كونها هي من تجعل الإنسان سعيداً، فالربط بينهما امتدادي بين الحجة والنتيجة، أما الرابط في الثاني فهو غير

¹ - جواد الختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 167.

² - Marion Carel: Argumentation interne et externe , p11.

³ - Marion Carel: Qu'est-ce qu'argumenter?, p77

معياري، أي اختراقي لأنه يتعارض مع المعتقدات الاجتماعية، وعليه يمكن القول أن لفظ " الغنى " ينتمي إلى مجموعتين دلالتين مختلفتين.

إن نظرية الكتل الدلالية ترى أن الرابط بين المكونين يمكن أن يكون ربطاً امتدادياً أو عنادياً في نفس الوقت، إن هاتين الصورتين الربطيتين يمكن النظر إليهما بوصفهما نواتين دلالتين أوليتين تترد إليهما سائر صور الربط في التسلسلات الخطابية، وعادة ما يتم التمثيل للنمط الأول من الارتباطات الامتدادية بالرابط " إذن"، في حين الربط الثاني الذي يطلق عليه الرابط العنادي فيمثل له بالرابط "رغم"¹، فمثلاً الملفوظان الآتيان يمكن ردهما إلى المظهر نفسه، وهو الارتباط الامتدادي بالرغم من أن تحققهما اللساني مختلف:

- الجو جميل إذن لنخرج في نزهة.

- الجو جميل فلنخرج في نزهة.²

كما أن الملفوظين الآتين يقبلان الرد إلى المظهر نفسه وهو الارتباط العنادي رغم أن تحقيقهما اللساني مختلف :

- اجتهد زيد ورغم ذلك لم ينجح في الامتحان

- اجتهد زيد لكنه لم ينجح³

لقد كان لنظرية الحجاج في اللغة أثر كبير في الدراسات الفلسفية المعاصرة خصوصاً على الباحثة الفرنسية ماريون كاريل التي أخذت نفس توجه هذه النظرية، من خلال نظرية المجموعات الدلالية التي تعتبر امتداداً مباشراً لها، وتوسيعاً لها محاولة تسديدها نحو هدفها المرجو وهو جعل الحجاج ضمن الدراسات اللغوية

¹- رشيد الراضي: المظاهر اللغوية للحجاج ، ص 238.

²- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

³- المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

العلمية، فرغم أن الحجاج ينتمي إلى المجال التداولي، فكانت الغاية الأساسية منه هي ضبط القوانين الأساسية التي تحكمه من أجل دراسة الخطاب دراسة وصفية تحليلية.

كذلك الفرنسي بيار إيف ركاك **Racah Pierre-Yves** (1953 -) انتقد نظرية المواضيع ونظرية التعدد الصوتي، ووضع أطروحة جديدة في الدلالة تتمثل في دلالات وجهات النظر "Sémantique des points de vue". يهدف من خلالها إلى جعل الحجاج ضمن الدراسات الصورية متماشيا مع التقليد اللغوي اللساني الذي طمح له ديكرود في بداية نظريته، كما اهتم بالنسخة الثانية من النظرية واهتمامها بالمواضع الحجاجية، وذلك من خلال تطوير مفهوم الموضوع المعجمي¹، مبينا أن وجهات النظر هي التي تجمع هذه النماذج المعجمية وتنظيمها .

انتقد اللساني الفرنسي جون كلود أنسكومبر (1950 -) **Jean-Claude Anscombe** النسخة التقليدية لنظرية الحجاج في اللغة متشبها بمفهوم الموضوع، ووضع بديلا جديدا يتمثل في نظرية القوالب اللغوية « La théorie des « stéréotypes »²، اهتم فيها بنظرية المواضيع محاولا تطويرها من خلال الاهتمام بالوظيفة المرجعية للموضوع، فقد قام بالجمع بين المعنى والمرجع الحقيقي في العالم.

- كذلك الفرنسية أولغا غالاتانو **Olga Galatanu** وضعت نظرية بديلة أطلقت عليها اسم "دلالات الممكنات الحجاجية" **Sémantique des possibles argumentatifs** التي تنطلق من البحث عن نموذج لتمثيل الدلالة المعجمية، بمعنى نعيد بناء الدلالة المعجمية ولكن انطلاقا من فرضيات ناشئة عن تأويل معنى الكلمة المعنية بالدراسة في شتى صيغ ورودها المختلفة، وخاصة المتعلقة

¹- Zsófia Várkonyi : la Sémantique des Points de Vue, Corela , 2016,p5.

²-Anscombe Jean-Claude : Le rôle du lexique dans la théorie des stéréotypes, Langages , 2001, p 58-59 .

بالإمكانات الخطابية على مستوى التسلسلات الحجاجية للكلمات¹، وهذا ما يشكل العنصر المميز للداليات الحجاجية في جميع مستوياتها.

وعليه يمكن القول أن نظرية الحجاج اللغوي كان لها امتدادات كثيرة في الفكر الغربي، كما خضعت لبعض الانتقادات من طرف العديد من المفكرين المعاصرين، إضافة إلى ذلك كان لها الفضل في ظهور نظريات أخرى توسيعية لمبادئها تحاول حل التناقضات التي وقع فيها ديكرو، وكل هذا راجع لأهميتها وذيوع صوتها.

¹– Olga Galatanu, La sémantique des possibles argumentatifs. Presses universitaires de Strasbourg , 2019,p 170-171.

المبحث الثاني : الامتدادات في الفكر العربي من خلال الحجاج الموسع عند أبي بكر العزاوي¹:

تعتبر نظرية الحجاج في اللغة من أهم النظريات المعاصرة التي كان لها صدى فكري كبير، إذ امتدت حتى على مستوى الساحة العربية، ويعتبر المفكر أبو بكر العزاوي أول مفكر عربي نقل هذه النظرية إلى الوطن العربي معرفاً بها ومطبّقاً لها، معتمداً على الآليات التي قدمها أوزفالد ديكر، لهذا نتساءل: ما هي أسباب اختياره لنظرية الحجاج في اللغة؟ وما هو مفهومه للحجاج؟ وكيف طبق هذه النظرية في دراساته؟

أولاً: منطلقاته الفكرية

انطلق أبو بكر العزاوي في مشروعه حول الحجاج من مسلمة أساسية هي: "لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل"²، أي أن الحجاج ضروري في كل خطاباتنا وتواصلنا اليومي.

¹ - أوبكر العزاوي : أستاذ التعليم العالي في كلية الآداب والعلوم الانسانية جامعة مولاي بن ملال، يترأس الجمعية المغربية لتكامل العلوم في الدار البيضاء ، تخصص في نظرية الحجاج اللغوي بعد تحضيره لأطروحة دكتوراه بعنوان " بعض الروابط التداولية في اللغة العربية - مقارنة حجاجية أصواتية ، بإشراف أستاذه العالم اللغوي أوزفالد ديكر سنة 1989-1990، معهد الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية في فرنسا، وقد كان أول من أدرج نظرية الحجاج اللغوي ضمن المقررات الدراسية في المغرب، من أهم مؤلفاته:

- اللغة والحجاج

- الخطاب والحجاج

- حوار حول الحجاج

- اللغة والمنطق:مدخل نظري. (ينظر : عبد الواحد التهامي : نظرية الحجاج من اللغة إلى الخطاب، (مقال)ضمن كتاب الحجاج اللغوي - قراءة في أعمال الدكتور العزاوي- تنسيق :حسن مسكين، عالم الكتب الحديث ،الأردن ،ط1، 2017، ص ص 151-152).

² - أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت-لبنان، ط1، 2010، ص12.

بين العزاوي أن " الحجاج حاضر في كل الخطابات بدءاً من الخطاب الإلهي إلى غيره من الخطابات الأخرى التي ينسجها الإنسان في أي مكان وعبر سائر الأزمان"¹، فالحجاج الحقيقي والفعال يعتمد على مجموعة من القوانين والضوابط الصارمة حتى يحقق التواصل والتأثير الفعال و إقناع المخاطب.

لقد كان هدف العزاوي إبراز المنطق الذي يحكم الخطاب وأراد استثمار النتائج التي انتهى إليها العالم الفرنسي ديكرود في العديد من أعماله المتميزة، مع تطويرها وتكييفها مع خطابات اللغة العربية وفي هذا الصدد يقول: "بالطبع لا يمكن أن أكون نسخة ثانية من أوزفالد ديكرود، ولا يمكن أن أكتفي بمجرد التطبيق الحرفي لما جاء به، فأنا أقرأ كل ما يكتبه... وعلي أن أضيف وأجدد و أطور طبعاً في حدود إمكانياتي المعرفية والعلمية، فلست صاحب نظرية، لكن يمكن للإنسان أن يساهم ببعض الاقتراحات والتعديلات و الإضافات والتطويرات"²، فالعزاوي انطلق من الإطار العام لنظرية الحجاج في اللغة محاولاً تطبيقها على النصوص العربية، مع التعديل مع ما يتناسب و اللغة العربية.

ثانياً: أسباب اختيار نظرية الحجاج اللغوي

إن اختيار نظرية الحجاج في اللغة - كما قدمها ديكرود - كمنطلقاً نظرياً للمشروع الحجاجي الموسع لأبي بكر العزاوي، نبع من أسباب علمية وموضوعية وقرءات متأنية لنتائج علمية، ومنطقية، ولسانية و يمكن تلخيصها فيما يلي:

- كون نظرية الحجاج اللغوي نظرية دلالية حديثة، تقدم تصوراً جديداً للمعنى، وتعطي تفسيرات جديدة للعديد من الظواهر اللغوية.

¹ - حسن مسكين: اللغة والحجاج عمق النظرية دقة الانجاز ، (مقال)ضمن كتاب الحجاج اللغوي - قراءة في أعمال الدكتور العزاوي-تنسيق:حسن مسكين، عالم الكتب الحديث ،الأردن ،ط1، 2017، ص 14.

² - أبو بكر العزاوي : حوار حول الحجاج ،دار الأحمديّة للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 2010، ص 103.

- إن هذه النظرية نجحت في تجاوز العديد من العوائق المتصلة بتفسير المعنى خصوصا النظريات الوصفية و المنطقية التي عالجت مفهوم الصدق.

- كما أن هذه النظرية اللسانية لا تعلي من شأن الوظيفة الإخبارية واعتبارها الوظيفة الوحيدة والأساسية للغة، بل إن وظيفة التأثير والإقناع هي الوظيفة الجوهرية للغة¹. إن نظرية الحجاج في اللغة لها أهمية وقيمة فكرية كبيرة لأنها قدمت الجديد في مجال الدراسات اللغوية لهذا كان لها صدى وامتدادا كبيرا.

ثالثا : مفهوم الحجاج

قدم أبو بكر العزاوي المفهوم التالي للحجاج، ويتمثل في أنه "منطق اللغة وهو المنطق الطبيعي الذي نجده في كل اللغات البشرية، ونجده في كل النصوص والخطابات التي تتجز بالغة الطبيعية بمختلف أنواعها وأنماطها"²، أي أن الحجاج هو المنطق الذي يحكم اللغات العادية ويحكم كل الخطابات.

يرى أبو بكر العزاوي أن دراسة الحجاج تنتمي إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة ومنطق الخطاب أي تسعى إلى اكتشاف القواعد الداخلية للخطاب والمتحكمة في تسلسل الأقوال والجمل وتتابعها بشكل متناهم وتدرجي، فالحجاج حسب هذا التصور يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب³. ولذلك يؤكد أن الحجاج موجود في كل أنماط الخطاب وأنواع النصوص، فنجده في الخطبة الدينية والقصائد الشعرية والمحاورة اليومية واللافتة التجارية إضافة إلى الخطاب السياسي ومرافعة المحامي والمناظرات ومناقشة الأطروحات الجامعية والكتابات العلمية وغيرها⁴. وهنا بالذات تكمن جدة وجدية هذا العمل، لأنه انطلق

¹ - حسن مسكين: اللغة والحجاج عمق النظرية دقة الانجاز، ص 14.

² - أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، ص 9.

³ - المرجع نفسه، ص 13.

⁴ - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 11.

مما هو عام متعلق بالنظريات التي تحكم هذا المشروع، وتؤطر توجيهه للوصول إلى ما هو خاص وتطبيق هذه النظرية على اللغة العربية.

رابعاً: ملامح التوسيع الحجاجي:

1. الرابط والعامل الحجاجي

اهتم أبو بكر العزاوي بالروابط والعوامل الحجاجية اهتماماً كبيراً، إذ قام بشرحها وعرضها كما قدمها ديكر، فأكد العزاوي أن أهميتها تكمن في إعطاء الخطاب قوة حجاجية وميز بينها وبين الرابط والعامل الحجاجي، إذ يقول: "الروابط تربط بين قولين أو بين حجتين على الأصح أو أكثر، وتسد لكل قول دوراً محدداً داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة ومنها: بل، لكن، حتى، لا سيما، إذن، بما أن...، أما العوامل الحجاجية فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما، ومن بينها: ربما، تقريباً، كاد، قليلاً، كثيراً...¹، إن التمييز الذي قدمه أبو بكر العزاوي بين الرابط والعامل، كان انطلاقاً من وظيفة كل واحد منها، فالأول وظيفته الربط بين الحجة والنتيجة، بينما الثاني وظيفته حصر الاحتمالات الحجاجية الممكنة استنتاجاً من الأقوال، وهذا التمييز أخذه من طرف أستاذه ديكر.

أكد العزاوي أن الروابط الحجاجية في اللغة العربية كثيرة ومتعددة حيث نذكر منها: بل، لكن، لا سيما، حتى، لأن، بما أن، إذ، إذا، الواو والفاء، اللام، كي... إلخ، إلا أنه أخص بدراساته الرابط بل ولكن، والسبب في هذا الاختيار يعود أن هذين الرابطان يستعملان بكثرة في الخطاب والحوارات اليومية، إضافة إلى علاقتها الواضحة والقوية مع المعنى الضمني والمضمّر²، فالروابط الحجاجية هي

¹ - المرجع نفسه، ص 27.

² - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 56.

المؤشر الأساسي والبارز، وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤشر له في بنية اللغة ذاتها.

1.1. الرابط "بل" و"لكن": قارن العزاوي بين الرابط "لكن" و"بل" لأنهما من أكثر الروابط استعمالاً في اللغة العربية، إذ يستعملان للحجاج والابطال، ولتبيين هذه الوظائف نتناول الأمثلة التي قدمها العزاوي حولهما، وتتمثل فيما يلي:

- قال تعالى: "أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"¹.

- قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ"²

- ليس العلم أحمر ولكنه أخضر

إن التحليل الحجاجي للأمثلة السابقة يتمثل في أن الأمثلة السابقة تحتوي على الرابط "لكن"، الذي يقابله في اللغة الفرنسية Mais، حيث أن التلفظ بأقوال من نمط (أ لكن ب) يستلزم ما يلي:

- أن المتكلم (أ و ب) باعتبارهما حجتين، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة معينة (ن)، والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها، أي (لا-ن).

- أن المتكلم يقدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى كما أنه تقوم بتوجيه القول أو الخطاب³.

بالرجوع إلى المثال (1) فسجد أن "لكن" الواردة دورها حجاجي، لأنها تقدم تعارض بين ما يتقدم الرابط وما يتلوه، فالقسم الأول من الآية "إن وعد الله حق" يتضمن حجة تخدم النتيجة من قبيل "سيقوم الناس بالواجب"، أو "سيطيعون ويتفقون" والقسم الثاني من الآية "أكثرهم لا يعلمون" يتضمن حجة تخدم نتيجة

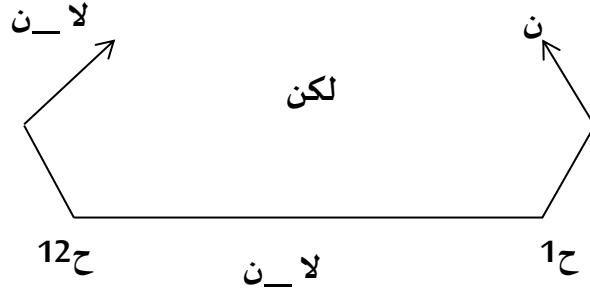
¹ - سورة يونس، الآية 55.

² - سورة غافر، الآية 61.

³ - أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 58.

مضادة للنتيجة السابقة "ن" ، أي تخدم نتيجة من قبيل "الناس غافلون" أو "لن يطيعوا ربهم ولن يتقوه"¹ .

وبما أن الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى فإنها توجه القول بمجمله نحو النتيجة "لا ن" ، ويمكن توضيح هذه العلاقة الحجاجية بواسطة الرسم البياني التالي:



أما في المثال الثاني، فيؤكد العزوي أن هناك حجتين كل واحدة منها تخدم نتيجة معينة ،يمكن إيجازها فيما يلي:

الحجة في الجزء الأول من الآية " إن الله لذو فضل على الناس " هي موجهة لنتيجة" سيشكر الناس ربهم"، بينما الحجة في الجزء الثاني من الآية " أكثرهم لا يشكرون" موجهة لنتيجة مضادة هي "لم يشكروا ربهم" .

أما المثال الثالث يؤكد العزوي أنه لا وجود لتعارض حجاي بين الحجتين، إذ أن هناك إبطال ونفي للحجة الأولى ، وهنا يكون دور "لكن" الإبطال²، وعليه يمكن القول أن "لكن" لها دوران مختلفان إما الحجاج أو الإبطال.

2.1. الرابط "بل": أكد العزوي أن الرابط "بل" يستعمل مثله مثل "لكن"، لأن له دورين

أساسيين هما الحجاج والإبطال، ولتوضيح ذلك قدم المثال التالي:

قال تعالى: " هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ، فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ"¹.

¹ - أبو بكر العزوي: اللغة والحجاج ، ص58.

² - المرجع نفسه، ص 59.

في هذا المثال بين العزاوي أن الرابط "بل" أقام علاقة حجاجية مركبة من علاقيتين حجاجيتين فرعيتين هما:

- علاقة بين الحجة واطلاعهم على أخبار فرعون وثمود وغيرهم ، والنتيجة سيعتبروا ويتعظوا.

-وعلاقة حجاجية ثانية تسير في اتجاه نتيجة مضادة للنتيجة الأولى تتمثل في الحجة الذين كفروا في تكذيب، ونتيجتها هي لن يعتبروا ولن يتعظوا².

وعليه يجب التأكيد أن الرابط "بل" مرادف للاستعمال الحجاجي للرابط "لكن".

1.3- الرابط "حتى "

لدينا المثال التالي:

- أكلت السمكة حتى رأسها .

أن الرابط الحجاجي في هذا المثال يربط بين حجتين لهما نفس التوجيه الحجاجي هما : أكلت السمكة " و " أكلت رأسها" وهما تخدمان نتيجة من قبيل " أكلت السمكة كلها"، أو لم أبق منها شيئاً، لكن الحجة الثانية أي التي وردت بعد الرابط أقوى من الحجة التي قبله³.

إن هذا الوصف يتوافق مع الوصف الحجاجي الذي قدمه ديكرول لأداة المقابلة لهذا الرابط في اللغة الفرنسية Mème فالحجج التي ترتبط بواسطة هذا الرابط نجد أنها تنتمي إلى نفس القسم الحجاجي أو الفئة الحجاجية ، كما أنها تهدف إلى نتيجة واحدة والحجة التي تأتي بعد هذا الرابط تكون أقوى من الحجة التي قبله.

¹ - سورة البروج، الآية 17-19.

² - أبويكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 62-63.

³ - المرجع نفسه، ص71.

إن الرابط "حتى" يستعمل للحجاج كما أنه يستعمل للتعليل أو التبرير والمثالان القادمان يوضحان هذا الدور:

1- "وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً"¹.

2- "وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا"².

تدل "حتى" في الأمثلة السابقة على التعليل أي أن ما قبلها علة لما بعدها وهي مرادفة لكي التعليلية.

فالمثال الأول معناه : قاتلوهم كي لا تكون فتنة، أما المثال الثاني معناه يقاتلونكم كي يردوكم.

ولو أخذنا المثال التالي:

- عليك أن تعمل حتى تنجح.

يرى أبو بكر العزاوي أن "حتى" في هذا المثال استعملت من أجل الحجاج والإقناع ويمكن قراءتها بقراءتين مختلفتين هما : إما غائية أو شرطية، بمعنى أن غاية العمل النجاح وهذا هو الدور الغائي لحتى، أو أن شرط النجاح هو العمل وهنا تكون حتى شرطية³.

إن الرابط "حتى" يتوافق مع الرابط المقابل له في اللغة الفرنسية "Même"، فالحجج التي تأتي بعده تتبع الحجج التي قبله في نفس الواجهة الحجاجية ، لكن الملاحظ أن الرابط "حتى" في اللغة الفرنسية له دور واحد هو التعليل ، أما في اللغة العربية له عدة استعمالات ، فقد تكون "حتى" تعليلية ، كما قد تكون غائية، أو أن تكون شرطية ، ولكن بحسب سياقات استعمالها، ووضعية ورودها في النصوص

¹ - سورة البقرة ، الآية 193.

² - سورة البقرة ، الآية 217.

³ - أبوبكر العزاوي: اللغة والحجاج ،ص75.

الحجاجية، وعليه نستنتج أن الروابط في اللغة العربية على اختلاف أنواعها لا تتميز بمعنى أو استعمال واحد، بل تتعدد معانيها بتعدد استعمالاتها الحجاجية، أي أنها ترتبط بالسياق الذي ترد فيه.

2. التحليل الحجاجي للنص الديني: خواتيم سورة البقرة نموذجاً

عمل أبو بكر العزاوي على توسيع نظرية الحجاج في اللغة، إذ أن اهتمامه لم يعد منصبا على مجموعة من الروابط والجمال، بل أصبح يهتم بتحليل النصوص الخطابية تحليلاً حجاجياً، وهذا ما أكده بقوله: "عملنا على تطوير النظرية الحجاجية وتوسيع مجال تطبيقها، فلم يعد مجال النظرية محصوراً في دراسة العوامل والروابط والأدوات الحجاجية، ولا ينبغي أن يقف التحليل عند حدود الجملة أو القول، بل ينبغي أن يشمل النصوص والخطابات بمختلف أنواعها"¹، وعليه انتقل العزاوي من تحليل حجاجية الجمل والملفوظات إلى تحليل مختلف أنواع النصوص والخطابات.

و لما كان الخطاب الديني له غاية حجاجية، فقد قام العزاوي بتحليله تحليلاً حجاجياً، ومن الأعمال الجادة في فكره هي تحليل سورة الأعلى تحليلاً حجاجياً²، إضافة إلى تحليله لخواتيم سورة البقرة وتبيين العلاقات الحجاجية المتضمنة فيها.

قال الله تعالى: "أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا

¹ - العزاوي: حوار حول الحجاج، ص 104.

² - لقد سبق وأن تناولنا التحليل الحجاجي لسورة الأعلى في مقال: الحجاج اللغوي عند أبو بكر العزاوي، نشر ضمن مجلة الإحياء لجامعة باتنة 1، العدد 31، السنة 2022، وعليه وقع اختيارنا في هذا البحث على نموذج آخر يتمثل في تحليل خواتيم سورة البقرة.

تَحْمِلُ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا
وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ¹.

حلل العزاوي هذه الحجج تحليلاً حجاجياً واعتبر هذه الآيات حواراً يتضمن مجموعة من الحجج والنتائج ضمن علاقات حجاجية معينة.

الحوار الأول وهو كالتالي:

قال تعالى: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون.

المخاطب: وقالوا سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير.

قال تعالى: لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت.

المخاطب: ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.

أكد العزاوي أن هذا الحوار هو حوار مضمّر بين الله عز وجل باعتباره المتكلم وبين الإنسان الذي يتلقى هذا الخطاب وهو المخاطب والمتلقي له².

تتضمن هذه الآيات مجموعة من الحجج تخدم نتيجة مضمرة وهذه الحجج

بينها العزاوي كالتالي:

- الحجة الأولى: الرسول آمن.

- الحجة الثانية: المؤمنون آمنوا.

- الحجة الثالثة: الكل قد آمن.

النتيجة المضمرة: آمن أيها الإنسان، أيها الجاحد.

¹ - سورة البقرة، الآية 285، 286. إن هذه الآيات لها أهمية كبيرة لأننا نقرأها وكأنها سورة قصيرة، كما أن لها قيمة كبيرة لأنها تعتبر نص حوارى حجاجى منسجم بامتياز.

² - أبو بكر العزاوي: الحجج والانسجام في القرآن، خواتيم سورة البقرة نموذجاً، ص44.

وعليه فإذا كان الرسول صلى الله عليه قد آمن و المؤمنون قد آمنوا والكل قد آمن فينبغي عليك أيها الإنسان أن تؤمن ولا تكفر بالله.

وإذا اقتنع المخاطب بضرورة الإيمان فإنه سيطرح عليه السؤال التالي : بما أومن؟ فيجيب القرآن الكريم بقوله تعالى: "كُلُّ أَمَنٍ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ"، أي لا بد من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله، ويجب علينا الإيمان بهم جميعاً¹.

وبعد أن يقتنع المخاطب بضرورة الإيمان وعرف بمن سيؤمن ، يجيء قوله تعالى: "وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير"، وهنا بين العزاوي أنه سيتشكل حوار ثان يتمثل فيما يلي:

الحوار الثاني:

المتكلم هو الله :آمن أيها الإنسان، لأن الرسول والمؤمنون والكل قد آمن.

المخاطب: سنؤمن بمعنى: "سمعنا وأطعنا".

يؤكد العزاوي أن الملاحظ من قول المخاطب "سمعنا وأطعنا" هو استدراك هذا الكلام بكلام آخر يتمثل في "غفرانك ربنا وإليك المصير"²

فالمخاطب لما شعر بصعوبة المسألة في السمع والطاعة ولما شعر بضعفه لجأ إلى الدعاء مترجياً "غفرانك ربنا"، ثم جاءه الرد من خلال قوله تعالى: " لا يكلف الله نفساً إلا وسعها"، وهذه الآية هي حجة مضافة إلى الحجج اللغوية الأولى.

وقد صاغها العزاوي في الحوار التالي واعتبرها حوار ثالث يتمثل فيما يلي:

¹ - المرجع نفسه، ص 46.

² - أبو بكر العزاوي: الحجج والانسجام في القرآن ، خواتيم سورة البقرة نموذجاً، ص 47.

المخاطب: "غفرانك ربنا وإليك المصير" وهذا استدراك بالدعاء.

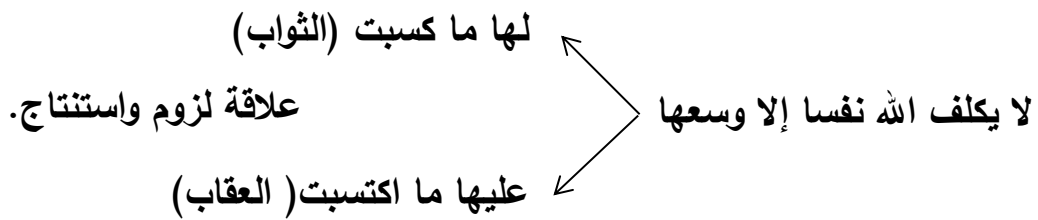
المتكلم (الله): "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسب" ومعنى ذلك أن التكليف يكون بقدر المستطاع¹.

استنتج العزاوي أن هناك علاقة حاجية من هذا الحوار تتمثل فيما يلي:

الحجة : لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، التي تخدم نتيجة من قبيل (إذن اسمع وأطع أو إذن آمن)،فأنا لم أكلفك أيها الإنسان إلا بما تستطيع على فعله، وتكون علاقة استنتاجية بين الحجة والنتيجة.

الحجة: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها دخلت في علاقة حاجية ثانية لتخدم نتيجة أخرى هي: (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)،فإذا فعلت هذه النفس ما يرضي الله فإنها ستكتسب حسنات ، وإذا فعلت عكس ذلك أي ما لا يرضي الله فإن عليها سيئات².

ويمكن تمثيلها بالعلاقة الحاجية التالية:



نستنتج أن أبا بكر العزاوي عمل على تطبيق نظرية الحجاج في اللغة ووسع من مجال تطبيقها، واقترح تطبيقها على مختلف النصوص وليس فقط على الجمل والملفوظات ليثبت أن الحجاج موجود في كل أنواع الخطابات.

¹- أبو بكر العزاوي: الحجاج والانسجام في القرآن ، خواتيم سورة البقرة نموذجاً، ص47.

²- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

نتائج الفصل:

- لقد لقيت نظرية الحجاج اللغوي صدى واهتماما سواء في الدراسات الغربية أو الأبحاث العربية ويعتبر كل من ماريون كاريل وأبي بكر العزاوي من أهم المفكرين الذين تبنا هذه النظرية في أبحاثهم.
- اقترحت ماريون كاريل بمعية أستاذها ديكرو نموذجا توسيعيا وتصحيحيا لنظرية الحجاج في اللغة يتمثل في نظرية المجموعات الدلالية وهي صورة جذرية لنظرية الحجاج في اللغة، تنتمي إلى الدراسات البنوية التي تهتم بالحجاج ضمن بنية اللغة محاولة الابتعاد عن مفهوم الموضوع.
- حرصت ماريون كاريل على أن مفهوم الحجاج يأخذ طابعا بنيويا، وأكدت أن المجموعة الدلالية هي مجموعة من التسلسلات المتتابعة التي تعتمد على اللغة العادية، إن العلاقة بين وحدات الخطاب في تسلسل حجاجي ماهي إلا صورة مختصرة لمجموعات حجاجية أخرى، فكل عبارة ماهي إلا اختصار لمتضمنات أخرى تفهم من السياق الكلامي.
- تأثر المفكر المغربي أبو بكر العزاوي بدوره بنظرية الحجاج في اللغة، إذ يعتبر أهم مفكر عربي عرف بأسس ومبادئ هذه النظرية، كما وظفها وطبقها في أبحاثه الحجاجية، ويتفق العزاوي مع ديكرو في مفهوم الحجاج، ويتمثل في أنه منطوق اللغة وهو المنطق الطبيعي الذي يحكم كل الخطابات المنجزة باللغة الطبيعية، هدفه اكتشاف القواعد الداخلية التي تحكم الخطاب.
- أكد العزاوي أن نظرية الحجاج في اللغة تعتمد على تحليل الملفوظات والأقوال، وبين العزاوي أن هذه النظرية يمكن توسيع تطبيقها على جميع أنواع النصوص والخطابات الأخرى، كالخطاب القرآني، إذ حلل خواتيم سورة البقرة .

خاتمة

خاتمة:

من خلال التحليل السابق لهذا البحث نخلص إلى مجموعة من النتائج نوردها كالتالي:

- إن للحجاج أهمية كبيرة في الوقت الراهن لأن عصرنا هو عصر الحجاج والإقناع والتأثير والحوار، وهذا راجع إلى تطور وسائل الإعلام، فكان الحجاج وسيلة للعقل والاختلاف والتسامح والحوار البناء، فهو أداة وآلية جد هامة لمناقشة الأفكار والتواصل مع الغير لتقادي الخلاف والعنف والتطرف، من خلال تأييد فكرة وتثبيتها أو التشكيك في صحتها واقتراح بدائل أخرى، وكل هذا من أجل الوصول إلى حل مقنع حول مسألة أو قضية معينة بعيدا عن الضغط والإكراه.

- إن الحجاج من المفاهيم المتشعبة لالتباسه وهذا راجع لتداخله مع العديد من المصطلحات الفلسفية الأخرى كالبرهان والاستدلال والجدل، كما أنه يستعمل في العديد من الميادين والتخصصات، لهذا فهو من المفاهيم الأساسية التي يجب البحث فيها والاشتغال عليها.

- إن الحجاج ليس ظاهرة فكرية حديثة أو معاصرة بل له امتدادات قديمة، ذلك أنه لصيق بالفكر الفلسفي على مر عصوره، وفي كل مرحلة يأخذ آلية معينة، رغم أن هدفه واحد وهو استمالة المتلقي والتأثير فيه.

- برز الحجاج في الفلسفة اليونانية بصورة كبيرة، ونظرا لأهميته فقد كان الاهتمام به أكثر في الفترة المعاصرة وأخذ حيزا كبيرا، فأصبح موضوعا لمصنفات عديدة وفلسفات مختلفة، إذ برزت نظريات مختلفة تهتم به، كنظرية الحجاج الخطابية مع بيرلمان ونظرية الحجاج المنطقي مع تولمين ونظرية الحجاج اللغوي مع ديكرود.

- إن الحجاج الخطابي يهدف إلى دراسة تقنيات الخطاب التي تؤدي بالأذهان إلى التسليم والإذعان، بينما الحجاج المنطقي يهدف إلى تحويل المنطق من علم نظري إلى ممارسة من خلال الاعتماد على الحجاج.
- إن نظرية الحجاج في اللغة مع مؤسسها أوزفالد ديكرو هي نظرية جديدة في فلسفة اللغة تهتم بدراسة الحجاج من منظور لغوي لساني.
- إن عمق نظرية الحجاج في اللغة راجع إلى موسوعية فيلسوفنا واطلاعه على مختلف المجالات المعرفية وتعمقه في مختلف النظريات السابقة عليه، سواء في فلسفة اللغة، أو علم اللسانيات أو في مجال الأدب، فكان هدفه بعث نظرية حجاجية جديدة متشعبة الأصول.
- انطلقت نظرية الحجاج اللغوي من عدة روافد تتمثل في نظرية أفعال الكلام الأنجلوساكسونية، ونظرية التلفظ التي جاء بها الفرنسي بنفست ، ونظرية تعدد الأصوات التي قدمها الناقد الأدبي الروسي ميخائيل باختين، ويهدف ديكرو من خلالها إلى جعل الحجاج ضمن الدراسات اللسانية البنيوية المحكمة، وتمكنت نظريته من دمج الوقائع التداولية في الدلالة وهذا ما سماه بالتداولية المدمجة.
- إن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وليست وظيفة إخبارية غرضها التواصل فقط، بل إن هذه الوظيفة مؤشر لها في بنية الملفوظات نفسها وموجودة في كل الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية والدلالية، فالحجاج عند ديكرو هو ظاهرة لغوية ولسانية بامتياز، إذ أنه يبنى على مجموعة من الروابط والمبادئ اللغوية التي تؤدي إلى إقناع المخاطب واستمالته والتأثير فيه.
- يهدف ديكرو من دراسة الحجاج إلى اكتشاف منطق اللغة، بمعنى اكتشاف القواعد الداخلية للخطاب التي تتحكم في تسلسل الأقوال وتتابعها، وعلى هذا الأساس ميز ديكرو بين الحجاج والاستدلال المنطقي وبين أنهما ينتميان إلى مجالين مختلفين الأول مجاله الخطاب

والثاني مجاله المنطق، وتوصل إلى نتيجة تتمثل في أن الحجاج هو المنطق الذي يحكم اللغة العادية أو الخطاب الطبيعي، لأن اللغة تحمل مجموعة من الحملات الحجاجية.

- إن نظرية الحجاج في اللغة هي نظرية لسانية تعنى بالوسائل اللغوية التي تتضمنها اللغات الطبيعية لدراسة الأهداف الحجاجية التي تتضمنها هذه اللغة، كما تعنى تهتم بالجانب التداولي وتأثيره في المستمع.

- بين ديكرو أن الحجج تتصف بأنها نسبية، بمعنى يمكن أن تكون قوية كما يمكن أن تكون ضعيفة، وتتصف بأنها سياقية فالملفوظ الواحد يمكن يكون حجة، كما يمكن أن يكون نتيجة وذلك حسب سياقه الذي ورد فيه.

- إن العلاقة التي تجمع بين الحجة والنتيجة يمكن وضعها في سلم حجاجي، وهذا السلم تحكمه ثلاثة قوانين هي قانون النفي وقانون القلب وقانون الخفض، ويرتبط مفهوم السلم الحجاجي كذلك بمفهوم الوجهة الحجاجية لأن قيمة ملفوظ ما تحدد بواسطة الاتجاه الحجاجي، وهذا الاتجاه بدوره يحدد من خلال الروابط الحجاجية التي تربط بين قولين، كما يتحدد من خلال العوامل الحجاجية التي تعمل على حصر الإمكانيات الحجاجية وتقيدتها داخل الملفوظ.

- لكن سرعان ما تخلى ديكرو عن نسخته الأولى من نظرية الحجاج اللغوي التي تهتم بدور الروابط والعوامل الحجاجية لتحديد القيمة الحجاجية، ليدمج مفهوم المواضع الحجاجية لتحديد هذه القيمة، فالمواضع هي مجموعة من المبادئ التي يقوم عليها الحجاج وتتمثل في المسلمات والافكار والمعتقدات المشتركة لجماعة لغوية وبشرية معينة والكل يسلم بصحتها وصدقها، فمن الممكن أن ينطلق استدلالان حجاجيان من المقدمات نفسها ويعتمدان على الروابط والعوامل الحجاجية ذاتها ومع ذلك يصلان إلى نتائج مختلفة وهذا ما يفسر الاعتماد على المواضع الحجاجية .

- كما تخلى ديكرو عن خاصية الواحدية في الفعل الحجاجي إلى خاصية التعدد، وهنا أدخل ديكرو مفهوم التعدد الصوتي، فاستبدل فيها مفهوم الفعل التكملي بمفهوم الأصواتية، لكن هذا المفهوم مازال يعاني من بعض جوانب النقص في الصياغة النظرية وهذا ما أعلنه ديكرو صراحة حيث لجأ إلى الخطاب الروائي والمسرحي ليفسر هذا التعدد.
- إن نظرية الحجاج في اللغة مرت بعدة تحولات وتطورات ففي مراحلها الأولى اهتمت بالتداولية المدمجة وأكدت على جوهرية الحجاج داخل اللغة، لكنها في تطورها استدعت إدماج مفهوم الموضع الذي يتعلق بالسياق أكثر منه بالبنية التركيبية للمفوضات، إلا أن نظرية الموضع بدورها تعرضت لانتقادات عديدة من طرف تلاميذه، فمثلا ماريون كاريل انتقدت هذه النظرية وحاولت إرجاع نظرية الحجاج في اللغة إلى بداياتها ونسختها الأولى محاولة جعل الحجاج مندمجا في البنية التركيبية للغة.
- كذلك المفكر المغربي أبو بكر العزاوي اهتم بهذه النظرية وحاول الانطلاق من أسسها إلى أنه أضاف الجديد من خلال توسيعها وجعلها موجودة ومطبقة في أنواع مختلفة من الخطاب، كما ركز على الجانب التداولي فيها أكثر.
- ما يلاحظ على نظرية الحجاج في اللغة أنها تجمع بين المتناقضين لأنها جمعت بين المنهج البنيوي الذي يدرس اللغة انطلاقا من بنيتها وبين المنهج التداولي الذي يأخذ بسياقات اللغة واستعمالها.
- إن المنتبج لمراحل تطور نظرية الحجاج في اللغة سواءً منذ تأسيسها إلى غاية مراجعتها وتعديلها يظهر أن البحث فيها يبقى مفتوحا وله آفاق كثيرة خصوصا أنها لم تأخذ الطابع النهائي، ورغم ذلك تبقى نظرية الحجاج في اللغة من أهم النظريات في الحجاج التي قامت بتحليل اللغة.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

☒ القرآن الكريم.

أولاً. قائمة المصادر:

1- الكتب:

أ- باللغة العربية

1. أوزفالد ديكر و جان ماري سشايفر: القانون الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر العياشي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط، دت
2. أوزفالد ديكر و القول والمقول، ترجمة: بسمة رحومة الشكلي، دار محمد علي، تونس، ط1، 2019.
3. أوزفالد ديكر و السلميات الحجاجية، ترجمة: أبو بكر العزاوي، مطبعة وراقه بلال، المغرب، ط1، 2020.

2- المقالات:

1. أوزفالد ديكر و: نظرية الأفعال الكلامية من سوسير إلى فلسفة اللغة، ترجمة: فريق م.إ.ق، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد10، باريس - بيروت ، 1990.
2. أوزفالد ديكر و: التلفظ ، تر: صابر الحباشة ،ضمن كتاب لسانيات الخطاب، دار الحوار ،سورية ، ط1، 2010.
3. أوزفالد ديكر و: قوانين الخطاب مقال ضمن كتاب اطلالة على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ج2، اشراف عزالدين مجدوب، بيت الحكمة ، تونس، ط1، 2012.

ب- باللغة الأجنبية

1- الكتب:

1. Ducrot Oswald : Dire et ne pas dire , Herman Paris, 1972.

2. Ducrot Oswald: le Dire et le dit, Les Éditions de Minuit,,1980
3. Ducrot Oswald : les mots du discours, Les Éditions de Minuit, Paris, 1980.
4. Oswald Ducrot et Jaune – Claude Anscomber: argumentation dans la langue , Mardaga, Belgique, 3ème éd .1989.

2-المقالات:

1. Ducrot Oswald : Quelques « illogismes » du langage. In: Langages, 1e année, n°2, 1966.
2. Ducrot Oswald: Logique et linguistique. In: Langages, 1e année, n°3, 1966.
3. Ducrot Oswald: Présupposés et sous-entendus. In: Langue française. N°4, 1969.
4. Ducrot Oswald: Langue et pensée formelle. In: Langue française, N°12, 1971. Linguistique et mathématique.
5. Ducrot Oswald:opérateurs argumentatifs et visée argumentative ,Cahiers de linguistique française, Univ. de Genève, n° 5, 1983.
6. Ducrot Oswald : topois et formes topiques, éd Kim ,Paris ,1984 .
7. Ducrot Oswald :les topoi dans la théorie de l'argumentation, éd Kim, paris, 1993.
8. Ducrot Oswald et Marion Carel : Mise au point sur la polyphonie ,in langue française 164, 2009 .
9. Ducrot Oswald: présentation de la théorie de bloc sémantique, Verbum XXXVIII, n 1, 2016.

ثانيا. قائمة المراجع:

أ- باللغة العربية:

الكتب:

1. ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، حققه: أحمد محمد شاكر، ج1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، دط، دت.
2. ابن رشد : تلخيص الخطابة ، تحقيق : عبد الرحمن بدوي ، دار القلم، لبنان، دط، دت

3. ابن رشد : تلخيص السفسطة، تحقيق: محمد سالم سالم ، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ط1، 1973
4. أبو بكر العزاوي : حوار حول الحجاج ،دار الأحمديّة للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 2010.
5. أبو بكر العزاوي: الحجاج والانسجام في القرآن ، خواتيم سورة البقرة نموذجاً، ص44.
6. أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ط1، 2010
7. أبوبكر العزاوي : اللغة والمنطق مدخل نظري، طوب بريس، الرباط المغرب، ط1، 2014،
8. أبو حامد الغزالي : معيار العلم في المنطق، بيروت، دار الأندلس، ط3، 1998.
9. أرسطو : الخطابة ، ترجمة: عبد الرحمن بدوي ،دار الرشيد للنشر، العراق، ط1، 1980.
10. أرسطو: السوفسطيقا، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار القلم ، بيروت، ط1، 1980
11. أرسطو: المنطق، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار القلم ، بيروت، ط1، 1980.
12. أفلاطون : فايدروس، دار غريب للطباعة والنشر، الاسكندرية، ط1، 2000.
13. أفلاطون: جورجياس، ترجمة : محمد حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط1، مصر، 1970.
14. إمام عبد الفتاح إمام: المنهج الجدلي عند هيجل، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 2007.
15. آن ربول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغنوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2003.
16. باتريك شارودو: الحجاج بين النظرية والأسلوب، ترجمة: أحمد الودرني، دار الكتاب المتحدة، ط1، 2009

17. ترفتان تودروف: ميخائيل باختين ،المبدأ الحوارى ،ترجمة: فخري صالح، دار الفاس، الأردن، ط2، 1996
- 18.توما الإكويني :الخلاصة اللاهوتية، الجزء2، ترجمة: الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، ط1، 1887
- 19.توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، ج1، ترجمة: الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، ط1، 1881
- 20.توما الإكويني: مجموعة الردود على الخوارج (فلاسفة المسلمين)، ترجمة: المطران نعمة الله ابن أبي كرم الماروني دار بيبليوس، لبنان، ط1، 2008
- 21.جميل عبد الحميد: البلاغة والاتصال ،البلاغة والاتصال ، دار غريب، مصر ، ط1، 2000.
- 22.جواد الختام: التداولية أصولها واتجاهاتها ، دار كنوز المعرفة ، الأردن ،ط1، 2016
- 23.جون سيرل : العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي ، ترجمة : سعد الغانمي، المركز الثقافي - المغرب ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006
- 24.جون سيرل :الأعمال اللغوية، ترجمة : أميرة غنيم ، المركز الوطني للترجمة ، تونس ،ط1، 2015،
- 25.حافظ إسماعيل علوي وآخرون: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، عالم الكتاب الحديث، عمان، ط1، 2010
- 26.حسان الباهي: المنطق واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2000
- 27.حسن مسكين: اللغة والحجاج عمق النظرية دقة الانجاز ، (مقال)ضمن كتاب الحجاج اللغوي قراءة في أعمال الدكتور العزاوي تنسيق :حسن مسكين، عالم الكتب الحديث ،الأردن ،ط1، 2017

28. الحسين بنو هاشم : نظرية الحجاج عند بيرلمان ، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان ، ط1 ، 2014
29. خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة ، الجزائر، ط1، 2009
30. ذهبية الحاج حمو: لسانيات التلطف وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة، الجزائر، ط1، 2012
31. رشيد الراضي: الحجاج والمغالطة، من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتب الجديدة المتحدة، ليبيا، ط1، 2010 .
32. رشيد الراضي: المظاهر اللغوية للحجاج، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2017.
33. رولان بارث: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1994.
34. الزواوي بغورة: نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، الفلسفة واللغة، دار الطليعة، لبنان، ط1، 2005
35. شايم بيرلمان : فلسفة الحجاج البلاغي، تر: أنوار الطاهر، ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1، 2019
36. الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، دار الإيمان، الاسكندرية، مصر، ط1، 2004.
37. شكري المبخوث: الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010
38. شكري المبخوث: إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية، مركز النشر الجامعي ، تونس، ط1، 2006
39. صابر الحباشة : التداولية والحجاج ،صفحات للدراسات والنشر، سوريا، ط1، 2008.
40. طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي، المغرب، ط1 ، 1998

41. طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000
42. طه عبدالرحمن ،الحجاج والتواصل، معهد المعارف الحكمية، المغرب، ط1، 2007
43. عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2012
44. عبد الله الصولة : الحجاج في القرآن الكريم ، دار الفارابي ، لبنان، ط1، 2007
45. عزالدين الناجح: العوامل الحجاجية، مكتبة علاء الدين ، تونس ، ط1، 2011
46. عمارة الناصر: الحجاج والبلاغة مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009
47. العياشي أدواري: الاستلزام الحوارية في التداول اللساني ،منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011
48. فرانسوا أرمينكو: المقارنة التداولية، ترجمة: سعد علوش، مركز الانماء القومي، دط، دت
49. فليب بروتون وجيل غوتيه: الحجاج في التواصل ،ترجمة: محمد مشبال وعبد الواحد النهامي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013
50. فليب بروتون وجيل غوتيه: تاريخ نظريات الحجاج ، ترجمة: محمد ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي ،المملكة العربية السعودية، ط1، 2011.
51. فليب بلانشي وغوفمان، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007
52. محمد سالم محمد الأمين الطلبة : الحجاج في البلاغة المعاصرة ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ،لبنان ، ط1، 2008
53. محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الناشر للثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدر البيضاء، ط1، 2005،

54. محمود أحمد نحلة آفاق جديدة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 2002
55. ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1987
56. ميخائيل باختين: الكلمة في الرواية، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، ط1، 1998
57. ميخائيل باختين: شعرية دويستفسكي، ترجمة: الدكتور جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986
58. ميلاد غالي ذكي: الله في فلسفة توما الإكويني، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 1998،
59. نادية عبد الغني البرماوي: مشكلة العلم الإلهي عند القديس توما الإكويني، 2017.
60. نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، ط1، 2003.
61. هيجل: فينومينولوجيا الروح، ترجمة وتقديم: ناجي العونلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006.
62. وليد محمد السراقي: الألسنية، دار مخطوطات العتبة، لبنان، ط1، 2019
63. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي، مصر، ط1، 2012.

المقالات:

1. ابوبكر العزاوي: الحجاج والمعنى الحجاجي، ضمن كتاب الحجاج مفهومه، مجالاته، ج1، تنسيق: حمو النقاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2006.
2. ايميل بنفنست: بنية علاقات الشخص في نظام الفعل، ترجمة: منصور الميغري، مقال مترجم ضمن كتاب: إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن 20، إشراف وتنسيق: عزالدين مجدوب، بيت الحكمة، تونس، ط1، 2012

3. إيميل بنفست: عن ذاتية اللغة ، تر: صابر الحباشة، (مقال) ضمن كتاب تلوين الخطاب فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية و التداولية والحجاج، الدار المتوسطة للنشر، تونس ، ط 1، 2007.
4. بول غرايس : منطق المحادثة، ترجمة: سيف الدين دعفوس، مقال مترجم ضمن كتاب: إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن 20، إشراف وتنسيق : عزالدين مجدوب، بيت الحكمة ،تونس ، ط1، 2012
5. ذهبية الحاج حمو: من اللسانيات إلى اللسانيات التداولية في إشكالية التحول والتطور، مقال ضمن كتاب :التداوليات وتحليل الخطاب، اشراف : حافظ اسماعيل علوي، كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2014.
6. شكري المبخوث: نظرية الحجاج في اللغة ،(مقال) ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، اشراف :حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، تونس ، ط ، دت
7. عبد الله الصولة: الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج، (مقال) ضمن كتاب: الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو حتى اليوم ،اشراف: حمادي صود، كلية الآداب منوبة، تونس، ط، دت
8. عبد الله بريمي: بين تداوليات سورل وتقنيكية دريدا، مقال ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم: حافظ اسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث،الأردن، ط2، 2014
9. عبد الواحد التهامي : نظرية الحجاج من اللغة إلى الخطاب، (مقال)ضمن كتاب الحجاج اللغوي قراءة في أعمال الدكتور العزاوي تنسيق :حسن مسكين، عالم الكتب الحديث ،الأردن ، ط1، 2017
10. محمد أسيداه: السفسطائية وسلطان القول، مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، إشراف: حافظ اسماعيل علوي: عالم الكتاب الحديث، عمان، ط1، 2010

11. محمد الولي :ممهّدات الخطابة البيّرلمانية، مقال ضمن كتاب(الحجاج بين النظرية والتطبيق)،أعداد وتقديم : ابو بكر العزاوي، عالم الكتب الحديث ، ط1 ، الأردن 2019

ب-باللغة الأجنبية

الكتب:

1. *Aristote : Les réfutations sophistiques, tr par trico , vrin, 1977 .*
2. Anscombe Jean Claude : Le rôle du lexique dans la théorie des stéréotypes, Langages , 2001
3. Chaim Perleman: l'empire rhétorique, librairie philosophique, France, ed2, 1977
4. Chaim Perleman et LuicieTyteca: traite de l'argumentation, éd. de l'Université de Bruxelles, éd. 6, 2008
5. Christian Plantin : dictionnaire de l'argumentation, Lyon, ^{ere}1éd, 2016
6. Emile Benveniste : problèmes de linguistique générale, Tome1, Gallimard, Paris 1966
7. Gaston Granger, Pour la connaissance philosophique, Paris, Odile Jacob, 1988
8. Grize Jean Blaise : Logique et discours pratique. Le sociologique et le linguistique In: Communications, 20, 1973..
9. Jürgen Habermas, Logique des sciences sociales, Paris, ed PUF, 1978.
10. J. L. Austin: How to Do Things with Words, oxford university press, Great Brittan, 1962.
11. Jean Michel Adam , Les textes : types et prototypes (récit , description , argumentation explication et dialogue) , Nathan , Paris , 1992 .
12. Ludwig Wittgenstein philosophical investigations, Translated by G. E. M. AnescombeE, 3rd éd, Printed in Great Britain, Basil Blakwell, 1958.
13. Ludwig Wittgenstein, Tractatus logico philosophicus, Paris, Gallimard, 1971.
14. Michel Meyer, logique, langage, et argumentation, Hachette , 1982
15. Mikhaïl Bakhtine : Esthétique et Théorie du roman, Ed. Tel, Gallimard, Paris, 2004.
16. Olga Galatanu, La sémantique des possibles argumentatifs. Presses universitaires de Strasbourg , 2019.
17. Paul Grice :Logic and Conversation , Oxford University Press, New York , 1991.

18. Richard Montague: Formal Philosophy, Yale University Press, London,1974.
19. Stephen Toulmin: The Uses Of Argument, Cambridge , USA , 3ed , 2003
20. Zsófia Várkonyi : la Sémantique des Points de Vue, Corela , 2016.

ثالثا. الدوريات:

باللغة العربية:

- 1.:: الحسين أخدوش: نظرية أفعال اللغة لدى أوستين أسسها وحدودها الفلسفية ، مجلة مؤمنون بلا حدود،أكتوبر2016.
2. رشيد الراضي: المبادئ النظرية والمنهجية للحجاجيات اللسانية، مجلة مؤمنون بلا حدود، الرباط.
- 3.رشيد الراضي: مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لانسكومبر وديكرو، عالم الفكر،العدد40
- 4.شعبان أمقران : تقنيات الحجاج في البلاغة اليونانية القديمة ، مقارنة لمشروع السفسطائيين وأفلاطون وأرسطو، مجلة اللسانيات، الجزائر، المجلد 25، العدد2، 2019،
- 5.فالح عبد الله سلاهي: نظرية التعدد الصوتي في البلاغة الجديدة، مجلة كلية التربية ، العراق، العدد 38،ج1، 2020
- 6.محمد الولي: في خطابة أرسطو الباتوسية ، مجلة علامات ، العدد 26، أبريل 2006
- 7.ياسر علي خالد فراج: المنهج الجدلي عند هيجل وأثره على الفلسفة المعاصرة، مجلة كلية البنات الأزهرية، مصر، العدد6، 2022.
- 8.الحبيب أعرب: الحجاج والاستدلال الحجاجي ،مجلة عالم الفكر، العدد1، مج 3، سبتمبر 2001،
- 9.حيدر حب الله، الآخر في المنظومة الفكرية لتوما الإكويني ،تأملات وملاحظات، مجلة الاجتهاد والتجديد، العدد 56، خريف 2022.
- 10.رضوان الرقبي: الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، العدد2، المجلد40، الكويت، ديسمبر 2011.

11. شفيعة بليلي: إشكالية التوفيق بين الفلسفة والدين عند القديس توما الإكويني ، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، الجزائر، العدد 18، جوان 2017.

12. عمر رتيمي: مدخل إلى الحجاج بحث في تعالق الحدود، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، العدد14، الجزائر، جوان 2016.

13. عماد عبد اللطيف: موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتي جورجياس وفايدروس، مجلة الشارقة ، المجلد 5، العدد3، أكتوبر، 2008.

14. رشيد الراضي: مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية، مجلة عالم فكر، العدد 40، الكويت، 2005.

15. محمد الأمين : مفهوم الحجاج عند بيرلمان ، مجلة فكر ونقد المجلد 28، العدد3، 2000.

16. محمد العبد: النص الحجاجي العربي ،دراسة وسائل الاقناع ، مجلة فصول، العدد60، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 2002.

2- باللغة الأجنبية:

1. Anne Elleerp Nulsen : quels topoi permetil ,revue romane, N34, 1999

رابعا. الموسوعات والمعاجم والقواميس:

أ- باللغة العربية:

1. ابن منظور، لسان العرب ،دار صادر، بيروت، 1990، مادة (ح ج ج).

2. أن ريبول وجاك موشلار: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين التونسيين، إشراف: عز الدين مجدوب، دار سيناترا، تونس، ط1، 2010

3. أندريه لالاند : الموسوعة الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل ، المجلد 1 (AG) منشورات عويدات بيروت - باريس، ط2، 2001

4. باتريك شارودو ودمينييك مونغنو: معجم تحليل الخطاب ،ترجمة :عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا، ط1، 2008.

5. جولي مايي: ديالكتيك هيجل، ترجمة: فراس الحمدان، موسوعة ستانفورد للفلسفة، مجلة
حكمة للنشر والترجمة، 2019
6. حمو النقاري: معجم مفاهيم علم الكلام المنهجية، المؤسسة العربية للفكر والابداع، بيروت
ط1، 2016
7. دومينيك مونغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ترجمة : محمد يحياتن ،
الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط1، 2008، لبنان
8. روزنتال يودين: الموسوعة الفلسفية ، ترجمة: سمير كرم ، مراجعة: صادق جلال العظم
وجورج طرابيشي ،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، دط
، دت ،
9. الفيروزبادي: القاموس المحيط ، إشراف : محمد نعيم العرقسوسي، مكتبة التراث، باب
الجم .
10. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ، ط4،
2004.
11. هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية ،المجلد1،ترجمة وتقديم: إمام عبد الفتاح، دار التنوير
للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2007،

ب- باللغة الجنبية:

1. La Rousse, Dictionnaire de français, 1^{ère} éd , Paris, 1997.
2. Le Grand Robert , Dictionnaire de la langue française , Paris , 1989
3. Cambridge Advanced Learners : Dictionary , Cambridge University Press
, 2nd Pub , 2004, p56.
4. Longman , Dictionary of contemporary , English , Longman , 1989
5. Ronald Borchert :Encyclopedia of philosophy, Thomson gale, USA, 2005.

خامسا: الرسائل الجامعية:

1. فوزية شراد: فلسفة اللغة عند هابرماس، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في
الفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2009-2010.

سادسا: الويبوغرافيا

1. Alfredo Lescano: La Théorie des blocs sémantiques, <http://www.felsemiotica>.
2. Marion Carel qu' est-ce qu' argumenter, [www .presse.fr](http://www.presse.fr)
3. Marion Carel: Argumentation interne et externe, www.presse.fr.
4. www.wikipedia.org.
5. Kohei Kida: L'inscription de l'argumentation dans le langage : le cas de la The
théorie des Blocs Sémantiques,<https://shs.hal.science/halshs>.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
02	مقدمة
	مدخل مفاهيمي
11	أولاً: ضبط مفهوم الحجاج وعلاقته بالمفاهيم القريبة منه
11	1. في مفهوم الحجاج
11	1.1. في اللغة العربية
12	2.1. في اللغة الفرنسية
13	3.1. في اللغة الانجليزية
14	2. إصطلاحاً
16	ثانياً: الحجاج والمصطلحات المحايثة له
16	1. الحجاج والاستدلال
18	2. الحجاج والبرهان
21	3. الحجاج والجدل
22	4. الحجاج والتواصل
25	5. الحجاج والحوار
26	ثالثاً: علاقة الحجاج بمجاله الاستعمالي
26	1. علاقة الحجاج بالفلسفة
29	2. علاقة الحجاج بالتداولية
31	3. علاقة الحجاج باللسانيات

الفصل الأول: تاريخ الحجاج في الفكر الفلسفي الغربي

35	تمهيد
36	المبحث الأول: الحجاج في الفلسفة اليونانية
36	أولاً: الحجاج والمغالطة عند السفسطائيين
36	1. مفهوم السفسطة
38	2. نشأة الفكر السفسطائي وأهم مرتكزاته
42	3. أنواع السفسطات والمغالطات
42	1.3. السفسطات من جهة الألفاظ
45	2.3. السفسطات من جهة المعاني
47	ثانياً: الحجاج والجدل عند أفلاطون
48	1. نقد البلاغة السفسطائية
50	2. الجدل والخطابة عند افلاطون
52	3. أركان الخطابة
52	1.3. اعتماد المنهج الجدلي في بناء القول الخطابي
54	2.3. معرفة أنواع النفوس ومايوافقها من أقاويل
54	3.3. مراعاة مبدأ التناسب في مستوى الأسلوب
57	ثالثاً: الخطابة عند أرسطو
57	1. تعريف الخطابة

58	2. الفرق بين السفطة والجدل والخطابة
62	3. أنواع الخطب
63	4. أنواع الحجج
63	1.4. أدلة غير صناعية (أدلة غير تقنية)
63	2.4. الحجج الصناعية (أدلة تقنية)
70	المبحث الثاني: الحجاج في الفلسفة الوسيطية والحديثة
70	أولاً: الحجاج في العصر الوسيط عند توما الإكويني
70	1. منهجه الحجاجي
72	2. علاقة الفلسفة باللاهوت وتبريرها
74	3. مسألة وجود الله
75	1.3. وجود الله بين الإيمان والتبرير العقلي
77	2.3. حجج الإكويني لاثبات وجود الله
81	ثانياً: الحجاج في الفلسفة الحديثة عند هيجل
81	1. مفهوم الجدل وطبيعته
83	2. مصادر المنهج الجدلي
85	3. مسار المنهج الجدلي
89	4. تطبيقات المنهج الجدلي
89	1.4. في مجال المعرفة
90	2.4. في مجال القانون

91	3.4. في مجال الأخلاق
92	المبحث الثالث: الحجاج في الفكر الغربي المعاصر
92	أولاً: الحجاج المنطقي عند بيرلمان
93	1. الحجاج خطابة جديدة
94	2. بيرلمان ضد ديكارت
96	3. مفهوم الحجاج عند بيرلمان
97	4. الفرق بين الحجاج والاستدلال المنطقي
98	5. محاور الحجاج
98	6. منطلقات الحجاج
98	1.6. الوقائع
98	2.6. الحقائق
99	3.6. الافتراضات
99	4.6. القيم
99	5.6. التراتيبات
99	6.6. المواضع
100	7. تقنيات الحجاج (طرقه)
100	1.7. الحجج شبه المنطقية

101	2.7. الحجج المؤسسة على بنية الواقع
101	3.7. الحجج المؤسسة لبنية الواقع
102	ثانيا: الحجج المنطقي عند ستيفن تولمين
103	1. علاقة الحجج بالمنطق عند تولمين
104	2. المنطق ونظرية القانون
105	3. الحجج التعليلية
106	4. حقل الحجج
107	5. النص الحججي
108	1.5. مكونات النص الحججي
109	2.5. المخطط الحججي
112	نتائج الفصل
<p>الفصل الثاني : المرجعية الفكرية لنظرية الحجج في اللغة عند ديكر و موقفه من الدراسات المنطقية السابقة</p>	
115	تمهيد
116	المبحث الأول: الخلفية الفكرية لنظرية الحجج في اللغة
116	أولا: نظرية أفعال الكلام
116	1. نظرية الأفعال الكلامية مع أوستين
116	1.1. نشأة نظرية أفعال الكلام

119 2.1. التمييز بين الملفوظات الخبرية والملفوظات الانجازية

122 3.1. مستويات الأفعال الكلامية

125 4.1. تصنيف الأفعال الكلامية

127 2. الأفعال الكلامية مع سيرل

128 1.2. مستويات الفعل الكلامي

129 2.2. الفعل الكلامي والقصدية

132 3.2. شروط الفعل الكلامي

133 4.2. تصنيف الأفعال الكلامية

135 3. الفعل الكلامي غير المباشر عند بول غرايس وقواعد المحادثة

135 1.3. مبدأ التعاون وقوانين المحادثة

140 2.3. الإستلزام الحوارية

145 ثانيا: نظرية التلفظ

145 1. مفهوم التلفظ

147 2. نقد بنفنست لدي سوسير

150 3. الذاتية في اللغة

153 ثالثا: نظرية التعدد الصوتي

153 1. مفهوم التعدد الصوتي

153	1.1. لغة
154	1.2. إصطلاحا
155	2. الرواية الكلاسيكية والرواية متعددة الأصوات
157	3. التعدد اللغوي
160	المبحث الثاني: الحجاج ومنطق اللغة
160	أولا: مفهوم الحجاج اللساني عند ديكرو
162	1. المعنى العادي
162	2. المعنى الفني
166	ثانيا: الفرق بين الحجاج والاستدلال
172	ثالثا: الفرق بين اللغة الطبيعية واللغة الصورية
177	رابعا مقاربات المنطق واللغة
177	1. المقارنة الاختزالية
182	2. مقارنة منطق اللغة
185	3. أسس منطق اللغة
186	نتائج الفصل
	الفصل الثالث: آليات الحجاج اللغوي
188	تمهيد
189	المبحث الأول: التداولية المدمجة ونظرية السلاالم الحجاجية

189	أولاً: مفهوم التداولية المدمجة و مراحلها
196	ثانياً: أهداف التداولية المدمجة وأسسها
198	ثالثاً: منهج التداولية المدمجة
200	1.الفرضيات خارجية
200	2. الفرضيات الداخلية
201	رابعاً: التوجيهات الحجاجية وقوانين الخطاب
201	1.التوجيهات الحجاجية
203	1.1.التوجيه نحو نفس الاتجاه
204	2.1. التوجيه المتضاد
204	خامساً: قوانين الخطاب
204	1.تعريف قوانين الخطاب
205	2.أنواعها
206	1.1. قانون الاخبارية
206	2.2. قانون الشمول
207	ثانياً: نظرية السلالم الحجاجية
209	1. مفهوم السلم الحجاجي
214	2.القوة الحجاجية
214	3.قوانين السلم الحجاجي

214	1.3. قانون النفي "تبديل السلم"
215	2.3. قانون القلب
216	3.3. قانون الخفض
217	4. وسائل السلم الحجابي
218	1.4. الروابط الحجابية
221	2.4. العوامل الحجابية
225	المبحث الثاني: نظرية المواضع ونظرية التعدد الصوتي
225	أولاً: نظرية المواضع
226	1. مفهوم الموضع
228	2. خصائص المواضع
229	3. أشكال المواضع
231	4. أنواع المواضع
233	5. العوامل والروابط والمواضع
233	1.5. الرابط والموضع
234	2.5. العامل والموضع
237	ثانياً: التعدد الصوتي عند ديكر
237	1. المصطلح والنشأة
239	2. انتقادات التصور الواحد

241	3. الجهاز المفاهيمي للتعدد الصوتي
241	1.3. مفهوم المتكلم
244	2.3. في مفهوم المتلفظ
246	4. التعدد الصوتي والنفي
247	1.4. نفي ميتالغوي
248	2.4. نفي جدالي
248	3.4. نفي وصفي
250	نتائج الفصل الثالث
	الفصل الرابع: امتدادات نظرية الحجاج اللغوي في الفكر الفلسفي المعاصر
253	تمهيد
254	المبحث الأول: انتقادات وامتدادات الحجاج اللغوي في الفكر الغربي
254	أولاً: انتقادات نظرية الحجاج في اللغة
254	1. نقد السلم الحجاجي
255	2. نقد الموضوع والفعل الحجاجي
256	3. نقد التعدد الصوتي
257	ثانياً: مفهوم نظرية المجموعات الدلالية
260	ثالثاً: مفهوم الحجاج ضمن نظرية الكتل الدلالية
261	رابعاً: مظاهر التوسع في المجموعات الدلالية

261	1.الحجاج الداخلي والحجاج الخارجي
263	2.التسلسل الحجاجي والاختصار
264	3.التسلسل الحجاجي والمحتوى
266	4.الرابط المعيارى والرابط غير المعيارى
270	المبحث الثانى: امتدادات نظرية الحجاج اللغوى فى الفكر العربى من خلال الحجاج الموسع عند أبو بكر العزاوى
270	أولاً: منطلقاته الفكرية
271	ثانياً: أسباب اختيار نظرية الحجاج اللغوى
272	ثالثاً: مفهوم الحجاج
273	رابعاً: ملامح التوسيع الحجاجى
273	1.الرابط والعامل الحجاجى
274	1.1.الرابط "بل" و"لكن"
276	2.1.الرابط "بل"
276	3.1.الرابط"حتى "
278	2.التحليل الحجاجى للنص الدينى خواتيم سورة البقرة نموذجاً
283	نتائج الفصل
285	⊗ خاتمة
290	⊗ قائمة المصادر والمراجع

304

فهرس الموضوعات ☒

الملخصات

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة 1 الحاج لخضر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

إشراف: أ.د. فوزية شراد

إعداد الطالبة: زينة بن لحرش

الموضوع : ملخص بالعربية لأطروحة دكتوراه LMD في الفلسفة

" بعنوان : " النظرية الحجاجية في الفكر الغربي أوزفالد ديكرو - نموذجاً -

الملخص:

تعد نظرية الحجاج في اللغة من أهم النظريات الحجاجية التي قامت بتحليل اللغة، أسسها الفيلسوف وعالم اللسانيات الفرنسي أوزفالد ديكرو، تؤكد أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية الوظيفة الحجاجية، انبثقت من عدة روافد معرفية منها نظرية أفعال الكلام ، دراسات بنفست حول التلفظ والذاتية، إضافة إلى مفهوم التعدد الصوتي عند ميخائيل باختين.

يهتم الحجاج اللغوي بالوسائل اللغوية، وبإمكانات اللغات الطبيعية التي تتوفر عليها المتكلم حتى يوجه خطابه وجهة ما، لتحقيق أهدافه الحجاجية.

أسس ديكرو هذه النظرية لتحليل الملفوظات وفق منطق خاص يتناسب مع الحجاج الذي ينتمي إلى الخطاب الطبيعي و يهتم باللغة العادية ، بعيدا عن النزعة الصورية المنطقية، لأن الحجاج يختلف عن البرهان المنطقي .

إن الحجاج هو تقديم الأدلة والحجج المؤدية إلى نتيجة معينة، ويتمثل في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها بمثابة الحجج والبعض الآخر بمثابة النتائج، فإذا كانت التداولية تبنى على دراسة اللغة في استعمالها وتداولها المقامي فإن ديكرو خالف هذا الإتجاه واعتبر أن التداولية مدمجة في الدلالة وأن الحجاج هو علاقة دلالية، في هذه المرحلة يظهر

تشبت ديكرو بالتصور البنيوي للغة، واهتمامه كذلك بالسلم الحجاجي باعتباره آلية من آليات التحليل الحجاجي.

لكن ديكرو عدل العديد من الفرضيات لهذا اضطر إلى تطوير هذه النظرية وأدخل مفهوم الموضع الحجاجي ذي الجذور الأرسطية الذي يهتم بسياق الكلام وظروفه ومن هنا اهتم ديكرو بالبعد التداولي أكثر منه بالبعد الدلالي، كما أدخل مفهوم التعدد الصوتي وبين فكرة التعدد في الفعل الحجاجي وأعطى أهمية للمعطيات خارج لسانية.

كلمات مفتاحية: الحجاج ، اللغة، التداولية المدمجة، الموضع ، التعدد الصوتي.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة 1 الحاج لخضر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

إشراف: أ.د. فوزية شراد

إعداد الطالبة: زينة بن لحرش

الموضوع : ملخص بالفرنسية لأطروحة دكتوراه LMD في الفلسفة

بعنوان : " النظرية الحجاجية في الفكر الغربي أوزفالد ديكرود - نموذجاً -

La Théorie argumentative dans la pensée occidentale Oswald Ducrot- un paradigme

Résumé:

La théorie de l'argumentation dans la langue est considérée parmi les plus importantes qui ont analysé la langue établie par le philosophe et linguiste français Oswald Ducrot. Celle-ci souligne que la langue prend, de façon subjective et essentielle, le rôle de l'argumentation. C'est une théorie engendrée par plusieurs affluents du savoir tel que les actes de langage, les études de Benveniste sur l'énonciation et la subjectivité en plus du concept de la polyphonie chez Mikhaïl Bakhtine.

L'argumentation dans la langue s'intéresse aux outils linguistiques et aux capacités naturelles des langues que possède l'énonciateur pour orienter son énoncé afin d'atteindre ses objectifs argumentatif.

Ducrot a construit cette théorie pour analyser les énoncées selon sa propre logique qui correspond à l'argumentation qui appartenant au discours naturel et s'intéresse à la langue ordinaire loin du formalisme logique car l'argumentation diffère de la démonstration logique.

L'argumentation est une présentation de preuves et les arguments qui mènent à un certain résultat qui se présente sous forme de séquences complètes des énoncés, les uns servent d'arguments et les autres de résultats. Si la pragmatique est basée sur l'étude de la langue dans son utilisation et sa diffusion, Ducrot s'est différencié de cette vision et a considéré la pragmatique intégrée dans la sémantique. L'argumentation est une relation pragmatique et à

cette étape ,il s'est accroché à la conception structurelle du langage et s'est intéressé, également, à l'échelle argumentative en tant que mécanisme de l'analyse argumentative.

Mais Ducrot a ajusté un bon nombre d'hypothèses ce qui l'a obligé à développer cette théorie et introduire le concept du topos argumentatif, inspiré d'Aristote, qui se soucie de du contexte de la parole et ses circonstances. De là, Ducrot s'est intéressé à la dimension pragmatique plus que la dimension sémantique, tout comme il a introduit le concept de la polyphonie et l'idée de la multiplicité de l'acte argumentatif et a valorisé les données extralinguistique.

Mots-clés : L'argumentation , la langue , la pragmatique intégré, le topos, la polyphonie.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة 1 الحاج لخضر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

إشراف: أ.د. فوزية شراد

إعداد الطالبة: زينة بن لحرش

الموضوع : ملخص بالإنجليزية لأطروحة دكتوراه LMD في الفلسفة

بعنوان : " النظرية الحجاجية في الفكر الغربي _أوزفالد ديكرو -

Argumentative theory in occidental thought Oswald Ducrot- a paradigm-

Abstract :

The theory of argumentation in language is considered among the most important that analyzed the language established by the French philosopher and linguist Oswald Ducrot. This emphasizes that language takes, in a subjective and essential way, the role of argumentation. It is a theory generated by several tributaries of knowledge such as speech acts, Benvenist studies on enunciation and subjectivity in addition to the concept of polyphony in Mikhail Bakhtin.

Argumentation in language is interested in the linguistic tools and the natural capacities of languages that the enunciator has to direct his statement in order to achieve his argumentative objectives.

Ducrot built this theory to analyze the statements according to his own logic which corresponds to the argumentation which belongs to the natural speech and is interested in the ordinary language far from the logical formalism because the argumentation differs from the logical demonstration.

Argumentation is a presentation of evidence and the arguments that lead to a certain result which is presented as complete sequences of statements, some serve as arguments and others as results. If pragmatics is based on the study of language in its use and dissemination, Ducrot differentiated himself from this vision and considered pragmatics integrated into semantics. Argumentation is a pragmatic relationship and at this stage he clung to the

structural design of language and also became interested in argumentative scales as a mechanism of argumentative analysis.

But Ducrot adjusted a good number of hypotheses which forced him to develop this theory and introduce the concept of the argumentative topos, inspired by Aristotle, which is concerned with the context of speech and its circumstances. From there, Ducrot became interested in the pragmatic dimension more than the semantic dimension, just as he introduced the concept of polyphony and the idea of the multiplicity of the argumentative act and valued extralinguistic information.

Key words argumentation, language, integrated pragmatics, topos, polyphony.